INTERNATIONAL ISLAMIC
UNIVERSITY ISLAMABAD – PAKISTAN
Faculty of Usuluddin (Islamic studies)
Department of Dawah & Islamic Culture

الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد – باكستان
كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية)
(قسم الدعوة والثقافة الإسلامية)

الجوانب الدعوية والتربوية عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري
(دراسة تحليلية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

الطالب: مُحَمَّد اشتياق

رقم التسجيل:

٣٠٨-FU/PHDDIC/F١٧

تحت إشراف:

الدكتور حافظ عبدالمنان الزاهدي

العام الدراسي: ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديَّ الكريمين اللذين ربياني منذ ولادتي، ولا تزال شجرةُ دعواتِهما وارفةَ الظلال على حياتي.
وإلى جميع أساتذتي من العلماء الأجلاء، وأهل الفضل من الكرماء النبلاء، الذين أضاءوا لي الطريق، وكانوا لي في درب العلم خيرَ عونٍ وصديق.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة، وأعانني على إخراجها، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه ﷺ أجمعين، أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[١]. ويقول في مقام آخر: ﴿واشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٢]. ويقول أيضا: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[٣]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَمْ يشْكُر النَّاسَ لَمْ يشْكُرالله»[٤] وأصلي و أسلم على نبيه المبعوث سيد المرسلين وعلى آله وصحبه والسائرين على سننه إلى يوم الدين.

امتثالًا لأمر الله عز وجل، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى مشرفي فضيلة الدكتور حافظ عبد المنان الزاهدي حفظه الله تعالى ورعاه، على توجيهاته القيّمة وعنايته الخاصة التي مكنتني من إتمام هذه الرسالة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، وخاصة إلى فضيلة الأستاذ الدكتور خليل الرحمن حفظه الله، والأستاذ الدكتور عبد القادر هارون حفظه الله، اللذين شجعاني ووقفا بجانبي منذ بداية الرسالة حتى نهايتها، وأخص بالشكر والامتنان الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد عامة، وكلية أصول الدين خاصة، وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية على وجه الخصوص، وفي الختام، أقدم جزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساعدني على إنجاز هذه الرسالة؛ أستاذًا كان أو زميلًا، قريبًا كان أو بعيدًا، وأسأل الله أن يجزيهم جميعًا خير الجزاء، وأن يثيبهم من خزائنه التي لا تنفد أبدًا،

والحمد لله أولًا وآخرًا، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث: ١٩٥، (٣٣٩/٤) تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م. والحديث صححه الإمام الترمذي.

مقدّمة

الحمدلله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، ورزقه حسن الفهم ودقه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا مُحَمَّد ﷺ المعلم الأول والهادي إلى الخير قدوة المتقين وإمام المرسلين.

التعريف العام بالموضوع

الدعوة إلى الله تعالى من أشرف المهمات التي كلف الله بها أنبياءه ورسله، فهي رسالة الإصلاح والهداية، وسبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[(١)]. فالدعوة ليست مجرّد خطاب أو وعظ، بل هي عملية شاملة ترمي إلى بناء الإنسان عقيدةً وفكرًا وسلوكًا، وتشكيل المجتمع على قيم الحق والخير، أما التربية، فهي الجانب العملي المكمّل للدعوة، إذ تهدف إلى تنمية شخصية المسلم تنميةً متوازنة تشمل روحه وعقله وجسده، حتى يصبح الفرد قادرًا على الالتزام بدينه، والمساهمة في إصلاح نفسه ومجتمعه. والتربية في جوهرها تقوم على غرس الإيمان، وتزكية النفس، وتدريبها على مكارم الأخلاق، وربطها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

تُعد الجوانب الدعوية والتربوية من الركائز الأساسية في بناء الفرد والمجتمع في الإسلام، إذ يشكلان معًا منظومة متكاملة تهدف إلى توجيه الإنسان نحو الخير، وتعزيز القيم الأخلاقية، وغرس المبادئ الإيمانية والتربوية في النفوس. ويتناول هذا الموضوع مختلف الجوانب التي تتقاطع فيها الدعوة والتربية، من حيث الأهداف، والوسائل، والأساليب، ودور الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والدعاة، إضافة إلى التأثير المتبادل بين التربية والدعوة في تنشئة الجيل المسلم القادر على النهوض بالأمة، فلا يخفى على أحد أن التربية أساس في بناء الإنسان كما قال السيد الشحات أحمد حسن[(٢)] : "التربية ضرورية للإنسان في بناء نفسه وتكوين شخصيته، والأخذ بيده على ما يوافق الدين الإسلامي في مجتمعه، وهي بهذا وثيقة الصلة بالمجتمع، حيث تعكس فلسفته، وأهدافه، وظروف حياته، وألوان نشاطاته، وقيمه، ومبادئه، وأخلاقه، ومعتقداته"[(٣)].

ولما كانت التربية مطلبًا فرديًّا واجتماعيًّا لدى الشعوب والأمم المختلفة منذ خلق الإنسان على هذه الأرض،

---

(١) سورة فصلت،الآية:٣٣

(٢) السيد الشحات أحمد حسن هو ناقد وشاعر مصري، ومدير تحرير سلسلة الدراسات الأدبية في هيئة الكتاب المصرية، وعضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقاف.

(٣) دراسة في الفكر الإسلامي، سيد الشحات أحمد حسن (ص/٥)، مكتبة دار إحياء التراث الإسلامي المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

فالتربية الإسلامية مطلب حتمي لتحقيق عرى الإسلام وركائزه على الوجه الذي يبتغيه الله سبحانه وتعالى.

ولقد جاء اهتمام الإسلام العظيم بالتربية والتعليم، وفقا لأول ما نزل القرآن الكريم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِىْ خَلَقَ *خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ* اَلَّذِىْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَم﴾[١].

فمنذ اللحظات الأولى لبدء نزول الوحي على مُحَمَّدﷺ كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة تربوية وكان المعلم الأعظم يجمع القلة التي آمنت به سرا يعلمها آيات القرآن[٢].

وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة كان المسجد النبوي ﷺ المؤسسة التربوية الثانية، حيث كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه صورة حية للقرآن هذا السلوك يمثل الارتباط الحي بين العلم والعمل شكلا ومضمونا[٣] كما أنه ﷺ كان يشجع على العلم وتعلم الكتابة؛ وذلك بإقتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين، وبذلك وضع الأساس الحضاري للدعوة والتربية الإسلامية[٤].

وامتد عمل الرسول ﷺ من جديد في عهد خلفائه الراشدين فانتشر أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين يعلمون المسلمين في البلاد المفتوحة أمور دينهم ودنياهم، واستمر الاهتمام بالعلم والتربية الإسلامية لدى أبناء الإسلام قرونا متوالية، قرنا بعد قرن، وذلك إن معرفة أعلام الأمة الإسلامية ودراسة فكرهم وحركة عصرهم الذي تشكل فيه فكرهم السياسي والثقافي والدعوي والتربوي والاجتماعي له أهمية خاصة في حث أبناء المسلمين على تقدير أعلامهم والسير على خطاهم[٥].

ومن أعلام الأمة الذين تركوا أثرًا بارزًا كالشيخ العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله الذي له بصمات واضحة في مجال العلوم الدّينية والدعوية والتربوية، وخاصة في مجال ترجمة وتفسير القرآن الكريم والسيرة النبوية ﷺ بالإضافة إلى كونه من المجددين في مجال التعليم الدعوي والتربوي في المدارس الدينية على مستوى باكستان كلها، ومن ثم يتناول هذا البحث الجوانب الدعوية والتربوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله حيث يستنبط منه تراثه المرتكز في مواعظه، وحكمه، ونصائحه ومصنفاته.

الدعوة والتربية لهما دور كبير في إصلاح حياة الإنسان وتكوين شخصيته من تزكية النفوس وتطهيرها وتجنب

---

(١) سورة العلق، الآية :١-٥

(٢) التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، عبد العال حسن، (ص/٢٦) الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٧٨م.

(٣) الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني، قاسم صالح ناجي، (ص/٢٠) الناشر:كلية التربية جامعة أم القرى، الطبعة : ١٤٠٩هـ.

(٤) التربية الإسلامية، أحمد فؤاد الأهواني، (ص/٢٠) الناشر: دار المعارف ، قاهرة مصر، الطبعة الخامسة: ١٤٠٠هـ.

(٥) عبد الحميد بن باديس، مازن صلاح مطبقاني، (ص/٣) الناشر: دارالقلم، دمشق، الطبعة الأولى عام: ١٤١٠هـ.

الفجور ومقاومتها، وقد تضمنت هذه الرسالة دراسة جهود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في مجال الدعوة والتربية على المستوى الفردي والجماعي والمؤسسي، وتحليل آرائه في ضوء المبادئ الإسلامية ومقتضيات عصره مع استخلاص النتائج واستخراج المبادئ والأساليب والأسس التي يمكن للداعية والمربي الاستفادة منها وتطبيقها في عمله الدعوي.

أسباب اختيار الموضوع

من أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع فهي كالتالي:

١- أن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله عَلَم من أعلام الفكر الإسلامي كما كان له دور بارز في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة، فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله كان رجلًا عالما وصالحًا قام بدعوة الأمة واجتهد بالتربية، وقد اشتهر بعلومه وحكمته واستقامته بالحق في الدين والدنيا، فكانت أفكاره وجهوده الدعوية مؤثرة في العالم، وله بصمات واضحة على العقل الإسلامي لا يمحوها اختلاف الليل والنهار.

٢- من أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع عدم وجود دراسة وافية وشاملة لهذا الجانب الذي رغبتُ في تناوله؛ إذ بحثتُ كثيرًا عن كتاب أو بحث يضم جميع جوانب الموضوع، فلم أجد ما يُشفي الغليل ويحيط به بجميع جوانب الموضوع إحاطة تامة، فاخترتُ أن أتناوله بالبحث والتحليل الشامل؛ لما في ذلك من إسهام في التعريف بهذه الشخصية البارزة، والاطلاع على تجاربها الدعوية والعلمية والتربوية.

٣- ومن الأسباب المهمة التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع أنه يحتوي على مادة علمية نافعة تُعدّ زادًا ثمينًا للدعاة والمربين، لما فيها من توجيهات عملية وتجارب دعوية وتربوية ناجحة يمكن أن يسترشد بها من يحمل رسالة الإسلام، ويسعى في إصلاح الأمة وتوجيهها نحو الخير والهدى.

٤- إن هذا الموضوع لم يسبق عليه أن درسه أحد الباحثين من الناحية الدعوية والتربوية في حدود علم الباحث.

أهمية الموضوع

تظهر أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١— الاستفادة من الفكر الدعوي والتربوي لسماحة الشيخ رحمه الله خصوصا في الكيفية الملائمة لتربية وتوجيه أجيال المستقبل، وذلك من خلال التطبيقات الدعوية والتربوية التي تساهم في غرس المبادئ والقيم لدى طلبة العلم.

٢— تفيد هذه الدراسة القائمين على عملية الدعوةوالتربية والتعليم ليحذوا حذو سماحة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في بذل الجهود لخدمة العملية التربوية والتعليمية.

٣– تفيد هذه الدراسة في تحقيق مبدأ الوسطية لرواد الدعوة والتربية في المجال التربوي التعليمي.

٤– إلقاء الضوء على جهوده في الثقافة العامة، وإنشاء المكتبات يفيد المتخصصين في مجال علم المعلومات والمكتبات المعاصر للتعرف على كيفية وأسلوب تشييد المكتبات.

٥– إن دراسة أفكار العلماء المسلمين الربانيين يساعد على فهم وتشخيص الواقع ويوضح لنا جوانب القوة والضعف في حياتنا الدعوية والتربوية والتعليمية.

أهداف البحث

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأمور التالية:

١. التعرف على الجوانب الدعوية والتربوية التي قدمها الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله خلال مباشرته للتربية والتعليم.
٢. التعرف على الأحوال السياسية الدعوية والدينية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية التي لازمت عصره والتي كان لها تأثير واضح في حياته.
٣. الكشف عن الجوانب الدعوية والتربوية الإسلامية للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، واستخراج المبادئ والأساليب والأسس الدعوية والتربوية لديه وتحليل آرائه.
٤. إبراز طريقة اجتهاداته الدعوية والتربوية في ضوء المبادئ الإسلامية وفي ضوء مقتضيات عصره.

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١– ما الجوانب الدعوية والتربوية المستفادة من أعمال وجهود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله؟
٢– ما موقف الشيخ فيما يتعلق بعلم الدعوة من أركان ومناهج وأساليب ووسائل وعوامل نجاحها وما يواجهها من تحديات؟
٣– ما مدى إمكانية الاستفادة من جهود الشيخ في مجال الدعوة والتربية في العصر الحاضر؟

منهجية البحث

سوف أتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وهذا المنهج يقوم على جمع المعلومات التي تتعلق بموضوع الدعوة والتربية عند الشيخ، ثم تحليلها واستخلاص النتائج المفيدة منها في موضوع الدراسة.

الدراسات السابقة

قام الباحث بالبحث عن الدراسات التي تتعلق بالموضوع، ووجد بعد البحث بعض الأعمال والدراسات التي تبحث عن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في الجوانب الدعوية والتربوية، وهي مما يلى:

١–**پیرمُحَمَّد كرم شاه الأزهري كى علمي وديني خدمات:** (الخدمات العلمية والدينية للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله) هي رسالة دكتوراه قدّمها شاكر حسين خان، ونشرتها شعبة العلوم الإسلامية بجامعة كراتشي، سنة ٢٠٠٨م.ركّزت هذه الرسالة على مولد الشيخ ونشأته، وجهوده العلمية، وخدماته الدينية في المجتمع الباكستاني وفي الأمة الإسلامية عمومًا كما تناولت الرسالة الجوانب المتعددة من شخصية الشيخ رحمه الله، منها:

- كونه مفسّرًا للقرآن الكريم،
- وكاتبًا في السيرة النبوية الشريفة ﷺ،
- ومجتهدًا في الفقه الإسلامي،
- وقاضيًا في الأحكام الشرعية،
- ونقيبًا لاتحاد الأمة الإسلامية، حيث كان له دور بارز في جمع الكلمة وتوحيد الصف.

وهدف هذه الرسالة هو توثيق ودراسة الجهود العلمية والدينية للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، مع إبراز دوره الريادي في تفسير القرآن الكريم، وكتابة السيرة النبوية، والاجتهاد الفقهي، وخدمة القضاء الشرعي، وقيادة العمل الإسلامي، وذلك لبيان أثره في النهضة الدينية والفكرية في باكستان والعالم الإسلامي، ولتقديم نموذج علمي وعملي يُحتذى به في خدمة الإسلام والأمة.

٢–**منهج الشيخ كرم شاه الأزهري في تفسيره ضياء القرآن:** هي رسالة الماجستير، قدّمها لباحثة نازية جوهر، نُشر في مجلة العصر، المجلد الثاني، مارس ٢٠٢٢م.

تناولت الباحثة في هذا المقال منهج الشيخ في التفسير، مع التركيز على تحقيق الأقوال رواية و دراية، وبيان أسباب النزول وفق منهج المؤلف، كما عرضت موقفه من الإسرائيليات والمستشرقين، وكذلك اشتمل البحث على تحليل ما ورد في التفسير من أحكام عقدية، وفقهية، وأخلاقية، موضّحةً طريقة الشيخ في عرضها ومعالجتها.

٣–**الجانب الحديثي في تفسير ضياء القرآن للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري:** هي رسالة الماجستير قدّمها الباحث الله يار، وهي رسالة قُدّمت إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١١م.

تناول الباحث في هذه الرسالة الجانب الحديثي في تفسير ضياء القرآن، كما أشار إلى شبهات المستشرقين حول الوحي الإلهي وسنة الرسول ﷺ، وبيّن ردود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري عليها، بالاستناد إلى مؤلفاته، ولا سيما تفسيره ضياء القرآن.

٤–**تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري:** هي رسالة الماجستير قدّمها الباحث الحافظ مُحَمَّد منير الأزهري، في جامعة الأزهر الشريف، الناشر: دارالسلام، مصر، الطبعة: ١٠–٢٠٠٨م.

أصل هذه الدراسة رسالة قُدِّمت لنيل درجة الماجستير، وقد تناول فيها الباحث سيرة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، وبيان الظروف التاريخية والاجتماعية لعصره، كما استعرض جهوده في تفسير القرآن الكريم، وكتاباته في السيرة النبوية، كما سلط الضوء على الاتجاهات المنحرفة في كتابة السيرة النبوية، وبيّن موقف الشيخ منها، بالإضافة إلى دراسته جهود الشيخ في الرد على الاستشراق، وبيان الشبهات المفتراة حول الأحاديث الشريفة، مع مناقشة ردود الشيخ عليها في ضوء منهجه العلمي والشرعي.

٥–**تفسير ضياء القرآن أسلوب ومصادر:** هي رسالة الليسانس قدّمها الباحث مُحَمَّد إسحاق، في جامعة بنجاب لاهور. الطبعة الثانية: ٢٠٢٣م.

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية لتفسير ضياء القرآن للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله من حيث الأسلوب والمصادر، ويهدف إلى إبراز الملامح المتميزة لهذا التفسير في خدمة القرآن الكريم وتيسير فهمه للناس، يركز الباحث في هذه الدراسة على الأسلوب التفسيري، والمصادر المعتمدة، والسمات العامة للتفسير.

٦–**القاضي مُحَمَّد كرم شاه الأزهري في الميدان التربوي:** تُعَدُّ شخصية القاضي مُحَمَّد كرم شاه الأزهري من أبرز الشخصيات العلمية والدعوية في شبه القارة الهندية خلال القرن الرابع عشر الهجري، إذ جمع بين الفقه العميق، والتفسير المتميز، والدعوة المؤثرة، والإدارة الناجحة، مع اهتمام خاص بالتربية والتعليم.

وقد امتاز رحمه الله برؤية تربوية متكاملة، مستمدة من الكتاب والسنة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتوازن بين حاجات الفرد ومتطلبات المجتمع، وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة التي أعدّها الدكتور مُحَمَّد أكرم وِرك، (والمنشورة في مجلة الإحسان، العدد الرابع، الطبعة: ٢٠١٥م، لتسلّط الضوء على منهجه التربوي، وتكشف عن أهم ملامح فكره في هذا المجال، مع بيان جهوده العملية في تأسيس المؤسسات التعليمية، وتخريج الأجيال، وترسيخ القيم الإسلامية.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز إسهامات القاضي مُحَمَّد كرم شاه الأزهري في الميدان التربوي، وإظهار أثره في النهضة العلمية والدعوية في باكستان والعالم الإسلامي.

٧– **مستشرقین کے طعن اور صاحب ضیاء النبي کے جوابات:** (طعون المستشرقين وردود صاحب ضياء النبي) للأنوار الحق وجميل الرحمن ، تتناولت هذه الدراسة التي أعدّها الأستاذان الأنوار الحق وجميل الرحمن، ونشرتها مجلة الثقافة الإسلامية، المجلد ٤٧، سنة ٢٠٢٢م، جانبًا مهمًّا من الدفاع عن السيرة النبوية أمام حملات المستشرقين، فقد ركّز الباحثان على الطعون التي وجّهها بعض المستشرقين إلى كتاب ضياء النبي للعلامة القاضي مُحَمَّد كرم

شاه الأزهري، وهو من أبرز المؤلفات في السيرة النبوية في شبه القارة الهندية، ويستعرض البحث أبرز الشبهات التي أثارها هؤلاء المستشرقون، ثم يبيّن بأسلوب علمي ومنهجي الردود التي قدّمها المؤلف، والتي اتسمت بالقوة الحجاجية، والاستناد إلى المصادر الموثوقة، والقدرة على الجمع بين عرض الحقائق التاريخية ودحض الافتراءات.

ويهدف هذا العمل إلى إبراز الجهود العلمية الرصينة التي قام بها المؤلف في الذود عن مقام النبي ﷺ وتقديم السيرة النبوية بأسلوب يجمع بين العمق والموضوعية.

بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

الأعمال والدراسات التي تناولها الباحثون سابقًا تتعلق في الغالب بجهود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية والدينية، وبدوره في خدمة أبناء المسلمين في العالم عمومًا، وفي شبه القارة الهندية خصوصًا، بالإضافة إلى إسهاماته في بناء دولة باكستان، ومجالات أخرى متعددة.

وأما الدراسة الحالية فهي تتعلق بـ جهوده الدعوية والتربوية، وهي بحسب علم الباحث متميزة عن باقي الرسائل التي كُتبت حول الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، حيث لم أجد من الباحثين من أفرد هذه الجوانب بالبحث المستقل، كما يتضح من الدراسات السابقة في هذا المجال.

خطة البحث:

البحث يشتمل على:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، و مشكلة البحث، ومنهجية البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث:

الباب الأول: التعريف بالشيخ مُحَمَّد كرم شاه وجهوده في مجال التعليم و الدعوة والتربية

الفصل الأول: السيرة الذاتية للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

المبحث الأول: حياة لشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري الشخصية

المبحث الثاني: حياة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية

المبحث الثالث: أحوال عصر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الثاني: جهود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية والتطبيقية المتعلقة بالداعية

المبحث الأول: جهود الشيخ فيما يتعلق بواجبات الداعية

المبحث الثاني: جهود الشيخ فيما يتعلق بإعداد الداعية

الباب الثاني: الجوانب الدعوية، وأساليبها، ووسائلها، ومشكلاتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

الفصل الأول: الدعوة، وأهميتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري على مستوى الفرد والجماعة والحكومة

المبحث الأول: أهمية الدعوة على مستوى الفرد

المبحث الثاني: أهمية الدعوة على مستوى الجماعة

المبحث الثالث: أهمية الدعوة على مستوى الحكومة

الفصل الثاني: أساليب الدعوة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

المبحث الأول: الحكمة

المبحث الثاني : الموعظة الحسنة

المبحث الثالث : المجادلة

المبحث الرابع: أسلوب الترغيب والترهيب

المبحث الخامس: القدوة الحسنة

الفصل الثالث: وسائل الدعوة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

المبحث الأول: مفهوم وسائل الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: الوسائل القولية

المبحث الثالث: الوسائل المكتوبة

الفصل الرابع: المشاكل الدعوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

المبحث الأول: المشاكل الداخلية عند الداعية والمجتمع

المبحث الثاني: المشاكل الخارجية

الباب الثالث: الجوانب التربوية ومبادئها، وأساليبها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الأول: المفاهيم التربوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

المبحث الأول: التربية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

المبحث الثاني: منهجه في التربية والإصلاح

المبحث الثالث: المنهج الصوفي للتربية

الفصل الثاني: أساليب التربية ومؤسساتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

المبحث الأول: أساليب التربية

المبحث الثاني: المؤسسات التربوية

الفصل الثالث: الرؤية التربية المتكاملة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

المبحث الأول: التربية الإيمانية

المبحث الثاني: التربية الأخلاقية

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية

الخاتمة وفيها:

١- نتائج البحث

٢- توصيات

الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الأحاديث النبوية ﷺ

٣- فهرس الأعلام

٤- فهرس المصادر والمراجع

الباب الأول:

الشيخ محمد كرم شاه وجهوده في مجال التعليم و الدعوة والتربية

الفصل الأول: سيرة حياة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الثاني: جهود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية والتطبيقية المتعلقة بالداعية

الفصل الأول:
سيرة حياة الشيخ محمد كرم شاه الأزهري

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري الشخصية

المبحث الثاني: حياة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية

المبحث الثالث: أحوال عصر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد كرم شاه الأزهري

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو الشيخ أبو الحسنات مُحَمَّد كرم شاه بن مُحَمَّد شاه بن البير[١] أمير شاه بن شاه بن شمس الدين شاه بن عبد الله بن شاه بن غوث بن غلام مُحَمَّد حسن شاه بن الشيخ مُحَمَّد بن شيخ محمود بن الشيخ أحمد بن الشيخ نظام الدين بن الشيخ شمس الدين اللاهوري، لقبُه كروري بن الشيخ صدر الدين بادشاه الشيخ شهر الله سجادة بن الشيخ بن يوسف بن الشيخ عماد الدين بن الشيخ ركن الدين السمرقندي بن صدر الدين حاجي بن الشيخ إسماعيل شهيد بن شيخ الإسلام صدر الدين قتال عارف بالله بن الشيخ بهاؤ الدين زكريا الملتاني[٢] بن مُحَمَّد بن علي مِن ولد نهبار بن الأسود، بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي[٣].

المطلب الثاني: مولده ونشأته الأولى

وُلد العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في الحادي والعشرين مِن شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٦هـ الموافق العام ١٩١٨م بقرية بهيرة بإقليم بنجاب[٤] فسمَّاه أبوه مُحَمَّد كرم شاه [٥] وكنّى بأبي الحسنات، ولقّب بضياء الأمَّة، بفضل أعماله الأدبيَّة والفكرية والإسلامية التي أضاءتِ المصابيح، فبدَّدتِ الظلام والطرُق الحالكات.

وُلد العلامة مُحَمَّد كرم شاه في بيت علم وفضل، فقد كان أجداده منَ الَّذين أسلموا منذ أن طلع فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ومنَ المعروف أن المسلمين هاجروا من الأراضي العربية إلى السند بعد دخول الفاتح العربي المسلم مُحَمَّد بن القاسم الثقفي في أواخر القرن الهجري الأول[٦] ومن أوائل أجداده الذين أسلموا وشرفوا بصحبة النبي هبار ابن

---

(١) كلمة "البير" كلمة فارسية نقلت إلى اللغة الأردية أيضًا ومعناها "المرشد"، وصار الشيخ معروفًا بهذا الاسم حتَّى صارت هذه الكلمة جزءا من اسمه.

(٢) مقالات الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، حافظ أحمد بخش، (١٧/١)، الناشر: ضياء القرآن ببليكيشنز لاهور، باكستان، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

(٣) تذكرة أكابر أهل السنة، شيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري، (ص/٤٧٦)، الناشر: نورى كتب خانه لاهور.

(٤) تعارف علماء أهل السنة، شيخ مُحَمَّد صديق الهزاروي، (ص/٢٧٢)، الناشر: المؤسَّسة القادرية، باكستان، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

(٥)كلمة شاه، تستخدم للأسرة القرشية الأسدية في شبه القارة الهندية.انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظ، عبد الحي الحسني، (ص/٤٥–٤٧).

(٦) العقد الثَّمين في فتوح الهند، القاضي أبو المعالي أظهر المباركفوري، (ص/١٦)، الناشر: دار الأنصار القاهرة.

الأسود الَّذي أسلم سنة ثمانٍ [١].

المطلب الثالث: صفاته وشمائله:

أ- الخلق الحسن:

رفعَ الله تعالى شأن حبيبه صلَّى الله عليه وسلم ووصفَه بأنه المتحلي بالأخلاق السامية كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]. وحث على ذلك على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الشريف «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»[٣].

ومِن شأن العلماء الربّانيين أنهم يمتازون بالخلق الكريم متأسياً برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقد كان الشيخ مثالا بارزا في التحلي بالخق الحسن كما قال االأستاذ الدكتور حسن الشافعي حفظه الله[٤]

"كانَ فضيلة العلَّامة القاضي الفاضل والعالم العامل والشَّيخ المرشد والتربوي المجدَّد الشَّيخ مُحَمَّد كرم شاه من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر في باكستان، وواحد مِن أبرز رجال العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية على مستوى العلم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الماضي، وما تميَّزت به شخصيَّته، وأسلوبه في العمل الإسلاميَّ، الخلق النَّبيل والتواضع الجمّ في مقدّمة العناصر الخلقية التي تُطالعك في أعطافه الحانية، إنَّ التواضع سِمة العلماء الربانيين وشعار المتديّنين في كل وقت وحين، فشأنهم ألَّا يتعالوا على الناس وأنهم لا يستكبرون، وأشهد أنَّ الشيخ رحمه الله على مكانته العلميَّة والروحية السامية في بلده ومركزه الرسميّ في قمَّة الهرم القضائي في دَولته وسِعة نفوذه، وتأثيره بين أتباعه الكثيرين في أنحاء العالم كان بالغ التواضع، زاهدًا في كل مظاهر التميُّز على من حوله، حفيًّا بكلِّ مَن يلقاه، صادق التوَدُّد إليه، دون ابتذال أو تميُّع، بل في وقار يليق بالشُّيوخ والإطار منَ البساطة يغزو القلوب والعقول، وقد كنتُ إذا لمحته أذكر تعريف الشَّيخ سعيد بن أبي الخير [٥] وغيره للتصوف: "التصوُّف خلُق، فمَن زادَ عليك في الخلق زاد عليك في التصوُّف" [٦].

---

(١) رجال السند والهند، قاضي أبي المعالي أظهر المباركفوري، (ص/١٧٦)، الناشر: دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤

(٣) أخرجه البخاري في أبواب البرّ والصِّلة باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث: ٢٠١، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) هو أستاذالعقيدة والفلسفة بكلية دارالعلوم ، جامعة القاهرة ورئيس مجمع اللغة العربية الأسبق.

(٥) أبوسعيد بن أبي الخير الميهني، ولد في سنة ٣٥٧هـ ٦٦٧م،بمدينة ميهن من نواحي نيسابور، يعد من كبارمشايخ التصوف.

(٦) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، دكتور مُحَمَّد منير، (ص/١٢)،الناشر: دارالسلام القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

" لقد كان من علامات حسن أخلاق الشيخ أنَّ كلَّ مَن قابله شعرَ أنَّه أحبَّ الناس إليه، والحقيقة أنَّ الشيخ عليه الرحمة كان متبعًا لكلِّ سنن النبي ﷺ، كما كان يعتقد كلُّ أصحاب النبي ﷺ أنَّه أحبُّهم إليه" [(١)].

ب: اتِّباع الشيخ رحمه الله للسنة النبوية الشريفة:

قال الله تعالى في القرآن المجيد:﴿وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[(٢)]. ومَن أطاعَ الله فقد أفلح في الدنيا والآخرة، ونال عزّةً وكرامةً لاحصر لهما، وهذه خصوصيَّةٌ لأهل الله تعالى من خلقه الكثير.

وكان الشيخ الجليل رحمه الله يتَّبع سنة رسول الله ﷺ في كلِّ حركةٍ من حركاته في الليل والنهار، فكان يحضر الصلوات الخمس في المسجد، حتى في آخر عمره، إذا كان المرض قد اشتدَّ به، فيحمله اثنان من ساعديه، ويقول: "نصلِّيها في المسجد، لعلها آخر صلاةٍ في العمر"[(٣)].

ج: حبُّ الشيخ رحمه الله للنبي ﷺ:

إنَّ أجمل ما تتميَّز به شخصيةُ العالِمِ الرَّباني حبُّه الغامر للنبي ﷺ، حتى إنَّ أفكاره وأعماله وأنفاسه كلَّها لا تخلو من عبير هذا الرحيق المختوم، وكيف لا يكون كذلك، وقد أكَّد النبي ﷺ على هذا المعنى، وجعل حبَّه الطاهر المقدَّس محور الإيمان، فقال النبي ﷺ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين»[(٤)].

ونرى أثر هذا الحديث الشريف في نماذج عديدة من حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وكان الشيخ رحمه الله يحبُّ النبي ﷺ حبًّا جمًّا، وتذرف عيناه الدموع عند ذِكره ﷺ، ويتجلَّى حبُّ الشيخ رحمه الله لسنة المصطفى ﷺ في القصة التالية: حان وقتُ الصلاة في يومٍ من الأيام، وكان الشيخ رحمه الله مريضًا، وبعد قليلٍ سمع الشيخ عليه الرحمة صوتَ الأذان من مسجد أمير السالكين، فاضطرب قلبه رحمه الله، فتوضأ، ثم قال بعد أن صلّى السُّنَّة: "هيّا بنا إلى المسجد"، فقال له أحدُ المدرسين:"صحتك لا تسمح لك بالصلاة في المسجد، وسنرسل بعض الأشخاص إلى غرفتك لتصلوا هناك جماعة، فحزن الشيخ، وذرفت عيناه دموعًا، وقال الشيخ عليه الرحمة: "ألا تذكر قصة سيّدي ﷺ حين مرض وكان الصحابة يأتون به للصلاة في المسجد، وكانت رجلاه تخطّان في الأرض، كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما ثَقُل النبي ﷺ، واشتدَّ به وجعُه، استأذن أزواجَه أن يُمَرَّض في بيتي، فأذن له، فخرج النبي ﷺ بين رجلين، تخطّ رجلاه في الأرض بين العباس ورجل آخر»[(٥)] فلتأخذوني على مثل ذلك، حتى تُحيا سُنّةُ

---

(١) تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد أكرم ساجد، (ص/٢١٠)، الناشر: ضياء القرآن ببليكيشنز لاهور، الطبعة الأولى عام: ٢٠٠٦م.

(٢) سورة النساء، الآية:٨٠

(٣) تجليات ضياء الأمت، (ص/٢٠٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان رقم الحديث: ١٥، (١٢/١) تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلام، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث :٤٤٤٢، (١١/٦).

سيّدي ﷺ "[1].

المطلب الرابع: أقوال العلماء والمشاهير عن الشيخ رحمه الله

أثَّر بعض الأساتذة الأزهريين في شخصية العلامة تأثيرًا عميقاً ومنهم الدكتور مُحَمَّد أنيس عبادة والدكتور مُحَمَّد مصطفى شلبي:

١- قال فضيلة الشيخ مُحَمَّد مصطفى الشلبي[2] أستاذ الشيخ عليه الرحمة في كلية الشريعة بجامعة الأزهر: "وجدتُّ فيه مِن حرص على البحث الدقيق والإقبال على طلب العلم فضلا عمَّا جبل عليه مِن خلق كريم وأدب عظيم، وإنِّي لفخور بتلمذته لي وما إن عرفته حتَّى أحببته مِن كلِّ قلبي، وأتمنَّى له مستقبلاً زاهرًا، وأرجو الله جلَّت قدرته أن ينفع به الإسلام والمسلمين، لا في باكستان فحسب، بل في العالم الاسلاميِّ كلِّه" [3].

٢- وقال أبو زهرة[4] أستاذه في الشريعة الإسلامية في القاهرة: "وما التقيتُ بك ساعة إلا أحسستُ منك بعلوّ النفس، وسموّ الخلق، والاتجاه إلى معالي الأمور، فكنت أشعر في كلِّ لقاء بسعادة متجدّدة، وألمس فيك الروح الإنساني التي يتسامى عن الثقال الأرضية ويَعلو عليها، لقد أشعرتني يا بنيَّ إنَّ الشرق مشرق الروح كما هو مشرق الشمس ونور الحياة كما هو منبعث حرارتها ومصباح الوجود كما هو منار الأرضين، ولقد أشعرتني يا بنيّ إن الإسلام أمة واحدة لا تقطع وحدتها مباعدة الأقطار واختلاف الأمصار، فكنت كلما التقيتُ بك رأيت فيك الإسلام سراجًا مُنيرًا، ورأيتُ فيك الإسلام الموَحَّد ورأيت فيك الأمل وأذهبَت رؤيتك عني الألم والحزن" [5].

٣- وقال أحمد زكيّ [6] أستاذ الأدب العربيّ وفلسفة التربية والاجتماع: "فقد جمعتني بك يا بنيَّ صلة المدارسة للأدب، وفنون القول، وفلسفة الاجتماع، ومباحث النفس، وطرُق التربية، فكانت خلال تدريسي لك ومناقشاتي معك، ومساجلاتي إياك، هيئة رياضٍ من أفانين العلم، كنتَ فيها مثالًا رفيعًا للأدب المطبوع، والذوق اللامع، والفكر

---

(١) تجليات ضياء الأمة، (ص/٢٠٦).

(٢) مُحَمَّد مصطفى شلبي، هو عالم وأستاذ مصري في الفقه وأصول الفقه، ولد في ٢٠ أغسطس، ١٩١٠م في قرية ميت عفيف، مركز الباجور، عمل بالتدريس في كلية الشريعة بأزهر، ونقل إلى كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية، انظر: الدكتور مُحَمَّد مصطفى شلبي،"نشأته وتكوينه العلمي"، الجزيرة نت، منشور بتاريخ ٢١ ديسمبر ٢٠٢١.

(٣) مقالات، حافظ أحمد بحش، (١/ص٣٢)، الناشر: ضياء القرآن ببليكيشنز، لاهور باكستان، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

(٤) مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة ، أحد كبار علماء الفقه والفكر الإسلامي في القرن العشرين، وُلد في مدينة المحلة الكبرى بمصر عام ١٨٩٨م، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالجامع الأحمدي بطنطا، وبعده بالجامع الأزهر حيث درس العلوم الشرعية والعربية، انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، مُحَمَّد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٠م.

(٥) نفس المرجع والصفحة.

(٦) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الزكي الحسيني، تدرج في الوظائف الحكومية حتى أصبح أمين مجلس الوزراء.

الموهوب، وصاحب النفس الصافية، ونموذجًا للتربية الرفيعة، يرفرف فوق كل ذلك علم الإسلام الخفّاق في غيرة على أصوله ومذاهبه، وعزيمة على الجهاد في سبيله دون كلل، فلستُ أنسى ما حييتُ دعائي لك مرارًا مِن أجل دين الإسلام والمحبة [١].

٤-قال الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعي[٢] "إن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله هو العالم العامل القاضي الفاضل المفسرالجليل المربّي الكبير، ونشأت بيننا منذ التقينا علاقة روحيَّة خاصّة أكَّدها في نفسي خلقه المتين وتواضعه الجّم واعتداله في الحكم على الأمور وجهاده الدائب في مجال التربية الإسلامية والتعليم الإسلامي هذا فضلًا عن مَنصبه القضائي الرفيع، ومكانته الروحية والفكرية في الحياة الباكستانية بوَجه عام" [٣].

قال الدكتور إبراهيم مُحَمَّد إبراهيم، الأستاذ في جامعة الأزهر: "الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري مِن كبار علماء الأمة المسلمة في القرن العشرين، وله مؤلفات عديدة يستنير بها المسلمون في العالم كله بعامة وفي البلاد الناطقة باللغة الأردية بخاصة، ومِن أهمِّ أعماله ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية وتفسير القرآن الكريم (ضياء القرآن) وكتابة السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم (ضياء النبي)، توَلَّى رحمه الله تعالى مناصب مهمة عديدة، وأكرمَته دول وحكومات عديدة أيضاً، لقد كان الشيخ رحمه الله مثالاً في علمه وعمله، حريصاً على المحبة والود، داعياً إلى اتحاد المسلمين والبُعد عن الخلافات التي لا طائل مِن ورائها، مثابراً في عمله وتطوير فكرته، إن الفارق بين العلامة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله وباقي علماء عصره في رأيي: هو نفس الفارق بين العلامة إقبال رحمه الله وباقي شعراء ومفكري عصره"[٤].

- وفاته :

يكتب حافظ أحمد بخش عن وفاته، ويقول: قد توفي الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري في ٩ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨م، في المستشفى بإسلام آباد، ودفِن في قريته ببهيرة [٥].

---

(١) جمال كرم، حافظ أحمد بخش (١/٢٧٣-٢٧٩).

(٢) هو رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد سابقاً، كان من مصر.

(٣) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، دكتور مُحَمَّد منير، (ص/١٢)، الناشر: دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.

(٤) مجلَّة شهرية، ضياء حرم، ضياء الأمت نمبر، (ص/١٩٨).

(٥) ضياء الأمة رقم أبريل مايو ١٩٩م (ص/٦٤٠-٦٤١)، الناشر: مكتبة ضياء حرم لاهور باكستان.

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد كرم شاه الأزهري رحمه الله الشخصية

تعد الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري من أبرز علماء شبه القارة في العصر الحديث، جمع بين العلم الشرعي والروح الصوفية والفكر الإصلاحي. نشأ في بيئة دينية فتكوَّنت شخصيته على التوازن بين الأصالة والتجديد. ودراسة حياته الشخصية تكشف عن تلازم العلم والعمل، والعقل والروح، مما جعله قدوة ومثالاً للقيادة الدينية المعاصرة.

المطلب الأول: نشأته ورحلاته العلمية:

أ- طلبه للعلم:

بدأ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه بحفظ القرآن الكريم كما هو شأن أفراد أسرته العلمية، وقد التحق بالمرحلة الابتدائية في قرية بهيرة، مسقط رأسه، عام ١٩٢٥م، وكان حينها ابن سبع سنوات، واستمر فيها حتى عام ١٩٢٩م.

ثم انتقل إلى المرحلة الثانوية في مدرسة قريته عام ١٩٣٦م، وبعد ذلك التحق بمسجد قريب من بيته، حيث درس الكتب الفارسية مثل: بندنامه، وكريما لسعدي، ومصدر فيوض، ونام حق، كما درس كتب المرحلة الابتدائية في علوم النحو والصرف، وفي الأدب العربي مثل الحماسة وديوان المتنبي، وفي الفقه الهداية.

ب- رحلاته العلمية:

بدأ العلامة مُحَمَّد كرم شاه تعليمه بحفظ القرآن الكريم في طفولته البريئة، وفق تقاليد المسلمين في شبه القارة الهندية، على يد نخبة من الأساتذة الحفاظ الذين عُرفوا بإتقان التجويد وتحفيظ القرآن الكريم، ومنهم: الحافظ دوست مُحَمَّد، والحافظ مغل، والحافظ بيك، ورئيس الأساتذة الحافظ كرم علي رحمهم الله تعالى، فتمكَّن حبُّ الكتاب الحكيم من أعماق قلبه منذ الصغر، بعد ذلك التحق بالمدرسة الثانوية الحكومية، وأكمل مراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، واجتاز امتحان الثانوية سنة ١٩٣٦م، بتقدير ممتاز ومما يجدر بالذكر أن المناهج الدراسية آنذاك كانت تسير وفق النظام الإنجليزي، بعيدةً عن العلوم الإسلامية والعربية، ولذلك التحق بدار العلوم المحمدية الغوثية التي أسسها والده الشيخ مُحَمَّد شاه سنة ١٩٢٥م، بهدف نشر الوعي الإسلامي والثقافة العربية بين المسلمين[(١)].

ج- دراسة العلوم الإسلامية:

سافر الشيخ إلى موهرة كدلتهي قرية من إقليم البنجاب بباكستان، ودرس هناك بقية كتب اللغة العربية في النحو والصرف، ثم التحق بكلية العلوم الشرقية أورينتل كالج في لاهور، وحصل على شهادة "فاضل عربي" بدرجة الامتياز. ثم سافر إلى مانسهرة بمدينة إبت آباد من إقليم سرحد خيبر بختونخوا حاليًّا في باكستان، حيث درس أصول الفقه على يد الشيخ حميد الدين، وأقام في هذه المدينة مدة شهرين ونصف. واصل دراسته العالية فدرس الحديث

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان شاعرا عربياً باحثا، متاز أحمد سديدي، (ص/١٧٠)، الناشر: جامعة الأزهر القاهرة.

وعلومه، وبالأخص "الجامع الترمذي" و"صحيح البخاري" وبقية كتب السنن الستة، وذلك سنة ١٩٤٥م.

د- رحلته إلى مصر:

سافر الشيخ عليه الرحمة إلى مصر سنة ١٩٥١م للدراسة، فالتحق بجامعة الأزهر، لكنه رأى أن هذه الدراسة وحدها لا تكفيه، فالتحق بجامعة القاهرة، ودرس فيها الفقه وأصوله، وحصل على شهادة الماجستير، وبعد أن أكمل دراسته هناك عاد إلى الأزهر، والتحق بدراسة القضاء، وأتم المراحل الدراسية حتى سجَّل رسالته بعنوان: "الحدود في الإسلام" وعيَّن الدكتور أيوب علي المشرقي مشرفًا عليها، كتب رسالته وأكملها، إلا أنه بسبب بعض الظروف في بلده عاد إلى باكستان قبل مناقشتها سنة ١٩٥٤م، وفي أثناء دراسته في الأزهر فاق أقرانه، لما منحه الله تعالى من فكر عبقري، وفهم ثاقب، وشوق علمي، إلى جانب حب الدراسة والاجتهاد فيها، حتى كان شيوخ الأزهر يحبونه لما وجدوا فيه من صفات الطالب المجتهد[١].

المطلب الثاني: أبرز شيوخه

قد درس الشيخ مُحَمَّد كرم شاه في بلده عن عدَّة شيوخ والمشهورين منهم مما يلي:

الشيخ مُحَمَّد دين[٢]، والشيخ مُحَمَّد قاسم بالاكوتي[٣]، والشيخ عبد الحميد[٤]، وكذلك عن الأستاذ المعروف بالمناطقة الذي درس عنده مِن كتب المنطق ملَّا حسن وقاضي مبارك، وفي الحكمة صدر الشمس البازغة، وفي البلاغة مختصر المعاني والمطول.

ودرس الشيخ مُحَمَّد كرم شاه كتب أحاديث الرسول صلَّى الله عليه وسلم عن الأساتذة المختلفة ومنهم: شيخ رسول خان، درس عنه الجامع الترمذي، والشيخ مُحَمَّد نعيم الدين [٥]، ومولانا أمجد علي، درس عنهما كتب الأحاديث ولاسيما صحيح البخاري للإمام مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، ثم درس على يد أستاذ العلماء مولانا غلام مُحَمَّد في الأدب العربي؛ الحماسة والمتنبي، وفى الفقه؛ كتاب الهداية للمرغياني الحنفي في المعقولات؛ الرياضي عسكر ربيع المجيد الفلكيات، علم العروض، الصرف والنحو: راجعَ فضيلته قواعد الصرف والنحو على يد مولانا القاضي ثناء الله رحمه

---

(١) جمال كرم، حافظ أحمد بخش (١/١٩٢_٢٠٠)

(٢) ولد الشيخ في قرية "بدهو" باكستان في سنة ١٨٧٠م ،كان مدرسا لشيخ مُحَمَّد كرم شاه وتوفي سنة ١٩٦٣م.

(٣) وهو مُحَمَّد قاسم بن مولوي عزيز الله بن مُحَمَّد عبد الله عبد الرحيم ولد سنة ١٨٩٩م بمدينة بالاكوت باكستان، كان معاونا ومفتيًا في دار العلوم أمينية دلهي وكان مدرسا لمحمد كرم شاه، توفي في سنة ١٩٣٩م.

(٤) جمال كرم، (١/٢٧٨).

(٥) وهو كان عالم الدين قد لقب بصدر الأفاضل ولد في شهر صفر سنة ١٣٠٠م، هو كان أستاذا لمحمد كرم شاه: انظر: انسائيكلوبيديا باكستاني كا مديره سيد قاسم محمود (ص/٩٤٠) ناشران وتاجران كتب اردو بازار لاهور.

الله ثمّ التحق بكلية العلوم الشرقية بلاهور ليجتاز امتحان الفاضل في العربية، واستفادَ من الأساتذة الكبار وهم:

١-الشيخ مُحَمَّد العربي: وكان منَ البلاد المغرب، ويدرّس الأدب العربي، وكان رحمه الله يطلب منَ التلاميذ كتابة مقالٍ أسبوعياً، فكتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه مقالاً فقال أستاذه: "اجتهد في الإنشاء، إنّي أرجو لك النجاح، ثمَّ بدأ الأستاذ يهتمُّ بتلميذه الرشيد اهتماماً بالغاً".

١-الأستاذ رسول خان، درس على يده الجامع الترمذي وسلّم العلوم.

٢-مولانا نور الحق، درس على يده التفسير البيضاوي والكامل للمبرد.

٣-مولانا حميد الدين، كان له باع طويل في علم أصول الفقه فذهب إليه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه في مناطق شمالية باردة تسمّى مانسهرة، ودرس منه أصول الفقه لمدَّة شهرين ونصف تقريباً،بعد إكماله العلوم العقلية والنقلية، بدأ يفكّر في إتمام دورة الحديث الشريف، فسافر فضيلته إلى الهند سنة ١٩٤٢م، بإشارة من شيخه خواجة مُحَمَّد قمر الدين السيالوي رحمه الله فالتحق بدرس صدر الأفاضل مُحَمَّد نعيم الدين المراد آبادي، وأكمل على يديه صحيح البخاري وغيره من العلوم الأساسية في الإسلام ويقول عنه: "لقد تعرّفت عند صدر الأفاضل رحمه الله على كثير من أسرار ورموز الحياة، كما عرفت منه حقيقة العلاقة بين الأستاذ والتلميذ".

وقال عنه أستاذه صدر الأفاضل المراد آبادي عند تخرّجه:"اطمأنّ قلبي اليوم، لأنني فوَّضت الأمانة إلى من هو أهل لها"، ثم حصل على درجة البكالوريوس من جامعة بنجاب بلاهور، وبعد فترة شاء الله أن يصل هذا الجوهر إلى صدَف الأزهر الشريف"[١].

الأساتذة مِن جامعة الأزهر بمصر:

لا يخفى على أهل العلم مكانة الأزهر الشريف في نشر الوعي الإسلامي والعلوم الإسلامية الأصيلة، فالتحق فضيلته بالأزهر سنة ١٩٥١م، وظهر تلميذاً متفوقاً في دراسته وبحوثه، وحصل على درجة التخصص في القضاء مِن كلية الشريعة بعنوان الرسالة: "الحدود في الإسلام"، وكان أستاذه في أصول الفقه الأستاذ الشيخ أنيس عبادة[٢]، ومصطفى الشلبي،[٣] وفي التفسير الأستاذ مُحَمَّد البنا وفى الفقه الأستاذ شمس الدين كما التحق فضيلته بجامعة القاهرة

---

(١) جمال كرم، (ص١/١٩٦).

(٢) هو عالمٌ وداعية، لُقِّب بفضيلة الأستاذ الشيخ، عُرف بالعلم والعبادة، وكان من أهل الدعوة والإصلاح،كان مثالًا للعالم المربّي الذي يقرن بين المعرفة النظرية والعمل التطبيقي، ويؤكّد على الالتزام بالكتاب والسنّة.

(٣) الدكتور مُحَمَّد مصطفى الشبلي ولد في سنة ١٩١٠م، في بيت حنيف مركز الباجور، وكان الأستاذ للشيخ مُحَمَّدكرم شاه في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، وتوفي سنة ١٩٩٧م في مصر، انظر: جمال كرم (١/٣٠٨).

أيضاً بالدراسات العليا في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، واستفادَ مِن معارف علميَّة ومحاسن خلقية للإمام الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة[١].

المطلب الثالث: أبرز تلامذته

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله قمَّة في فكر أدبي لجميع العالم الإسلامي، وهي أرسى عقيدة الاجتهاد والفكر في نفوس الطلاب الذين التفّوا حوله مِن أنحاء العالم، ونهلوا مِن هذا المنهل العذب الصافي، واغترفوا مِن عِلمِه وأقبلوا على القلوب الميّتة يبعثون فيها الحياة، قد أسَّسَ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري مؤسّسة علميَّة باسم "دار العلوم مُحَمَّدية غوثية"، اشتغل الشيخ فيها لخدمة العلوم الدينية بعد إكمال دراسته ورجوعه منَ الأزهر، فدرس هناك مئات مِن أبناء العلم مِن داخل باكستان وخارجها، ولا نستطيع أن نعدَّ تلامذته عدّاً، ولكن نذكر منهم أسماء تلاميذه البارزين في مجال الإبداع ومنهم مما يلي:

١– مولانا مُحَمَّد خان نوري:

تفتحت عينا مُحَمَّد خان نوري بقرية أبدال سنة ١٩٣٧م، وبعد إكمال دراسته في المدرسة الابتدائية التحق بدار العلوم المحمدية الغوثية سنة ١٩٥٧م، عندما قام العلامة مُحَمَّد كرم شاه بإعادة تنظيم دار العلوم وتجديد هيكله كاملة تأسيساً على أسس حديثة تتوافق مع التطورات العالمية والتغيرات العصرية، وسلك سبيل العلم والفكر بجدّ وكد، ونال الشهادة العالمية سنة ١٩٦٧م، وشغل منصب التدريس بدار العلوم بقسم التفسير، ثم اختير عميداً لها سنة ١٩٩٩م. وألف كتباً عديدة في موضوعات متنوعة نذكر منها ما يلي:

١–حاشية على تفسير البيضاوي.

٢– تسهيل النحو (في علم النحو).

٣– تسهيل الصرف (في علم الصرف)[٢].

٢– مولانا عطاء مُحَمَّد:

وُلد في قرية "جكرالة" سنة ١٩٤٠م، والتحق بالمدرسة الابتدائية، واجتاز مراحلها، ثم التحق بدار العلوم المحمدية الغوثية سنة ١٩٥٧م، ومرّ بالمراحل التعليمية بدار العلوم، ونال الشهادة العالمية في العلوم الإسلامية والعربية، والدبلوم باللغة الإنجليزية سنة ١٩٦٧م، ثمَّ اختير مدرساً بدار العلوم بقسم الأدب العربي، وذاع صيته بين الأدباء بفصاحته وبلاغته وبراعته في اللغة العربية، وكان منَ المهرَة الذين ذاقوا حلاوةَ أشعار الجاهلية والمخضرمين والإسلام، وعلى صعيد

---

(١) مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، أحد كبار علماء الفقه والفكر الإسلامي في القرن العشرين، وُلد في مدينة المحلة الكبرى بمصر عام ١٨٩٨م، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالجامع الأحمدي بطنطا، وبعده بالجامع الأزهر حيث درس العلوم الشرعية والعربية.

(٢) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري،حافظ مُحَمَّد منير الأزهري (ص/ ٩٣).

آخر لَم يغفل عن شعراء العصر الحديث، ودرَّسَ الأدب العربيَّ على خير وجه منذ تعيينه مدرساً حتى اليوم.

٣- مولانا مُحَمَّد بوستان:

وُلد صاحب الترجمة سنة ثمانية وخمسين بعد الألف وتسعمائة للميلاد في بيت متمسك بالدين؛ فقد كان والده يعمل في الزراعة بقرية "كهوكرزير" مديرية جكوال باكستان، فأرسله والده في المدرسة الثانوية الحكومية بقريته لإكمال دراسته إلى المرحلة الثانوية، وبعد الحصول الشهادة الثانوية شغف بالدراسات الدينية، فالتحق بدار العلوم المحمدية الغوثية سنة ١٩٧١م، وقطع المراحل التعليمية من مرحلة الكلية إلى مرحلة الماجستير في العلوم الإسلامية والعربية، وبعد فراغه من الدراسة سنة ١٩٨١م، ثم اختير مدرساً لتدريس العلوم الإسلامية العربية بدار العلوم المحمدية الغوثية، وهكذا صار صاحب الترجمة بتعليم وتربية أبناء الأمة الإسلامية خلال تدريسه ومؤلَّفاته على نهج أستاذه وشيخه العلامة مُحَمَّد كرم شاه، بالإضافة إلى مقالاته التي نشرت في المجلات، وترجم بعض الكتب من اللغة العربية إلى اللغة الأردية منها التفسير المظهري للقاضي ثناء الله الذي ترجمه من اللغة العربية إلى اللغة الأردية، وما زال يقوم بمهمة التدريس والتعليم[١].

٤- العلامة عبد الرسول أرشد:

وُلد في قرية كلر كهار سنة ١٩٤٨م، والتحق بالمدرسة الحكومية، ودخل الامتحان الثانوي سنة ١٩٦٤م، والتحق بدار العلوم المحمدية الغوثية سنة ١٩٦٤م، وأكمل دراسته في سنة ١٩٧٣م، ونال شهادة العالمية، ورحل إلى لاهور للحصول على مزيد من التعليم، فحصل على شهادة الماجستير من جامعة البنجاب في الأدب العربي، ثم سافر إلى أوروبا، وتعلم هناك اللغة الإنجليزية، ودرس الاستشراق وموضوعات أخرى تتعلق بالإسلام والمسلمين، وعاد إلى بلاده سنة ١٩٩٥م، وكتب كتابا فيه رد على المستشرقين بإشارة أستاذه العلامة مُحَمَّد كرم شاه، وحظي مجهوداته بقبول حسن بين الأوساط العلمية والفكرية، وسمّى كتابه ضياء النبي.

٥- الشريف السيد لخت حسنين شاه:

وُلد السيد لخت حسنين شاه في ١٤يوليو عام ١٩٦١م، بقرية سوهدرا إقليم الأشراف الذين هاجروا مِن أرض الحجاز إلى شبه القارة الهندية بنجاب، وإنه من الهند وباكستانية لإشاعة الرسالة الثقافية الواعية مفعمة بكتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد تلقى السيد لخت حسنين شاه العلوم الابتدائية في المدرسة الحكومية التي موجودة آنذاك، وبعد ما تخرَّج في المرحلة الثانوية أراد المزيد من العلوم والفنون، فاختار لهذا المقصد العظيم "دار العلوم المحمدية الغوثية بهيرة" عام ١٩٧٧م، واجتاز هذه المراحل التي تناولت الليسانس والدراسات العليا في العلوم العربية والإسلامية وتخصص في

---

(١) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري،حافظ مُحَمَّد منير الأزهري (ص/ ٩٢).

الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الإطار تلقَّى فيضًا علميًا مِن جانب، ومن جانب آخر استنار بالفيض الروحي مِن ضياء الأمة العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله حيث بايعَ على يده وانخرط في سلك محبيه ومريديه.

قد تخرَّج الشريف السيد لخت حسنين شاه في دار العلوم عام ١٩٨٥م، وشد أزره للدخول في المجال العملي لأداء دوره كما كان كل عالم يريد أداء الرسالة المستقاة من الكتاب والسنة.

ففي البداية نجد حياته مشغولة في خدمة الإسلام والمسلمين في جمهورية باكستان الإسلامية، ثم عزم الشريف السيد لخت حسنين شاه الرحيل إلى إنجلترا عام ١٩٧٩م، وأسس هناك جمعية خيرية لتقديم المساعدات بكل الأنواع والأشكال إلى العالمين العربي والإسلامي، وسمى هذه الجمعية Muslim Hand الجمعية الخيرية العالمية لمساعدة المسلمين تلك التي تُنشئ المستشفيات والمدارس والبيوت للناس الذين لا يجدون ما يقتاتون به ومما تجدر الإشارة أنَّ كل همّ الشريف لخت حسنين شاه ينصب في تربية الأجيال المسلمة الحاضرة والقادمة وفق القرآن والسنة، لسيادة الأمن والسلام ورفع راية الإسلام فوق ربوع العالم[١].

٦- الأستاذ البروفيسور حافظ أحمد بخش:

وُلد بقرية "الليانى" مديرية سرجودها سنة ١٩٥١م، ونشأ في جوٍّ إسلامي روحي، إذ كان والده يخدم أهل قريته بتعليمهم قراءة القرآن وهدايتهم إلى الصراط المستقيم أثناء تبليغه وتدريسه للناس، استهلَّ صاحب الترجمة تعليمه بحفظ القرآن التكريم على يد والده، وهذه هي أول بذرة زرعها والده في نفسه لتنمية الحبِّ الديني والإقدام على العلوم العربية والإسلامية، وبعد انتهاء المرحلة الثانوية مِن دراسته التحقَ بدار العلوم المحمدية الغوثية بهيرة سنة ١٩٦٥م، واستمَرَّ في دراسته بشغفٍ ونهمٍ حتى حصل على شهادة الماجستير في العلوم العربية والإسلامية سنة ١٩٧٧م، ومما هو جدير بالذكر أنه حصل على درجة الماجستير في علم الاقتصاد أيضاً سنة ١٩٧٩م، بالإضافة إلى أنه حاز على الميداليَّة الذهبية من جامعة بنجاب، ثم بدأ تدريس علم الاقتصاد واللغة العربية وآدابها في دار العلوم المحمدية الغوثية.

وللأستاذ أحمد بخش مؤلَّفات توضح فكر العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، نذكر منها على سبيل المثال:

١-مقدمة مقالات.

٢- سحاب الكرم، مجلد واحد.

٣- جمال كرم، ثلاثة مجلدات.

وما عدا ذلك طبعَت مقالاته في المجلَّات الأسبوعية والشهرية في باكستان، وهو في الوقت الراهن يقوم برئاسة تحرير مجلة ضياء حرم التي تصدر شهرياً، والتي تأسست سنة ١٩٧٠م على يد العلامة مُحَمَّد كرم شاه، ونالت سُمعة حسنة في آفاق العلم والأدب في باكستان وخارجها، وتسلم رئاسة التحرير سنة ١٩٩٩م، وما زال يقوم بالتدريس

(١) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري،حافظ مُحَمَّد منير الأزهري (ص/٩٢).

ورئاسة المجلَّة، ولقد سعدت بتلمذة هؤلاء الجهابذة العلماء الَّذين استقوا مِن فكرالعلَّامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله، كما سعدت بتلمذة على يده بصِفة مباشرة أيضاً، وهؤلاء وأمثالهم استفادوا كثيراً منَ المفكِّر الإسلاميِّ الكبير العلَّامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، وتأثَّروا عميقاً في المجالات العلميَّة، وانخرطوا في سبيل العلم والمعرفة[١].

المطلب الرابع: آثار الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

١ –دار العلوم الإسلامية:

إنَّ آثاركل إنسان تبقى في الحياة بقدر ما قدم للبشرية مِن أعمال نافعة وفقاً لقوله تعالى: ﴿أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[٢].

وقد نال الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله حظًّا وافرًا من الأعمال العظيمة في حياته، ومن أبرزها تجديد دار العلوم المحمدية الغوثية بعد عودته من مصر سنة ١٩٥٧م، وهي التي أسسها والده الشيخ مُحَمَّد شاه رحمه الله سنة ١٩٢٥.

قام الشيخ رحمه الله بوضع مناهج دراسية جديدة تضم المواد المعاصرة كعلم الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، واللغة الإنجليزية، إلى جانب العلوم العربية والإسلامية، وذلك لتأهيل الخريجين لمواجهة الظروف المتغيرة آنذاك. فقد كان الإنجليز قد أغلقوا الجامعات والمدارس الدينية في الهند، وفصلوا بين الدين والعلوم العصرية كما فصلوا بين الكنيسة والحكومة في بلادهم، ولاقت هذه المناهج الجديدة قبولًا واسعًا لدى الأمة الإسلامية لما تميزت به من فوائد عديدة وقيمة معنوية كبيرة، فأُسست لاحقًا مئات الكليات للعلوم الإسلامية لتدريس تلك المناهج كفروع لدار العلوم المحمدية الغوثية، وتخرّج في هذه المعاهد آلاف العلماء، من المدرسين والأساتذة والمحامين ورجال الحكم والقضاء وغيرهم من مختلف مجالات الحياة. وانتشر نور العلم في أرجاء البلاد وخارجها حتى وصل إلى الدول الأوروبية، بما فيها فرنسا وألمانيا وكندا وأمريكا وبريطانيا، حيث أُقيمت هناك مساجد ومراكز إسلامية على أيدي خريجي دار العلوم المحمدية الغوثية[٣].

٢– المكتبة ودار الافتاء المركزية:

أقام الشيخ رحمه الله مكتبةً مركزية في الدار، تزخر بآلاف الكتب القيّمة في العلوم الإسلامية والعصرية، وذلك في مبنى كبير ملحق بـ"قاعة الفريد للاحتفالات الكبرى"،كما فوَّض رحمه الله شؤون الفُتيا إلى تلاميذه الأبرار الذين يعملون في دار الإفتاء المركزية.

٣– مجلة ضياء الحرم:

---

(١)تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري،حافظ مُحَمَّد منير الأزهري (ص/٩٢).

(٢) سورة الرعد، الآية ١٧

(٣) مجلة شهرية، ضياء الحرم يناير،١٩٧٣، (ص/٦).

أصدر الشيخ رحمه الله مجلةً شهرية بعنوان ضياء الحرم، حازت شهرةً ومكانةً مرموقة في الأوساط العلمية بفضل توجيهاتها القيّمة في المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية. وقد تحدَّث الشيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري [1] عن أهميتها ودورها في ترشيد الأمة الإسلامية، فقال: " أصدر العلّامة مُحَمَّد كرم شاه ضياء الحرم سنة ١٩٧٠م، وهي تصدر إلى اليوم بنجاحٍ كبير، وسرُّ نجاح هذه المجلة يكمن في الكلمة التي كان يكتبها العلّامة مُحَمَّد كرم شاه بصفته رئيسًا للتحرير، إذ كان رحمه الله يرشد الأمة الإسلامية إلى التقدُّم ببالغ الحكمة، ويوجه كلمةً صريحةً وجريئةً إلى حكام البلاد أيضًا، مستندًا إلى واقع الأحوال فيها، فكان ينصحهم بالسير على الصراط المستقيم، ويقدّم لهم الاقتراحات المهمة التي تخدم مصلحة البلاد والعباد"[2].

٤– دارضياء المصنفين:

اهتمَّ الشيخ رحمه الله بإنشاء دار المصنِّفين لتأليف، وترجمة الكتب، ونشر البحوث في التراث والعلوم الإسلامية، ملبّيًا متطلبات العصر الحديث، وقد أُلفت وترجمت في هذه الدار كتبٌ كثيرة.

٥–دار المبلّغين:

اعتنَى الشيخ رحمه الله بتيسير سبُل الدعوة والتبليغ بإعداد المبلّغين على أسس العلم والأخلاق الكريمة، فامتازوا باعتدال الرأي وحسن الخلق والحكمة والموعظة الحسنة فنجحوا فى مهامهم الجسيمة وأهدافهم النبيلة.

٦– دار ضياء القرآن للنشر والطباعة والترجمة:

أقام الشيخ رحمه الله دارًا للنشر والطباعة تهدف إلى طباعة المؤلفات الصادرة عن دار ضياء المصنِّفين وغيرها. وخلال الثلاثين سنة الماضية أصبحت هذه الدار من كبريات دور النشر في جمهورية باكستان الإسلامية، ولها فروع ومنافذ بيع داخل البلاد وخارجها، وقد صدر عنها مئات الكتب القيّمة التي أسهمت في نشر الوعي والثقافة الإسلامية.

٧– مؤلّفاته:

ألَّف الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله كتبًا كثيرة، من أبرزها:

١. سُنَّة خير الأنام ﷺ: ألَّفه في علم الحديث أثناء دراسته في مصر، وهو تحفة أدبية تجمع بين التحقيق العلمي

---

(١) هو الشيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري ،لقد قام بتدريس العلوم الإسلامية والعربية ، له مؤلفات قيمة في شتى الموضوعات الدينية كما أنه قام بترجمة العديد من الكتب العربية والفارسية إلى الأردية. انظر: الشيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري، من عقائد أهل السنة، الطبعة: منظمة الدعوة الإسلامية، لاهور، پاكستان، (ص/ ١١ ١٣) ١٩٩٥م.

(٢)كرامة العقل والبرهان، شيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري، مقال مستخرج من كتاب أجالوں كانقيب، أستاذ عمران حسين، (ص/٢٠) الناشر: دار السنة، إنجلترا، الطبعة العام: ١٩٩٨م.

والرد على منكري الحديث.

٢. ضياء النبي ﷺ: كتاب في السيرة النبوية في سبعة مجلدات ضخمة، نال به الشيخ رحمه الله جائزة الدولة في مجال السيرة. يمتاز بأسلوب أدبي رفيع مفعم بحب النبي ﷺ، ويتناول أحوال الأمم السابقة للعهد النبوي والسيرة المصطفوية، مع الرد على اعتراضات المستشرقين.

٣. ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان جمال القرآن.

٤. مقالات ضياء الأمة: مجموعة مقالات علمية قيّمة في شتى مجالات العلم والمعرفة.

٥. شرح قصيدة أطيب النعم للشاه ولي الله رحمه الله.

٦. ترجمة دلائل الخيرات مع إضافات للإمام أبي عبد الله السيد مُحَمَّد بن سليمان الجزولي الحسني رحمه الله[١].

٧. تفسير ضياء القرآن: أشهر مؤلفاته في خمسة مجلدات ضخمة يبلغ مجموع صفحاتها نحو ٣٥٨٢ صفحة[٢].

تكريم العالم للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري:

لقد قام العلّامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله بخدمة دينه الحنيف وبلده طوال حياته، مستثمرًا ما شرّفه الله تعالى به من علمٍ غزير وفكرٍ رفيع، فأكرمه الله تعالى بقبولٍ حسن، إذ نالت كتبه تقديرًا واسعًا في كلٍّ من باكستان والهند، وتجاوز هذا القبول عامة الشعب ليصل إلى مستويات رسمية، حيث قدِّمت له أوسمة وشهادات تقدير.

ومن أبرز هذه التكريمات:

١. منحت الحكومة الباكستانية العلّامة مُحَمَّد كرم شاه وسام الامتياز[٣] وقلَّده إياه الرئيس الباكستاني الأسبق الجنرال ضياء الحق، اعترافًا بخدماته الجليلة في مختلف المجالات الدينية.

٢. قدّم له الرئيس المصري الأسبق مُحَمَّد حسني مبارك نوط الامتياز من الطبقة الأولى سنة ١٩٩٢م.

٣. وذلك في احتفال مصر بليلة القدر المباركة، تكريمًا لإبداعاته الفكرية والأدبية على مستوى عالمي قلّده الرئيس الكشميري الأسبق سردار[٤] عبد القيوم خان وسام الامتياز عن كتابه ضياء النبي، وعدَّه أفضل الكتب في السيرة النبوية لعام ١٩٩٣-١٩٩٤م.السيرة النبوية.

---

(١) مُحَمَّد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملالي، فقيه صوفي مغربي مالكي، من كبار مشايخ المغرب، من أشهر مؤلفاته ، دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ، انظر:الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين،(٤٦/٦). بيروت، الطبعة السابعة، ١٠٨٦م.

(٢) مجلة شهرية ضياء الحرم يناير١٩٧٣، (ص/٢٥).

(٣) (وسام الامتياز) بالأردية: تمغة امتياز: هو أحد أرفع الأوسمة الوطنية في باكستان، يُمنح تقديرًا للأشخاص الذين قدّموا خدمات جليلة للوطن في المجالات: الدينية، أو الأدبية، أو العلمية، أو العسكرية، أو السياسية، أو غيرها من ميادين خدمة المجتمع والدولة.

(٤) كلمة سردار، تستخدم لفرد ينسب إلى قبيلة سردار في كشمير.

وبعد مرور عامين على وفاته، انعقد المؤتمر العام بمناسبة ذكرى ضياء الأمة العلّامة مُحَمَّد كرم شاه في إنجلترا، بجامعة الكرم[١]، في أوائل يوليو عام ٢٠٠٠م، وقد شارك في هذا المؤتمر الأستاذ الدكتور أحمد هاشم[٢]، رئيس جامعة الأزهر الشريف سابقاً، والأستاذ الدكتور طه مصطفى أبوكريشة[٣]، نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف سابقاً، وخلال المؤتمر، قدَّم فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة درعاً فخرياً للعلّامة مُحَمَّد كرم شاه، تقديراً له واعترافاً بإسهاماته القيّمة في نهوض الأمّة الإسلامية على المستويين الإقليمي والدولي، وقد تسلّم الدرع فضيلة الشيخ مُحَمَّد أمين الحسنات شاه، نجل العلّامة مُحَمَّد كرم شاه وخليفته[٤].

(١) هي أُسِّسَت بمدينة ملتى كتير سنة ١٩٨٥م، ومؤسسها الشيخ مُحَمَّد إمداد حسين باسم العلامة مُحَمَّد كرم شاه حيث تدرس العلوم العربية والإسلامية حسب مقتضيات العصر والبيئة المحيطة بها لتشكيل بناء مجتمع إسلامي في بلاد أوربا عامة، وفي بريطانيا خاصة، ثم حولت هذه الجامعة من مدينة ملتى كنيز إلى مدينة ايتن بال سنة ١٩٩٥م، وما زالت هذه تقوم بنشر الوعي الديني والثقافي على منهج العلامة مُحَمَّد كرم شاه.

(٢) أحمد عمر هاشم، هو عالم مسلم مصري، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف.

(٣) من علماء الأزهر الشريف، وأحد أبرز الأساتذة في مجال التربية والفكر الإسلامي.

(٤) الاحتفال النبوي بمناسبة ذكر ضياء الأمة مُحَمَّد كرم شاه، ذو الفقار حيدر، (ص/١٩)، الناشر: مؤسسة الكرم ، الطبعة: ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني: ألأحوال في عصر الشيخ محمد كرم شاه الأزهري رحمه الله

وُلِد الشيخ عليه الرحمة في فترة كانت شبه القارة الهندية تعيش تحولات سياسية وفكرية كبرى؛ إذ كانت تحت الاحتلال البريطاني، وتشهد حركات تحرر ونهوض إصلاحي ودعوي، في تلك المرحلة انتشرت المدارس الدينية والحركات الإصلاحية لمواجهة التغريب والانحلال الأخلاقي، كما نشطت جهود العلماء في الحفاظ على الهوية الإسلامية ونشر التعليم الشرعي. وبعد تقسيم الهند سنة ١٩٤٧م وقيام دولة باكستان، دخلت البلاد مرحلة بناء الدولة الجديدة، لكنها واجهت تحديات فكرية وسياسية واقتصادية، مما أوجد حاجة ماسة لعلماء ربانيين يجمعون بين الفقه في الدين وفهم متطلبات العصر، وهو ما برز فيه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله ، وستأتي لاحقًا تفصيل أحواله الاجتماعية والثقافية والسياسية في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأحوال الاجتماعية في عصره

لقد سادَ الحكم الإسلامي منذ بداية القرن الثامن الميلادي إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي في شبه القارة الهندية، وخلال هذه الفترة تطوَّرت الحالة الاجتماعية والاقتصادية لسكان البلاد في كافة المجالات، ومن هنا كانت الهند إزدهر في الزراعة والصناعة بعمل التجارة الحرة مع البلاد العربية وأوربا وإفريقيا، وأنتجت خيرًا كثيرًا لأهلها، فسعدوا بالحياة المطمئنة.

وكان الحكام المسلمون يعطون الفرص التطور الاقتصادي لجميع الهنود مِن غير تفرقة بين أهل الديانات المتفرقة ليتسابقوا في المنتجات الصناعية والزراعية التي تدور حول نظام اقتصادي يقوده الملوك والسلاطين بدقة عقلهم وجودة رأيهم، وهذا هو ما أشار إليه أحمد محمود الساداتي قائلاً: "فوضع علاء الدين الخلجي نظاما ثابتاً للضرائب، وعنى بالزراعة عناية فائقة حتى توفرت الأقوات في البلاد، وأفشا اليسر والرخاء، وكان هذا السلطان أول مَن أحكم ضبط الأسعار في بلاده الواسعة، وقد شاهد ابن بطوطة بنفسه أهرام الحبوب التي كان علاء الدين قد أقامها بدلهي"[(١)].

هذا الرعد وهذه الانطلاقة استمرَّت ورفعت شوكة أهل الهند وجاههم إلى سماء الاجتماع والاقتصاد، وميزَتهم بين الأسرة الدولية بميزاتها وخاصياتها في الحداثة والثراء الاقتصادي، فأشربت أطماع الإنجليز إلى خيرات بلاد الهند، وحرصوا على استنزافها للاستمتاع بها، ولذلك قصدوا التسلط على الهند بالاستيلاء على حكومتها وتجارتها بالمخالب الشقيّة التي تسربت في أعراقهم وعروقهم عام ١٦٠٠م، وقد قطع الاحتلال البريطاني أنفاس سكان الهند، وقضى على حياتهم الرّغد، وصيّرها إلى بؤس وفقر، وهو ما اعترف به الكاتب الإنجليزي أوبرت نايت قائلاً: "ولما قدمنا إلى الهند

(١) تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، دكتور أحمد محمود الساداتي، (ص/٤٨) دارالثقافة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م.

سنة ١٨٠٧م، كان فيها الثراء والثروة الكافية، والآن نرى الكثيرين من أهلها لا يجدون ما يسترون به أجسامهم"[١].

فلَم يكتف الاحتلال البريطاني بمظالمه ضد أهل هذه المنطقة (الهند)، بل كثف جهوده لاستقاء دمائهم حتّى آخر نقطة في أجسادهم الهزيلة، وتركهم أمواتاً يبحثون عن الأرزاق، ويلهثون عطشى أمام الآخرين، ومِن هذا المنطلق وقف النابهون منَ المسلمين أمام الزحف البريطاني الحماية حريتهم وصيانة حقوقهم الاقتصادية، وخطر على بال الاحتلال البريطاني بشأن المسلمين النابهين أنهم يحرضون الناس على النضال معهم حتى يطردوهم من الهند، فأراد الإنجليز خدعة المناضلين المسلمين بإثارة الفتنة بين الهندوس والمسلمين، مع تحريف التاريخ القديم فيما يتعلق بمعبد سومنات[٢] وغيره في أوائل القرن الخامس الهجري، والمعروف أن السياسة البريطانية في الهند يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوسية إليها لتستعين بهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد[٣].

وقد أدت هذه الظروف إلى اندلاع ثورة الحرية سنة ١٨٥٧م، وانكمشت سلطنة دلهي، وآلت الدولة إلى المحتلين البريطانيين، فقضوا كل الأوضاع الاجتماعية حتَّى إذا ما أصدروا قوانين التملك الزراعي الذي نظّم للأوربيين حقوق امتلاك الأراضي الكثيرة والصياع الواسع بالهند، وكان المسلمون يمارسون زراعتها بمقتضى هذا القانون ملكًا للضرائب من الهنادكة، وانقلب المزارعون الأصليون، الذين صودرت أراضيهم، أُجراء عند غيرهم[٤]، وهكذا وضع الإنجليز أسس النظام الرأسمالي[٥]، في هذه المنطقة، وكوَّنوا أجواء مناسبة لنَيل ثمرات هذا النظام للملكة فكتوريا[٦] التي تقود بريطانيا والمستعمرات، ومع ذلك فإن أهل الهند لَم يعرفوا مثل هذا النظام مِن قبل، ولذلك أصبح أصحاب المصانع موسرين على حساب العمال الذين صاروا من المفلسين، وكانوا لعبة في أيدي الرأسماليين، إذ كانوا يؤدون مِن خلالهم دورًا انتهازيا ضعف بسببه الاقتصاد الهندي.

---

(١) مجلة شهرية ضياءالحرم يناير (ص/٦) الطبعة : ١٩٧٣.

(٢) سومنات: هو اسم معبد هندوسي شهير يقع في مدينة بربندر ،كاثياوار ،ولاية ججرات (الهند)، ويُعد من أقدس معابد الإله "شيفا" عند الهندوس. الكلمة مشتقة من السنسكريتية: سوما (القمر) + ناث (السيد/الإله)، أي "سيّد القمر"، انظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية،البيروني، (ص/٥٦) تحقيق: إدوارد سخاو، ليدن، ١٨٧٩م.

(٣) مجلة شهرية ضياءالحرم يناير (ص/٦) الطبعة : ١٩٧٣.

(٤) نفس المرجع (ص/١١٦)

(٥) هو نظام علماني يبحث في وسائل إشباع حاجات الإنسان من الناحية المادية البحتة مستندا في كل ذلك إلى فصل الدين نهائيا عن الحياة، (٢) الاقتصاد الإسلامي في مرآة الإسلام، دكتور محمود الخالدي، (ص/٢٥)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م.

(٦) الملكة فكتوريا: هي ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، واعتلت العرش عام ١٨٣٧م، واستمر حكمها حتى وفاتها سنة ١٩٠١م، انظر: تاريخ أوروبا الحديثة، وليم لاكوير، ترجمة أحمد محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠م.

لقد شبَّ العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في فترة النظام الرأسمالي في شبه القارة الهندية، وأدرك أنه نظام يفصل الدين عن الدنيا، ويفرق بين أبناء آدم على أساس المادة، فكرة هذا النظام غاية الكراهية، وأخذ يعمل على تبصير الناس بمحاسن النظام الاقتصادي العادل للإسلام وذلك مِن خلال تفسيره للقرآن الكريم ضمن الآيات التي تتحدث عن الاقتصاد، كما أبدَى رأيه في النظم الاقتصادية غير الإسلامية أيضًا، وبعد فترة قصيرة مِن استقلال باكستان أوقدت الشيوعية نارها في أرجائها، وكان الناس في الراحة وجمود، ولَم يكونوا قد خرجوا بعد من مشكلات النظام الرأسمالي، فحاول الاقتصاديون اللجوء إلى الشيوعية على أمل إخراج أهالي باكستان منَ الإفلاس إلى الرغد، ومن الكساد إلى التجارة الحرّة التي تضمن الازدهار للناس، ونوَدّ أن نشير هنا باختصار شديد إلى الشيوعية التي تمحوَرت في روسيا وضواحيها، وقد بني المذهب المادي على أسس أهمّها ما يلي:

١- لا وجود لفكرة إله ولا وجود إلا للمادة وحدها.

٢ - المادية الجدلية، وهي التي تعني الصراع بين الظواهر المادية وما فيها مِن تناقضات حتى تصل إلى الشيوعية، وكلما تقدم المجتمع خطوةً نحو الهدف سمي ذلك تقدُّماً.

٣- والمادية التاريخية تعني أن لا يكون أثر للفكر أو للدين في التاريخ وتطوّره.

٤- إلغاء الملكية[١].

لقد خالف العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله كلا النظامين في جمهورية باكستان الإسلامية الرأسمالي والشيوعي على السواء، وركز على أهمية الفكرة الأساسية التي تتعلق بالنظام الاقتصادي الإسلامي، وهو نظام يضمن حقوق العاملين، وردّ على الذين يستمدون، أنماط حياتهم مِن منابع الشيوعية ويوقنون بحل مشكلاتهم وِفقَ هذا النظام، آية:﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[٢] حيث أوضح العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله أنَّ الشيوعيين يستدلُّون بهذه الآية على صحة نظامهم، زاعمين أنَّ الله وضع الأرض للناس، فهي إذا ملك للحكومة التي تُوَزِّعها على الناس على قدر حاجاتهم؛ لأن لفظ الأنام يطلق على الناس، فقال الشيخ رحمه الله في تفسير الآية المذكورة: "إن هذه الكلمة تعني الإنس والجن والوحوش والطيور، فكيف يمكن لنا أن نتخذ مفهوماً للإنسان فقط ونستدل به على الشيوعية"[٣].

ومما يُثير العجب أنَّ روسيا مع نظامها انهارت في الثمانينيات، ولم تسعد الإنسانية بثمرات الشيوعية بسبب مساوها ومعايبرها، ومما يدعو للأسف أن بعض الزعماء السياسيين مثل باكستان رفعوا أصواتهم مؤيدين النظام الشيوعي حتى تأسس حزب الشيوعي على يد ذو الفقار علي بوتو سنة ١٩٦٧م[٤].

---

(١) إسلام لا شيوعية، عبد المنعم النمر، (ص/١٩)، قاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م.

(٢) سورة الرحمن، الآية :١٠

(٣) تفسير ضياء القرآن، (٦٨/٥).

(٤) تاريخ باكستان وسياستها، صفدر محمود، (ص/١٣٦)، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.

وتسمى بحزب الشعب الباكستاني (Peoples Party (Pakistan) أخذ يدعي مراعاة حقوق الناس وتوفير الطعام والكساء والسكونة، ولكن هذا الحزب مع هتافاته البديعة لم ينجح في إقامة النظام الشيوعي في باكستان، بل هدمت الشيوعية نفسها وانهارت في جرُفٍ هار، فأدرك الناس أن هذا النظام لم يستوفِ حقوق الناس، بل هيأ حرمانا ويأسا، فراحوا يبحثون عن نظامٍ جديد يُراعي كرامتهم ويشبع حاجاتهم.

وقد أكَّدَ العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله من خلال مؤلفاته على أن النظام الرأسمالي لا يحترم اجتهاد العاملين، وأنَّ النظام الشيوعي لا يُبالي بحرية رأيهم وحاجاتهم، أمّا النظام الاقتصادي الإسلامي فإنه يوقر آراءهم، ويكفل لهم الحرية ويوفيهم أجورهم بقدر أعمالهم[1]، وهذا هو الحلم الذي رآه العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في حياته لإصلاح المجتمع الباكستاني، وتمنَّى تنفيذه في جمهورية باكستان الإسلامية.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً بأن العلامة مُحَمَّد كرم شاه أدخل مادة الاقتصاد في مناهج دار العلوم المحمدية الغوثية، حتى يستطيع خريجها المساهمة في إصلاح الاقتصاد مِن أجل تحسين أوضاع المجتمع الباكستاني، كما قام بالتدريس لعدد كبير منَ الطلاب الذين قاموا بخدمات علميَّة ودينيَّة في كافات المجالات في باكستان؛ فمنهم من هو مدرس في كلية أو جامعة، ومنهم مَن هو داعية يدعو إلى الله على بصيرة متصفاً بالوسطية والاعتدال في الفكر والسلوك والعمل.

خلاصة الكلام:

سادت الحضارة الإسلامية في شبه القارة الهندية من القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع عشر، فازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة، وعاش الناس في رخاء وعدل دون تفرقة دينية، لكن الأطماع البريطانية أدت إلى الاحتلال عام ١٦٠٠م، فاستنزفوا خيرات البلاد وأضعفوا اقتصادها، وأثاروا الفتن بين المسلمين والهندوس، مما مهّد لثورة ١٨٥٧م التي انتهت بسيطرة الإنجليز، أقام الاحتلال النظام الرأسمالي الذي عمّق الفقر والظلم، وفي ظل هذا الجو نشأ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه، فرفض الرأسمالية والشيوعية معًا، وبيّن من خلال تفسيره للقرآن فساد هذين النظامين، ودعا إلى النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على العدل، وضمان حقوق العاملين، واحترام حريتهم، كما أدخل مادة الاقتصاد في مناهج دار العلوم المحمدية الغوثية، لإعداد جيل يساهم في إصلاح الاقتصاد والمجتمع في باكستان.

المطلب الثاني: الأحوال السياسية في عصر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

دخل العرب شبه القارة الهندية لغرض التجارة وصاروا هناك متميّزين بأخلاقهم الفاضلة ومعاملتهم الحميدة وسلوكياتهم الحسنة، فتأثر أصحاب الديانات الأخرى بقيَمهم تحت شعار الإسلام ولم يعرفوها مِن قبل بما فيها من

(١) مقالات، مُحَمَّد كرم شاه، (٢٦٠/١).

عدل وحرية ومساواة، حتَّى قلدوا أعناقهم قلادة الإسلام، وراحوا يمثّلون الإسلام في المنطقة الهندية.

ففي القرن الأول من الهجري أخضع الفاتح الإسلامي العربي مُحَمَّد بن القاسم الثقفي[١] بلاد الهند تحت رعاية الحكومة الإسلامية، ثمَّ استمرَّ الحكم الإسلامي سائداً فيها لأكثر ألف سنة إلى أن ثارت أطماع الشركة الإنجليزيةتجاه موارد البلاد الهائلة منذ تأسيسها عام ١٦٠٠م[٢].

وقد حاول البرتغاليون والفرنسيون والهولنديون السيطرة على البلاد مِن قبل اقتصادياً واستراتيجياً، لكن البريطانيين استطاعوا التخلص مِن كلّ هذه القوّات الوافدة وراء الثروات الهندية، واختطت لنفسها خطة رائعة تمكّنها من النفود والسيطرة عليها، وبالتالي نجحَت في تنفيذها إلى أن تغلَّبَت على الدولة المغولية سنة ١٨٥٧م بعد القضاء على ثورة التحرير التي نقضَت غبار انزواء شبه القارة الهندية بسبب عدم التفات المسلمين إلى توحيد الكلمة، وعدم تخلُّصهم منَ الانغماس في الحروب الطائفية، وعدم أخذ العبرة من التاريخ السياسي، فأدَّى ذلك إلى أفول شمس المسلمين في هذه المنطقة مع قدوم الاحتلال الإنجليزي الذي حرص على ربط أواصر العلاقة مع الهنادكة الذين كانوا يتمنَّون زوال الحكم الإسلامي منذ أول وهلة زرعَت فيها بذور الإسلام في أراضيها، واستطاع الإنجليز تشتيت شمل المسلمين مِن جميع النواحي ليريحوا أموالاً طائلة يحملونها إلى بلادهم؛ ومن هنا بدأ فكر الحرية يدور في إدمان صفوَة رجالات الإسلام، وهو ما أشار إليه ستايلي وعبرت الكاتب الإنجليزي قائلاً:"إنَّ الحركة الباكستانية في الواقع بدأت عام ١٩٤٠م عندما قمع البريطانيون أول ثورة هندية من أجل الاستقلال، وراحوا يضطهدون المسلمين بصِفتهم الحاكمة السابقة في البلاد، قد أدَّى هذا إلى تطوُّر الوعي السياسي المتميز بين مسلمي الهند البريطانية الذين كانوا على يقين مِن أنهم يجب أن يبذلوا جهداً خاصاً في كلِّ مجال، مِن أجل الحفاظ على هويَّتهم السياسية"[٣].

والحق أن حجر أساس باكستان وضع منذ دخول أوَّل مسلم في شبه القارة الهندية، ولكن الأوضاع تطوَّرت إلى تشكيل الدولة الإسلامية في أواخر العقد الخامس منَ القرن العشرين الميلادي، لقد رحّبَ الهنادكة بالإنجليز ترحيباً حاراً، وخاصة فيما يتعلق ببعد المسلمين عن السياسة والحكم، فاستجاب الإنجليز أطماعهم في هذا الإطار الخاص، واعتقدوا أنَّ المسلمين كانوا هم المسؤولين عن الثورة التي قامت صدّهم عام ١٨٥٧م، ولذلك كان المسلمون عرضة للعقوبة القاسية والانتقام الشديد[٤]، لكنهم لَم يُدركوا حلقيَّة تاريخ هذه المنطقة وحضارتها ومتطلَّباتها الأخلاقية، وكيف

---

(١) مُحَمَّد بن القاسم الثقفي (ت ٩٥هـ/٧١٤م): قائدٌ أموي من بيت بني ثقيف، ولّاه الحجاج بن يوسف قيادة جيوش المشرق، ففتح بلاد السند والهند وهو في السابعة عشرة من عمره. يُعدّ من أبرز قادة الفتح الإسلامي، انظر: الكامل في التاريخ،(٤/٣٥٩).

(٢) الشركة الإنجليزية تأسست في لندن عام ١٦٠٠م، وانظر:قصة الحضارة الهند وجيرانها،وليدورانت،(ص/٣٨٨)القاهرة،الطبعة:١٩٧٥.

(٣) ستايلى وهبرت، مُحَمَّد على جناح مؤسس الباكستان، ترجمه د سيل زكار، (ص/٦)، الناشر: دار فنية، دمشق، الطبعة: ١٩٩٨م .

(٤) سيرة ميلاد أمة، اشيتاق حسين قريشي، ترجمة د. خليل جواد (ص/٢٥)، الناشر: دمشق، الطبعة: ١٩٩٦م.

يمكن لهم التغلُّب التامّ على قاطنيها بقمع الدوافع التي تسوقهم إلى حدوث الزوابع ضدَّهم، وبعد تفكير العميق في هذ الأمر الذي كان ينذر بانفجار الزلازل والفتن في أي وقت، ويجرهم إلى الدرك الأسفل من النار؛ حيث لا مفرّ من الجلاء عن الهند والعودة إلى بلادهم، قرَّروا نسج شبكة المؤامرة ضد المسلمين عازمين على إنشاء منظّمة سياسية يشترك فيها الهنود والإنجليز لإبعاد معتنقي الإسلام عن الحكومة ووظائفها، وإبقائهم على حالة التدهوُر والتخلف؛ لئلّا ينهضوا ويتسلَّحوا بأسلحة العلم والفنّ ويتخلقوا بالتطور والحداثة، عندئذٍ قام موظف حكومي هيوم (Hume)[١] بتشجيع من نائب الملك اللورد دو قرن (Lord Duffonn) [٢] في ٢٨ ديسمبر عام ١٨٨٥م بتأسيس حزب المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) لأسباب نذكر بعضاً منها وهي كالتالي:

أولاً: الاندماج في وحدة وطنيَّة تشمل كافة العناصر المختلفة.

ثانياً: التجديد والانبعاث الروحي التدريجي على كافة المستويات الأخلاقية والفكرية والاجتماعية والسياسية التي تخصُّ الأمَّة التي تريد أن تمشيَ على طريق التطوُّر والنماء.

ثالثاً: تماسك الاتحاد بين إنجلترا والهند[٣].

هذه المشاريع أخذت عقول الهنود والمسلمين، ولذلك بدأ كل من المسلمين والهندوس في الانضمام إليه لحماية حقوقهم، ولكن هذا الحزب غلب عليه الطابع الهندوكي، حاول البريطانيون قمع تأثير المسلمين من الناحية الاستراتيجية،، وعند ما أعلن اللورد مورلي[٤] Lord Morley وزير الدولة البريطاني الليبرالي لشؤون الهند، عن ضرورة إقامة نوعٍ من الحكم في الهند يكون للمواطنين فيه تمثيل، سعى على الفور نواب محسن الملك.

وفي ١٩٠٨-١٨٣٧ مع زعماء المسلمين الذين يمثّلون شعبيّتهم في الهند إلى متابعة نائب الملك في البلاد، وكانت المقابلة في أوَّل أكتوبر سنة ١٩٠٦م، وجاء الوفد أنه لا يمكن إنكار أن المسلمين وحدة منفردة لها اهتماماتها الخاصة التي لا تشاطرها إياها المجتمعات الأخرى[٥]، ومِن هذا المنطلق حاول المسلمون كرد فعل لغلبة الهنادكة

---

(١) آلن أوكتافيان هيوم (Allan Octavian Hume) إداري بريطاني بارز في الهند، وموظف في "الخدمة المدنية الهندية".
Bipan Chandra, India's Struggle for Independence, Penguin Books, ١٩٨٩

(٢) الورد دفرن(Lord Duffonn) سياسيّ ودبلوماسيّ بريطانيّ، تولّى منصب نائب الملك في الهند (١٨٨٤–١٨٨٨م)، عُرف بسياساته الاستعمارية وإصلاحاته الإدارية في عهد الاستعمار البريطاني.

(٣) سيرة ميلاد أمة، ترجمة الأردية، اشتياق حسين فريتشي ، (ص/٣).

(٤) فريدريك تيمبل بلاك وود، الماركيز الأول من دَفرِن وڤيڤو،انظر: Stanley Wolpert, A New History of India Oxford University Press, ٢٠٠٩

(٥) سيرة ميلاد أمة، ترجمة الأردية، اشتياق حسين فريتشي ، (ص/٤).

وتسلّطهم على الوظائف الحكوميَّة أن يجمعوا أشتاتهم في أطراف شبه القارة الهندية، وفي ٣٠ديسمبر ١٩٠٦م عقد المؤتمر التعليمي السنوي لمسلمي الهند برئاسة نواب وقار الملك"، وركز كل مَن شارك في هذا المؤتمر على تأسيس حزب سياسيّ لدعم مطالب المسلمين، فوضعوا حجر الأساس لحزب سياسي يسمَّى حزب الرابطة الإسلامية، ولخَّصوا أهمّ أهدافه فيما يلي:

١. – تقوية شعور الولاء للحكومة البريطانية، وإبعاد كلّ تصور خاطئ يمكن أن تتَّهم به الحكومة.

٢. – حماية حقوق المسلمين الهنود السياسية ومصالحهم، والعمل على تقدُّمها وتمثيل وجهة نظرهم أمام الحكومة مِن حيث آمالهم ومطالبهم.

٣. – مَنع إظهار شعور العداء نحو أيّ مجتمع من دون تعصُّب لمواد الرابطة الإسلامية[١].

وقد فرح المسلمون وسعدوا بتأسيس هذا الحزب السياسي، وأصبح للطابع الإسلامي هيئة متميزة في بلادهم، وكأنهم يملكون مفاتيح أبواب التقدم والازدهار، حتَّى تدبروا للفوز بالمقاطعات ذات الأغلبية المسلمة لإقامة النظام الإسلامي، لقد كانت هذه هي المرَّة الأولى التي جرت فيها استخدام عبارة مصالح قوميَّة مِن قبل مسلمي الهند في طلبهم من الحكام البريطانيين تقديم المساعدة لهم ضدَّ الأكثرية الهندوسية[٢]، اعتقد الهنادكة أنَّ حزب الرابطة الإسلامية سيزرع التفرقة بين أهالي الهند، وأعدّوه فتنة تؤدّي إلى إبقاء الاستعمار البريطاني في الهند، والحقيقة أنها كانت تلمح إلى الاحتلال الهندوسي بعد التخلص منَ الاستعمار البريطاني.

وعلى هذا الأساس ترك مُحَمَّد علي جناح رحمه الله عضوية الحزب الوطني الهندي التي أخذها سنة ١٩٠٥م، وكان متحمساً لوحدة الأمة الهندية؛ لأنه عرف عن قرب السيكولوجية الهندوسية، ورأى بنفسه التعصُّب ضدَّ المسلمين في بلادهم، فتطلعت آماله إلى حزب الرابطة الإسلامية؛لأن الهندوس كانوا يسعَون للحصول على ثمار الاستقلال لأنفسهم، واستغلَّوا عنصر، السكان وكَونهم أكثريَّة ليأخذوا نصيب الأسد في الوظائف الحكوميَّة، وفي البرلمان،[٣] ومِن هنا انقطع القائد الأعظم مُحَمَّد علي جناح عن حزب المؤتمر الوطني الهندي، وحكم على اتصاله بحزب الرابطة الإسلامية في سنة ١٩١٣م، ولعب دورًا مِحوَرياً في استقلال باكستان في ظلّ الاستعمار البريطاني والهيمنة الهندوسية على سياسة الهند، وانضمَّ إلى عضوية حزب الرابطة الإسلامية كل مَن ينتمي إلى فكر الإسلام بتلقّي العلم بـ "لندن"، والدعوة إلى قيامه في الأرض التي استخلفهم الله تعالى عليها وتقريب العباد إلى خالقهم وعلى كافة المستويات، واختار العلامة مُحَمَّد إقبال عضوية حرب الرابطة الإسلامية في عام ١٩٠٦م[٤].

---

(١) باكستان في ماضيها وحاضرها، عبد الحميد البطريق، (ص/٣٦)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٥٥م.

(٢) ستايلي وهبرت، مُحَمَّد علي جناح مؤسس الباكستان، (ص/٤٤).

(٣) أنور عناية الله، مُحَمَّد علي جناح باللغة الأردية، (ص/٣١)، عمان، الطبعة: ١٩٨٥م.

(٤) القائد وقصة الباكستان، مُحَمَّد حسن الاعظمي، (ص/٥)، الناشر: مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

وكان إذ ذاك مشعولاً بتلقّي العلم بلندن، وبدأ هناك نشاطاته السياسية، واختمرَ في فكره قيام دولة إسلاميَّة مستقلة، وبدأت محاولات المسلمين في تكوين دولة جديدة يستطيع فيها المسلمون أداء دَورِهم لتوظيف إسهاماتهم في ميلاد مجتمع مثالي ينسجم فيه الأمن والسلام مع حرية العمل والمساواة الإنسانية، وقد حظت فكرة مُحَمَّد إقبال الاستقلالية بتأييد عدد ضخم مِن علماء الأجلاء والصوفية المسلمين، وقوبلت بكلّ حماسة إسلامية وحكمة مليئة بالحبّ والإخلاص لإنشاء هذه الدولة، ومن العلماء الذين أيَّدوا الفكرة:

١- مفسّر القرآن مولانا نعيم الدين المراد آبادي.

٢- الشيخ عبد الحامد البدايوني.

٣- الشيخ سيد جماعت علي شاه.

٤- الشيخ عبد العليم الصديقي.

٥- الشيخ قمر الدين السيالوي.

٦- العلامة مُحَمَّد كرم شاه [١].

واستحسنَ أمة العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله أهداف حزب الرابطة الإسلامية لتكوين خير، فدخل في زمرته، وراح يعد نفسه بالعلوم القديمة والحديثة، ولَم يشعر بتعب أو كلل في هذا السفر ليهيئ الفرص الذهبية في المجال السياسي للناس في الدولة الحديثة، وبينما كان عاكفاً على التخصص في الحديث الشريف في ولاية مراد آباد الهند:كان يتشوَّق دائماً لممارسة الأنشطة السياسية لحزب الرابطة الإسلامية، وكان يرى أن السياسة الْمُثلى تكمن في حصول العلوم والفنون ، وبعد ما حصل الفراغ من قسم الحديث الشريف رجع إلى قريته بهيره سنة ١٩٤٤م، واشتغل بالممارسات السياسية حريصا في المطالبة باستقلال باكستان، ووقف بجانب الرابطة الإسلامية وقفة مؤيد متحمس لاستقلال باكستان، وكانت النشاطات الهندوسية في دروتها من أجل عدم تقسيم الهند بعد الاستقلال إلى دولتين، وفي ذلك الوقت عقدت جلسة للحرب الوطني الهندي في قرية بهيره، فألقى جواهر لال نهرو خطبة يحرض الناس فيها على عدم تقسيم البلاد إلى دولتين، وانفعل الناس بخطابه الذي كاد أن يُبعِدهم عن جهودهم المتواصلة التي أوشكت على أن تقرّبهم إلى مقاصدهم، وصاروا متأثرين بالزعماء الذين كانوا يهتمون بوحدة الهنادكة والمسلمين تحت حكومة علمانية تمثل جميع الفئات والطبقات الهندية، وفي هذه الأوقات العصيبة أحد العلامة مُحَمَّد كرم شاه على عاتقه مهمة القيام بالرد على خطاب جواهر لال نهرو بالأدلة الناصعة، فأقيمت ندوة جمعت فيها تدفقات البشرية لسِماع محاضرته التي ألقاها أمامهم حول ضرورة انفصال باكستان عن الهند على أساس الدين والثقافة، وأقنعهم بأن يكونوا متمتعين

---

(١) الشاعر الباكستاني مُحَمَّد إقبال حياته وآثاره الإسلامية في شعره، ثناء الله، (ص/٢٨)، مخطوط من مكتبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، القاهرة، تحت رقم: ٥٦٦/٥٦٧.

بكامل حريتهم حتى تسنح الفرصة لهم بتنفيذ شريعتهم في الدولة الإسلامية الحديثة.

نهج الشيخ العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله ونهج العلامة مُحَمَّد إقبال رحمه الله في نظريته الاستقلالية المستندة إلى أن الوطنية لا تقوم إلا على أساس الإيمان والثقافة [١].

وأيّدَ فكرته عندما كان بعض المسلمين المخدوعين يسيرون في ركب مؤيدي الفكرة الوطنية عناداً، بناء على الأرض والوطن، فكشف المسلمون مساعيهم ومجهوداتهم لإثبات نظريتهم حتى أقيمت باكستان كدولة حديثة، وانقسمَت شبه القارة الهندية إلى دَولتين عام ١٩٤٧م بناءً على رغبة مسلمي شبه القارة بأن تكون لهم دولتهم المستقلَّة لتأكيد هوِيَّتهم الإسلامية في مواجهة الأغلبية الهندوسية[٢].

وبعد حصول الاستقلال الجمهورية باكستان الإسلامية، كان العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يفكر في السياسة الإسلامية لبلده الحبيب، مُصِرّاً على إعطاء حق الانتخاب لجميع المواطنين في أداء دورهم في نشاطهم السياسي، فقد كان العلامة يؤمن بأن صلاح باكستان وتقدّمها لن يكون إلا بتنفيذ قرارات حزب الرابطة الإسلامية التي وضعها القائد الأعظم مُحَمَّد علي جناح رحمه الله مع الزعماء المسلمين والعلماء البارزين الذين ضحوا أنفسهم لقيام مملكة إسلامية وأمَّة متطوّرة تمثل الإسلام الذي لا عنفَ فيه ولا إرهاب، بل يُعطي لكل ذي حق حقه في هذه البقعة المباركة التي وهبها الله بفضله للمسلمين لكي يقوموا بعبادته في بيئة الحرية والعدل والمساواة، وهكذا كان موقف العلامة مُحَمَّد كرم شاه مِن حركة استقلال باكستان، وهكذا كان انتماؤه إلى باكستان كدولة مستقلة أسست على كلمة لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله.

لقد كانت الفترة لزعيم ورئيس الحزب ذو الفقار علي بوتو فترة اضطرابات وقلاقل بسبب ميوله إلى الشيوعية وتفكيره في تنفيذها في باكستان، برغم أن باكستان كانت قد أسست لتكون دولة إسلامية نموذجيَّة، فنهض العلماء معارضين النظام الشيوعي، ورفضوا أن يطبق هذا النظام في باكستان، وكان العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله من أبرز المعارضين للنظام الشيوعي، وكان يكتب كلمات صريحة وشديدة اللهجة محذراً الرئيس ذو الفقار علي بوتو من معبة الشيوعية، ولم يكن نقده اللادع إلَّا مِن أجل إصلاح الوطن، لقد كان العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في إصلاح السياسة معنيًّا بهموم الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وكانت عيناه تدمعان لمآسي والحزن للمسلمين في العالم كله، وكانت مشكلة كشمير بشدَّة لعدم اهتمام العالم بهذه المشكلة، ومما زاد الطين بلَّة أن كثيرًا من البلاد الإسلامية لم تهتم بهذه القصية، ولم تقُم بالدور المنشود، بالرغم أنها ليست مشكلة باكستان وحدها، ولكنها مشكلة من مشكلات، لقد انقسمت الهند إلى دولتين مستقلتين الدولة الهندية العلمانية والدولة الباكستانية الإسلامية في

(١)باكستان في ماضيها وحاضرها ، عبد الحميد البطريق (ص/٣٠).

(٢) العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن، د مُحَمَّد نعمان جلال، (ص/١٣) الطبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

أغسطس سنة ١٩٤٧م، على أساس اتفاقية التقسيم التي تنصُّ على أن المناطق ذات الأغلبية المسلمة تنضم إلى باكستان الإسلامية، والمناطق ذات الأغلبية غير المسلمة ستعيش مع الدولة العلمانية الهندية، أمَّا بالنسبة للإمارات المستقلة فكان عليها أن تفكر في الانضمام إلى دولة من الدولتين، أو أن تبقى مستقلة تنفصل عنها في السياسة والنظام وفقًا لمعاهدة التقسيم التي وضعها نائب الملك للملكة فكتوريا لورد ماونت بيتن[١]، وجاء في قراره لرؤساء الولايات في شبه جنوب قارة آسيا ما يلي: إنكم أحرار بأن تنضموا إلى الهند أو باكستان، ولكنكم لا تستطيعون أن تتغاضوا عن الأوضاع الجغرافية لإماراتكم، ولا أن تبتعدوا عن الدولة التي تجاوركم، ولا أن تتعاضوا عن مصالح شعوبكم[٢].

إمارة جامو وكشمير:

تقع ولاية جامو وكشمير المسلمة في منطقة استراتيجية بالغة الأهمية بجوار الاستعمار الهندوسي من الجنوب الشرقي، وكذلك الصين من الشمال الشرقي، والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وأفغانستان من الشمال الغربي، وجمهورية باكستان الإسلامية من الجنوب الغربي، وتمتدّ حدودها معها إلى أكثر من سبعمائة كيلو متر، بينما حدودها مع الهند تمتدّ إلى ثلاثمائة كيلومتر فحسب، ومما يجدر بالذكر أن سكان ولاية جامو وكشمير يمتازون بذكائهم وفطنتهم، ومنهم المفكر الإسلامي الشهير الدكتور مُحَمَّد إقبال رحمه الله وغيره من الزعماء والعلماء البارزين، ووِفقاً لمعاهدة التقسيم انتقلت المناطق ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان، وكذلك المناطق ذات الأكثرية الهندوسية انضمت إلى الهند، ما عدا ولايات أربعة؛ هي كبورتله، وجوناكره، وحيدرآباد، وكشمير، فتسربت النزاعات بين البلدين الهند وباكستان؛ لأن سكان كشمير كانوا يريدون الانضمام إلى باكستان، لكن الهند تحرص على ضمِّها إلى أراضيها لتمتدَّ حدودها إلى الصين وأفغانستان والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، فانضمَّت الولايات الثلاثة كبورتله وجوناكره وحيدرآباد بعد نجاح مؤامرتها مع نائب الملك [٣] (لورد ماونت بيتن) ضد المسلمين وقت اتفاقية التقسيم، وكانت قضية كشمير مختلفة تماماً عن القضايا الأخرى؛ لأنَّ أغلبيتها الساحقة مسلمة، لكن أميرها الذي كان يُدين بمذهب السيخ خالف ميولهم في الاندماج بباكستان، وانضمَّ إلى الهند رغم أنف سكان كشمير، ومِن هذا المنطلق خلعه رعيته منَ الرئاسة الكشميرية، ونفوه عن ولايتها إلى مكان بعيد، فلجأ إلى الحكومة الهندية، واستنجدَّ بها في هذه الظروف الحماية أسرته، فلبّتِ الحكومة الهندية بداية ندائه بمعونتها ومساعدتها، وطالبته بالتوقيع على أوراق مزورة ببيع

---

(١) هو ضابط بحري وسياسي بريطاني، وآخر نائب لملك بريطانيا في الهند قبل استقلالها عام ١٩٤٧م. تولّى بعد ذلك منصب الحاكم العام الأول لدولة الهند المستقلة حتى عام ١٩٤٨م.٢٠٠٧.

(٢) مأساة كشمير المسلمة، حسان حقي، (ص/٦٧)، الناشر: دار القارئ العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.

(٣) عسكري وسياسي بريطاني بارز، آخر نائب ملك على الهند، وأول حاكم عام بعد استقلالها، وعُيِّن نائب الملك على الهند في فبراير ١٩٤٧م.

ولاية جامو وكشمير للهند، فوقع هذا الخائن على أوراق البيع بثمنٍ بخس، وهكذا ضمَّت كشمير إلى الهند، ودخلت الجيوش الهندية فيها لتنفيذ خططها في مجال السياسة والحكومة، وعندما شاعَ الخبر بالبيع المرور في أرجاء باكستان ودخول القوَّات الهندية إلى كشمير، قصد الناس إليها لتحريرها منَ الاستعمار الهندوسي الذي خيَّمَ ظلامه بعد قرار الاحتلال البريطاني، فراح المناضلون من الباكستانيين يُقاتلون الاستعمار الهندي الغاشم بكلّ قوة وحماسة، حتى وصلوا إلى مدينة سري نجر، فسارع رئيس الوزراء الهندي بطلب المساعدة منَ الأمم المتحدة لوقف القتال، وبعدما رفع الأمر بشأن نزاع كشمير إلى الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧م دارت مناقشات حول هذه القضية، وصدرت القرارات بوَقفِ القتال لحين صدور قرار جديد بالحل السلمي ثم نوقش هذا الأمر في مجلس الأمن تحت رعاية الأمم المتحدة، حتى أصدروا قرارًا بإجراء الاستفتاء العام في كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان لتقرير مصير الولاية وانضمامها إلى الهند أو إلى باكستان[١].

ولَمَ تخضع الهند في الواقع للقرارات الصادرة منَ الأمم المتحدة، بل استمرَّت في ممارسات عدوانها ضد أهل كشمير على جميع المستويات، حتى اندلعت الحرب ثلاث مرات بين البلدين بسبب هذه القضية التي تصل جذورها إلى العداوة المسيحيَّة الهندوسية مع المسلمين منذ العصور الوُسطى.

ومِن هذا المنطلق انتقم الاستعمار البريطاني من المسلمين؛ وذلك نظراً لهزائم القرن السادس الهجري على يدِ السلطان صلاح الدين الأيوبي في القدس، وفي الوقت أقاموا دولة صهيونية باسم إسرائيل في قلب الدول العربية لتحطيم الأمة الإسلامية والقضاء على ثقافتها، ومما يجدر بالذكر أن إسرائيل أنشأت علاقاتها الودية مع الهند في العقود الأخيرة في كافة المجالات لإلحاق الأضرار بالمسلمين خاصة، وعندما شنّتِ الهند حربها الواسعة ضد باكستان بسبب قضية كشمير في عام ١٩٦٥م، قدَّمت إسرائيل للهند كميات ضخمة من الأسلحة والمعدات العسكرية، لاسيما الصواريخ المضادة للدبابات وقذائف المدفعية، وقد ردّت الهند الجميل لإسرائيل في حرب ١٩٦٧م التي شنّتها على الدول العربية؛ حيث أرسلت نيودلهي إلى تل أبيب كمّيات ضخمة من قطع غيار مركبات القتال التي كانت تحتاجها إسرائيل[٢].

إنَّ العلاقات بين الهند وإسرائيل تهدف إلى تمزيق البلاد الإسلامية، ولذلك تؤيد إسرائيل موقف الهند بشأن كشمير المتنازع عليها، وفي ١٧ إبريل ١٩٩٣م، قام وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز بزيارة إلى نيو دلهي، ورفض وجهة النظر الباكستانية التي تطالب بوجود دولي لتسوية هذه المشكلة، وأعلن أن كشمير المنطقة المتنازع عليها هي

---

(١) قضية كشمير المسلمة، أليف الترابي، (ص/٧)، الطبعة: ١٩٩٧م.

(٢) الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإسرائيل، حسام سويلم، (ص/١٣)، الناشر: دار البيان القاهرة، الطبعة: ٢٠٠١م

جزء لا يتجزأ من الهند [١].

وكذلك قامت نيودلهي برد الجميل لإسرائيل بتأييد موقفها في نزاع القدس عندما زار شيمون بيريز الهند في أغسطس ٢٠٠٠م، بهدف الحصول على دعم الهند الموقف إسرائيل السياسي في المفاوضات التي كانت جارية في كامب ديفيد بين الإسرائيليين والفلسطينيين تحت إشراف كليستون، لاسيما إزاء قضية القدس؛ حيث أعلنت الهند موقفها المؤيد للإرادة الإسرائيلية بتوحيد القدس تحت السيادة الإسرائيلية [٢].

وهذا الاشتراك الاستراتيجي ضد الدول الإسلامية على مستوى دولي تنعطف إلى الهند، وتهيئ لها فرصة لمماطلة إجراء الاستفتاء العام في كشمير، قد وقف العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله دائما بجانب باكستان لاسترداد حقوق الكشميريين، والدعوة إلى تمتُّعهم بالحرية والمساواة، وسار على غرار والده الشيخ مُحَمَّد شاه الذي جاهد مع مريديه في حرب ١٩٤٨م، بين الهند وباكستان على حدود كشمير، وهزم الأعداء بجرأته وشجاعته، وكان عمره قد تجاوز الستين، ولكنه كان مؤيدا بقوة الإيمان، لذا كان يُسارع إلى مطاردة الهنادكة منَ الحدود الإسلامية إلى كفرهم [٣].

بلغ العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله أصوات الكشميريين في الدوائر الدولية لتحقيق العدل للشعب الذي كانت أنفاسه تتردَّد بين الموت والحياة، ولم يكن بوسع هذا الشعب المظلوم الخروج من هذا المأزق إلا بتنفيذ القرارات التي صدرت من مجلس الأمن الدولي تحت رعاية الأمم المتحدة من سنة ١٩٤٨م، والتزمت الحكومة الباكستانية بالشرعية الدولية لتحقيق السلام في قارة جنوب آسيا، وهذا هو الوضع الذي واجهه العلامة مُحَمَّد كرم شاه في زمنه، وعالجه وشجّعَ الحكومة الباكستانية لتقوم بدورها من أجل حل هذه القضية بالطرق السلمية بعيداً عن الصدام؛ لأن هذا الزمن زمن التعايش والحوار، وكان التأخير في حلِّ هذه القضية يسبب القلق والاضطراب الدائم في قلب العلامة مُحَمَّد كرم شاه، فكان يعمل ما في وُسعِه لحلِّ هذه القضية الشائكة.

الخلاصة:

شهدت شبه القارة الهندية تحولات سياسية عميقة منذ دخول الإسلام إليها مع الفاتح مُحَمَّد بن القاسم رحمه الله، واستمر الحكم الإسلامي قرابة ألف عام، حتى سيطرت بريطانيا عليها بعد فشل ثورة ١٨٥٧م، مستغلة تفرق المسلمين وانقسامهم، ومتعاونة مع الهندوس لإقصائهم عن الحكم والوظائف، في أواخر القرن التاسع عشر أسست بريطانيا "حزب المؤتمر الوطني الهندي" عام ١٨٨٥م، ثم أسس المسلمون "حزب الرابطة الإسلامية" سنة ١٩٠٦م،

---

(١) الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإسرائيل، حسام سويلم، (ص/١٣).

(٢) نفس المصدر، (ص/ ٢٤).

(٣) مجلة فيضان الكرم، (١/٤٥).

لحماية حقوقهم السياسية والثقافية، بقيادة شخصيات مثل مُحَمَّد علي جناح ومُحَمَّد إقبال رحمهما الله ، وبمساندة علماء كبار منهم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله، الذي انخرط في العمل السياسي مؤيدًا فكرة استقلال المسلمين، شارك الشيخ في دعم قيام باكستان عام ١٩٤٧م، ودافع عن هويتها الإسلامية، وواجه التيارات الشيوعية في عهد ذو الفقار علي بوتو، واهتم بقضايا الأمة الإسلامية، خاصة قضية كشمير التي اعتبرها حقًّا ثابتًا للمسلمين. كان له دور في إيصال صوت الكشميريين للمحافل الدولية، وحثّ الحكومة الباكستانية على حل النزاع بطرق سلمية تحافظ على الحرية والعدالة.

المطلب الثالث: الأحوال الثقافية في عصر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

حالة الثقافية الهندية:

قد احتضنت الهند كثيرًا من الثقافات، منها الثقافة الإسلامية العربية، والهندية، والمسيحية، والبوذية، وتنطوي كل منها على أنماط ذات طابع خاصّ وطراز متميّز الثقافة من الأخرى، ومن بين هذه الثقافات السائدة في شبه القارة الهندية تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها بسلوكها الحضاري والإنساني، وقِيَمها الجادَّة نحو الإنسانية، وقد ازدهرت هذه الثقافة في الهند منذ دخول الإسلام في أواخر القرن الهجري الأول وجاءت بالنظام الجديد الذي كفل الحرية والمساواة للمجتمع البشري، ولم يكن أهل الهند يعرفون مثل هذا النظام مِن قبل، بل كانوا يعيشون تحت سيطرة الحكام الهنادكة المتعصبين الغافلين عن المساواة الإنسانية والتقدم العلمي والتطوُّر أن ثبت النظام الإسلامي أقدامه المنطقة الهندية ابتسم حظ أصحاب الديانات الهندية، فعملوا على التعرف على أصول الثقافة الإسلامية، وبلغوا ذَروة الرقي والحضارة بتثقيف جيلهم في عصرهم، وتشجيعهم على الإبداع والاختراع في مجالات الحياة.

قام المسلمون في عهد حكومتهم بوضع النظام التعليمية تدرس فيها العلوم والأخلاق والسلوكيات لإعداد الكوادر الفكرية والأدبية لأداء رسالة إنسانية إلى أمم مختلفة في العلم والفكر، فكان عهد جلال الدين الخلجي المتوفى سنة ١٣١٩م عهدا زاهرا يعمّه الرخاء والأمن، وانتشرَ فيه العمران، وارتقت العلوم، وكثرت المدارس ونعمت البلاد بوجود مئات من العلماء والشعراء والأساتذة في كل علم وفن مما لَم تشهد الهند مثله من قبل[١].

وقد قامت النظام التعليمية بنشر العلم والوعي تحت رعاية الملوك والأمراء المسلمين الذين عرفوا بإقامة الجامعات الإسلامي والمؤسسات العلمية، والاهتمام بتوفير المال والنفقات للأساتذة والطلاب، وتكريم العلماء والأدباء والمفكرين، ولم يكن التعليم منحصرًا في نيل الشهادات فقط، بل كان يهدف إلى صنعِ المتعلمين بالصفات النبيلة والعادات الحميدة، وكان كل همهم خدمة الإنسانية من خلال تدريسهم وتأليفهم حتى وصلت الهند في عهد المسلمين

(١) تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، إحسان حقي، (ص/١٧)، الناشر: دار الكلم، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ٢٠٠١م.

إلى مستوى من الثقافة الراقية التي تفتخر بها الإنسانية؛ وكان الأثرياء من الشعب الهندي من المسلمين والهنادكة يتبرعون لتأسيس المراكز العلمية تحت رعاية اللجان الأهلية المكوّنة من المثقفين، وكانوا يختارون العلماء والأساتذة ليعدوا أبناء الشعب على اختلاف الأديان إعداداً كاملاً لتحصيل العلم والحِكم، ويبثوا الحماس في نفوس هذا الجيل لإعادة مجدهم الضائع في مستقبل قريب، كما كان هناك نوع آخر من الأساتذة الأغنياء الذين كانوا يقومون بالتدريس لتلاميذهم، ومع يتحملون تكلفة إعاشة هؤلاء التلاميذ[١].

وكان النظام التعليمي الثقافي أرجاء الهند يسير وفقاً للمناهج الإسلامية التي كان يقوم بإعدادها علماء المسلمين الاحتلال البريطاني في القرن التاسع عشر وهو الاحتلال الذي عمل على اقتلاع الجذور الإسلامية مِن أرض الهند، وهو ما اعترف به أحد المستعمرين مستر هنتر[٢]حين قال: "وعندما تمكنا السلطة أقدمنا على التغيير، ووضعنا القوانين الجديدة، وأبطلنا العمل بالشريعة الإسلامية، وعزلنا القضاة والعلماء والموظفين المسلمين، وأثر الاحتلال البريطاني في المسلمين الذين لم يطيقوا مواجهة الإنجليز بسبب عدم توحد أبناء الملَّة الإسلاميَّة التي ظلَّت شمسها ساطعة في الهند أكثر من ألف سنة، وبدأ الاستعمار في مطالع القرن التاسع عشر، وأخذ البريطانيون يمتصون دم الشعب الهندي، وألغوا التعليم الديني من البلاد، واقتصر هذا التعليم على تخريج أئمة المساجد فقط، وأصبحت المدارس العربية التي كانت بالأمس مملوءة بالطلاب خاوية على عروشها"[٣]. فلقد قام الإنجليز بتخريب المراكز التعليمية والفكرية وكانت خسارة المسلمين أكثر من غيرهم، ولما قامت الثورة الهندية ضد الإنجليز عام ١٨٥٧م، بثَّ العلماء روح الحرية في نفوس أهالي الهند عامة، وفي نفوس المسلمين بصفة خاصة، ولكن الهنادكة غيَّروا فكرتهم تجاه المسلمين، وربطوا أوصالهم بالإنجليز للأضرار بمعتنقي الإسلام، ومن الجدير بالذكر أن البريطانيين نجحوا في زرع بذور الفرقة بين أهالي الهند وإثارة الفتنة بينهم على أساس الدين، وقد انتهز المناوئون منَ الهنود المتطرفين هذه الفرصة وعملوا على توطيد أواصر الودّ مع الاستعمار البريطاني، وفي هذا يقول الدكتور إحسان حقي[٤] "رأى المسلمون ما حلّ بهم وما يُقاسون مِن سوء معاملة الإنجليز، فلجأوا إلى سياسة مقاطعة الإنجليز، وأصدرَ العلماء فتاواهم بعدم جواز التعامل مع الإنجليز بأي صورة كانت، فاغتنم الهنادكة هذه الفرصة، ومدّوا أيديهم إلى الإنجليز، وأخذوا يتعلَّمون لغتهم، ويتعاملون معهم، فاحتلّوا بعض المناصب الحكومية، وأصبحوا هم، والإنجليز يتولون أمر البلاد، وإذ أخذ الإنجليز بزمام السلطة تراجعت أحوال المسلمين في كافَّة المجالات لاسيما المجال التعليمي، فنظراً للممارسات الغاشمة تحت رعاية الانتداب البريطاني

---

(١) تاريخ تعليم هند، شريف نور الله، (ص/٤٩) ساوته إيشين ببليشر كراجي ١٩١٨م، مستر هنتر، مسلموا الهند، (ص/٢٣٧).

(٢) وليم وِلسلي هنتر (William Wilson Hunter) مستشرق ومؤرخ بريطاني، عمل في الإدارة البريطانية بالهند، وله مؤلفات في تاريخها أبرزها The Indian Musalmans الذي تناول أوضاع المسلمين في ظل الحكم البريطاني.

(٣) اللغة العربية وفضية التنمية اللغوية في باكستان، سمير عبد الحميد إبراهيم، (ص/٤٤)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٨٢م.

(٤) مُحَمَّد علي جناح باني باكستان، إحسان حقي، (ص/٢٤)، الطبعة: دار الفكر دمشق ١٤٠٧هـ.

مع صداقة الهندوس شرع المسلمون في الثورات العلمية لمواجهة أعدائهم في أراضيهم، و نهض بعض العلماء بأداء خدمة جليلة للغة العربية وعلومها"[١]، وأشعلوا مصابيح العلم والفن، ولكنهم لم يلتفتوا إلى العلوم الغربية بسبب الغضب الحادّ ضد الإنجليز، ومن ناحية أخرى برزت مدارس إسلامية لتدريس العلوم الإنجليزية، ومساعدة المسلمين على الأخذ بالأسباب التي تساعدهم على تولي المناصب الحكومية للمشاركة في العمل مع المواطنين الهنود، وهكذا حدثت الفرقة النابعة منَ الصراعات الداخلية بين التعليم القديم والحديث في المدارس والمؤسسات الإسلامية والعربية، واستغلَّ الهنود هذه الفرصة لمزيد من التقرب إلى الإنجليز ألد أعداء المسلمين الذين تغلَّبت جيوشهم على المسلمين، وحرموهم من الوظائف القيادية، بل حتى من مجرّد الحصول على التعليم وفي سنة ١٨٥٧م عمتِ الهند الثورة الكبرى التي أطلق عليها الإنجليز اسم ثورة العصيان، وكان الإنجليز قد أزهقوا أرواحاً كثيرة في سبيل امتلاك الهند [٢].

هذه الفترة بذل المسلمون جهودهم لإنشاء مراكز الإشعاع الإسلامي، ورأى السيد أحمد خان[٣] تخلّف مواطنيه من المسلمين في التعليم، فدعا إلى إنشاء كلية للتعليم العالي يتخرَّج فيها رواد الأجيال القادمة، ثمَّ رسم لها منهجاً يجمع بين الثقافتين الإسلامية والغربية، أما الثقافة الأولى فلكي يحافظ المسلمون على مقوّماتهم وحضارتهم، وأما الأخرى فلكي يرتاد المسلمون آفاق المدينة الحديثة ليلقحوا بها حضارتهم الإسلامية من ناحية، وليطلعوا من ناحية أخرى على الابتكار والخلق في المدنية الغربية، فيعرفوا أساليبها، ويسلكوا سبلها، ويأخذوا بأسبابها، فلا يكون هناك عائق بينهم وبين اضطلاعهم بالمناصب الرفيعة في الدولة [٤].

وهكذا استمرت المحاولات وطالب لفيف من العلماء والمفكرين ببناء جامعة على أسس حديثة تدرَّس فيها العلوم العريقة والحديثة، ومما يُثير انتباهنا في هذا الخصوص، وأنَّ العلامة مُحَمَّد إقبال كان يتمنَّى أن يؤسس جامعة أهلية تحت رعاية منظمة حماية الإسلام يتبع فيها المنهج القديم وفقاً لجامعة الأزهر الشريف والمنهج الحديث الذي يتوافق مع نظام جامعة أكسفورد، فكتب رسالة مهمة في هذا الإطار إلى شيخ الازهر الأسبق الشيخ مُحَمَّد مصطفى المراغي في الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة سبع وثلاثين بعد الألف وتسع مائة للميلاد[٥].

وأبرز فيها أحاسيسه العطرة نحو إنشاء الجامعة بعيداً عن المدينة في قرية من قرى البنجاب، ليجد الطلاب فرصة في الاغتراف من مناهل العلم والحكمة، فكان مما قال: "إننا لسنا في حاجة إلى بيان أهمية هذا الاقتراح لصاحب

---

(١) اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، سمير عبد الحميد إبراهيم،(ص/٣٩)، الناشر: دار المعارف الطبعة: ١٩٨٢م.

(٢) الأدب الأردي الإسلامي در مسمير عبد الحميد إبراهيم، (ص/٢١).

(٣) هو مصلح ومفكر مسلم هندي، مؤسس الكلية المحمدية الأنجلية في عليگره، دعا إلى التوفيق بين الإسلام والعلم الحديث وإصلاح التعليم الإسلامي.

(٤) باكستان في ماضيها وحاضرها، عبد الحميد البطريق، (ص/٢٤) الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٥٥م.

(٥) إقبال والأزهر، حازم محفوظ، (ص/٣٠) الناشر: دار البيان، القاهرة، الطبعة: ١٩٩٩م.

فضيلة كمثلكم، ولذا أرجوكم أن تتفضلوا بإرسال رجل عالم مصري على نفقة جامعة الأزهر ليساعدنا في هذا الأمر، وينبغي أن يكون ماهراً في علوم الشريعة، وفي تاريخ التمدن الإسلامي، ويجب أيضًا أن يكون قادرًا على اللغة الإنجليزية" ورد الشيخ مُحَمَّد مصطفى المراغي[١] على المفكر الكبير مُحَمَّد إقبال معتذراً عن عدم إرسال بعثة الأزهر لعدم اتسام علماء الأزهر بالصفات التي يتطلبها التدريس هناك[٢].

ووعدَ أن يرسل البعثة الأزهرية بعد تخرُّجها من إنجلترا، لكن الأجل المحتوم لم يمنح العلامة مُحَمَّد إقبال مهلة وافية لكي يحظى بتحقيق مطلبه في حياته إذ لقي ربه سنة ١٩٣٨م مثلما لم يرَ حلمه الذي تحقق باستقلال باكستان، ولكنه كان على يقين من أن أحلامه سوف تحقق في المستقبل القريب، وبعد مضي عشر سنوات على وفاته ظهرَت جمهورية باكستان الإسلامية على خريطة العالم بكيانها القوِيّ المؤسس على الأسس الإسلامية، وشهد أولو العلم قيام جامعة إسلامية حسب أفكار العلامة مُحَمَّد إقبال وتمثلت في دار العلوم المحمدية الغوثية التي أسست في قرية بهيرة على يد الشيخ مُحَمَّد كرم شاه عليه الرحمة، وقام ابنه العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري بتطوير مناهجها، وإعداد المقرَّرات الجديدة التي تواكِب متطلبات العصر الراهن، وهي تلك المتطلبات نفسها التي أشار إليها العلامة مُحَمَّد إقبال في رسالته إلى شيخ الأزهر آنذاك الشيخ مُحَمَّد مصطفى المراغي، لقد استطاع العلامة مُحَمَّد كرم شاه تطوير المناهج وإعداد المقررات الدراسية من جديد مستعيناً بثقافته الواسعة، فلقد درس العلوم الإسلامية والعربية حسب النظم التعليمية القديمة، ثم درس في جامعة بنجاب أيضًا حسب النظم التعليمية الحديثة، بالإضافة إلى أنه نهل من فيض جامعة الأزهر وجامعة القاهرة، مما أهَّلَه لكي يكون رجل خبرة في التعليم والتربية، وبالتالي استطاع أن يقوم بتربية أبناء المسلمين وتوجيههم إلى التطور والتحضر، وإخراجهم من الانغلاق إلى الانفتاح واكتشف ذو الحكمة بعد عشر سنة من استقلال باكستان سنة ١٩٤٧م إلى أن أهداف استقلال باكستان لم تتحقَّق بعد، لكن العلامة مُحَمَّد كرم شاه كان واحداً مِن أصحاب الحكمة الذين عرفوا مقاصد استقلال پاكستان، وأضنوا قلوبهم بالجهد المتواصل لرؤية هذا البلد في صورة حصن إسلامي، ومِن هذا المنطلق مُحَمَّد كرم شاه على تجديد الجامعة الأهلية التي أسَّسها والده الشيخ مُحَمَّد شاه سنة ١٩٢٥م، وأجرى تعديلات وتغييرات جوهرية في نظام التعليم الذي كان سائداً منذ قرون في شبه القارة الهندية لتخريج الطلبة المسلمين بما يؤهِّل عقولهم لتسخير الكون وما فيه، وقدم نظامًا جديدًا يجمع بين التعليم القديم والحديث، وتبنّى فكراً يقود الناس للإسهام في التقدم وتشكيل الحضارة الإسلامية، ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الباكستانية اعترفت بالشهادات التي تمنحها دار العلوم المحمدية الغوثية.

---

(١) هوعالم أزهري ومصلح إسلامي مصري، تولى مشيخة الأزهر مرتين (١٩٢٨–١٩٢٩م، ١٩٣٥–١٩٤٥م). وُلد ببلدة المراغة بمحافظة سوهاج، وتلقى تعليمه بالأزهر الشريف، حتى نال شهادة العالمية، ثم عُيّن قاضيًا بالسودان،انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، مُحَمَّد رجب البيومي،(ص/١٢٥) دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م.

(٢) إقبال والأزهر، حازم محفوظ، (ص/٣١)، الناشر: دار البيان، القاهرة، الطبعة: ١٩٩٩م.

هذه الجامعة التي تحققت أهدافها بنجاح تامّ تحت رعاية العلامة مُحَمَّد كرم شاه منذ سنة ١٩٥٧م، وارتأت الحكومة تطبيق مثل هذا النظام، وبدأت تفكر في تنفيذه في كافة المدارس والجامعات الدينية الأهليَّة، فأصدر البرلمان الباكستاني قرار تطوير المدارس الدينية سنة ١٩٩٤م، ولا تزال المحاولات مستمرة للتغلُّب على الفوضى المنتشرة في أرجاء باكستان بين مسؤولي المدارس الدينية بشأن قرار تطوير المدارس، ويرى وزير الشؤون الإسلامية آنذاك الأستاذ الدكتور أحمد محمود غازي[١] يقول: "أنَّ هدف هذا القانون هو تطوير المناهج التي تدرس في تلك المدارس، وإضافة المواد العلمية والتكنولوجية إليها، مؤكداً أن خطط التطوير لا تستهدف التدخُّل في الشؤون الداخلية لهذه المدارس أو في عملها الذاتي، وإنما تهدف إلى تمكين خريجيها مِن ممارسة دورهم و وعملهم وحياتهم بمقتضى الواقع، فلا يتمّ تخريجهم فقط للعمل مجرَّد موظفين في المساجد، وإنما للعمل في الدوائر الحكومية أيضا"[٢].

لقد عمل الاحتلال البريطاني بكل قوَّة على تحطيم القلاع الإسلامية ممثلة في المدارس والجامعات للقضاء على الثقافة الإسلامية، وبذل كل جهده في هذا السبيل حتى تجاوز كل حد أخلاقي، ثم عمل على تشويه الثقافة الإسلامية بأسلوب آخر، فزرع بذور الشك قلوب المسلمين، مستخدمًا بعض الاختلافات الفرعية بين المذاهب، وهجم هجمة ضارية على عقيدة (ختم النبوة) في شبه القارة الهندية التي كانت تسلك مسلك الاعتدال في الاعتقادات، وخطا خطوة شقية بإعداد رجل من بلدة قاديان بالهند قام بادعاء النبوة بغرض إحداث الاضطراب في البلاد، وتهيئة الفرصة لبقاء الاحتلال البريطاني في الهند في حالة هدوء واطمئنان، وخير شاهد على ذلك أن الموظف الإنجليزي مستر هنتر كلفه نائب الملك لورد ميو بدراسة الأسباب التي أدت إلى ثورة ١٨٥٧م، وأن يقدم تقريراً يعرض فيه الحل الذي يمكن العمل بمقتضاه للسيطرة على المسلمين[٣].

وبعد ما درس مستر هنتر أسباب نهضة المسلمين في ضوء التاريخ سجل تقريره إلى نائب الملك اللورد ميو قائلاً: "علينا أن نخلق مسيحياً أو مهدياً لإحداث النزاع بين المسلمين، وعلى إثر ذلك عقد رجال الحكومة الإنجليزية اجتماعاً سنة ١٨٦٩م، وحسموا هذا القول بتقديم مدّعي النبوة الجديد هذا لكي يتزعزع المسلمون في عقيدتهم، وهو ما جاء في تقرير الآباء المبشّرين الموجود في مكتبة الدائرة الهندية في لندن"[٤].

وإليكم ترجمة النص الإنجليزي: "إن أكثرية أهل البلاد الهندية يتبعون اتباعاً أعمى شيوخ الطرُق الصوفية الذين هم

---

(١) الدكتور أحمد محمود الغازي: مفكّر وباحث تربوي إسلامي باكستاني، وأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، له مؤلفات في الفكر التربوي الإسلامي ومناهج الدعوة والإصلاح الاجتماعي، انظر: مبادئ التربية الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، أحمد محمود الغازي،الناشر: دار السلام، لاهور، ١٩٩٢م.

(١) مقال مستخرج من مجلة العربي، زكريا عبد الجواد، (ص/٥٣)، الصادر من الكويت في يناير، الطبعة: ٢٠٠٣م.

(٣) القاديان وخطرها على الإسلام، مصباح الدين زاهدي، (ص/٣٠)، الناشر: مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة: ١٩٩١م.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

زعماؤهم الروحيون، فإذا ما استطعنا في هذه المرحلة أن توجد لهم شخصاً يدعي أنه نبي ظلي ويقصدون بالنبي الظلي أنه تابع لنبي سابق، فإن أعدادا كبيرة من الشعب سوف تجتمع حوله، ولكن من الصعب جدًّا إقناع شخص من عامة المسلمين بهذه المهمة، فإذا نجحت هذه المهمة، فإن نبوة مثل هذا الشخص يمكن أن تزدهر في ظل رعاية الحكومة، لقد سبق لنا أن سيطرنا على الحكومات الوطنية باتباع سياسة طلب العون من الخونة، وكانت تلك مرحلة أخرى؛ لأنَّ الخونة في ذلك الوقت كانوا خونة من الناحية العسكرية، ولكننا الآن وبعد أن سيطرنا على كل بقعة من البلاد علينا أن نتخذ تدابير خلقِ اضطرابٍ داخليّ في البلاد[1].

وهكذا اختير مرزا غلام أحمد القادياني المولود في قاديان سنة ١٨٣٩م، والمتوفى سنة ١٩٠٨م لهذه المهمة الضارة، وادعى مرزا غلام أحمد القادياني النبوة تحت رعاية الحكومة البريطانية، وكان له أعوان كثيرون يحصل منهم على معُونات في نشر عقائده المزيفة، كما ترك كتبا كثيرة شاهدة على هذا العقائد، لقد رفع المسلمون أصواتهم ضد هذا الادعاء الكاذب للنبوة قبل استقلال باكستان وبعده أيضاً، حتى ظهرت حركة الدفاع عن ختم النبوة، وخرجت مظاهرات حاشدة ضد القاديانية خلال السبعينيَّات في باكستان، وفي هذا الإطار خرج العلماء مِن بيوتهم يقودون المظاهرات معبرين عن مشاعرهم الغاضية تجاه القاديانية، وجابهوا الحركات التي مثلت هذه الفئة، وكان العلامة مُحَمَّد كرم شاه أحد هؤلاء العلماء الذين شاركوا في حركة الدفاع عن عقيدة ختم النبوة، وآلت إليه رئاسة محافظة سرجودها، نظرًا لنفوذه في هذه المنطقة، وقدَّمَ نفسه للاعتقال عند ما اعتقِل جمع منَ العلماء والمفكِّرين بسبب نشاطهم ضدَّ القاديانية، وظل العلامة رهن الاعتقال حوالي شهرَين، ثمَّ أفرج عنه مع جميع العلماء.

وأثناء فترة السجن ألف كتاباً مستقلاً عن ختم النبوة يُنير الطريق لمن تاهوا في ظلام القاديانية وطبع هذا الكتاب تحت عنوان (فتنة إنكار ختم النبوة)، وله فيه آراء تتَّسم بالجرأة والصرامة في إثبات عقيدة ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، وأثبتها بالدلائل العقلية أيضًا، وهكذا كتب اسمه في سجل المناضلين الذين سعَوا للدفاع عن العقيدة، وحثوا الآخرين على الحفاظ عليها، وذلك لحماية الكيان الإسلامي من الآثار السلبية للقاديانية، وإيقاف تأثيرها على الدول الإسلامية الأخرى، فارتفعَت موجات الغضب، وازدادت المظاهرات ضدّ القاديانية في باكستان حتى اضطرّتِ الحكومة في عهد ذو الفقار علي بوتو [2] سنة ١٩٧٧م إلى أن تعلِنَ أنَّ القاديانية وأتباعها خارجون عن الإسلام، ولهم حقّ الإقامة في باكستان كغيرهم من غير المسلمين، وقد أدى العلامة مُحَمَّد كرم شاه دوره في اقتلاع جذور القاديانية في باكستان وخارجها مِن خلال مؤلفاته ومحاضراته وأسفاره إلى البلاد الأجنبيَّة، فقد كان يوضح أهميَّة عقيدة ختم

---

(١) القاديان وخطرها على الإسلام، مصباح الدين زاهدي، (ص/٣١).

(٢) ذو الفقار علي بوتو (١٩٢٨–١٩٧٩م): سياسي باكستاني، مؤسس حزب الشعب الباكستاني، ورئيس باكستان (١٩٧١–١٩٧٣م)، ثم رئيس الوزراء (١٩٧٣–١٩٧٧م)، أُعدم بعد انقلابٍ عسكريّ قاده ضياء الحق.انظر: *بھٹو خاندان کی سیاسی جدوجہد، ناصر، سید ضمیر، کراچی: نیشنل بک فاؤنڈیشن، ٢٠٠٥م.*

النبوة قائلاً: "إنَّ عقيدة ختم النبوة كعقيدة التوحيد والرسالة، والقضاء عليها قضاء علينا"، وذكر ذلك في تفسيره للقرآن الكريم في مستهلّ سورة البقرة، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[1]. إن الله تعالى لَم يذكر في هذه الآية نزول شيءٍ بعد القرآن الحكيم مما يشير إلى أنَّ النبوة قد انتهت بالنبي مُحَمَّد[2]، كما استنبط العلامة أيضًا هذه العقيدة من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبا أَحَدٍ مِّن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النبيينَّ﴾[3]. فختمَ الله على سلسلة النبوة بحبيبه محمَّد عليه الصلاة والسلام.

وفي عهد الجنرال مُحَمَّد ضياء الحق لجأ القاديانيون إلى الأمم المتحدة سنة ١٩٨٨م، وقدموا شكوى يتَّهمون فيها باكستان بأنها اغتصبت حقوقهم، وانتهكت حرماتهم، وأبعدتهم عن الوظائف والدوائر الحكومية، فطلبت الأمم المتحدة من الحكومة الباكستانية إعادة حقوق القاديانيّين إليهم كرعايا مسلمين في بلد إسلاميّ، فاختار الجنرال مُحَمَّد ضياء الحق العلامة مُحَمَّد كرم شاه لتوضيح موقف باكستان تجاه القاديانية في المؤتمر الذي عقد تحت رعاية الأمم المتحدة في السابع من أغسطس عام ثمانٍ وثمانين بعد ألف وتسعمائة للميلاد، وقدَّم العلامة مُحَمَّد كرم شاه موقف باكستان أمام المؤتمر في ثلاثة محاور:

المحوَر الأول: الإنسان حُرّ في عقيدته يتبع مذهباً من المذاهب فيعدّ من أتباع هذا المذهب، فعلى سبيل المثال، المسلم يؤمن بالنبي مُحَمَّد، فلا يُعدّ مسيحيّاً ولا يهودياً حتى وإن آمن بالرسولَين عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام، ومِن هذا المنطلق فإن القاديانيين يؤمنون بميرزا غلام أحمد قادياني النبي الظلي وِفقَ اعتقادهم الكاذب فصاروا بذلك أتباع القادياني، حتى وإن آمنوا بالأنبياء السابقين والنبي الخاتَم عليهم الصلاة والسلام.

المحور الثاني: إنّ البداية كانت بتكفير القاديانيين للمسلمين واعتبارهم كفاراً لعدم الإيمان بالنبي عليه السلام الظليل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد منحت الحكومة الباكستانية الفرصة كاملة لأتباع القاديانية بتقديم الدلائل والشواهد على صحة وصدق ادعاءاتهم، ولكنهم لم يستطيعوا الإتيان بالدلائل الحاسمة في قضية ختم النبوة، فأصدر البرلمان الباكستاني حينذاك قراره بتكفير القاديانية.

المحوَر الثالث: إنّ الحكومة الباكستانية تعطي القاديانيين حقوقهم كاملة سواء في التحاقهم بالوظائف أو توفير حق التعليم ومعاملتهم بشرف وكرامة في كافة المجالات على مستوى الإنسانية.

وأمام المحاور السالفة التي وضعها العلامة مُحَمَّد كرم شاه أمام اللجنة المكوّنة، رجال القانون من الدول المختلفة في مؤتمر جنيف أصدر هؤلاء قرارهم بأن القاديانيين يتَّمتعون بحقوقهم كاملة في جمهورية باكستان الإسلامية، وأن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤، وكذلك: تفسير ضياء القرآن، (٣١/١).

(٢) المرجع السابق، (٦٩/٤).

(٣) سورة الأحزاب، الآية :٤٠

شكواهم أساسها من الكذب والخيانة لبلدهم [1].

ولا يزال القاديانيون يعيشون في باكستان في رغدٍ منَ العيش، ولم يعد لديهم ما يحيكون المؤامرات من أجله ضد المسلمين، لا سيما بعد قرار الأمم المتحدة.

الخلاصة:

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري شخصية محورية في المجتمع، يجمع بين العالم المصلح، والمربي الحكيم، والقيادي الواعي.

اجتماعيًا: عاش قريبًا من عامة الناس، يزورهم في بيوتهم، ويشاركهم في مناسباتهم، ويواسيهم في الشدائد. كان بيته مفتوحًا للطلاب وطلبة العلم، والمحتاجين، وأصحاب الحاجات.

ثقافيًا: أسهم في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة من خلال التدريس والخطابة والتأليف، وكان يولي أهمية كبرى لتعليم المرأة وتثقيفها بما يتوافق مع القيم الإسلامية. كما كان حريصًا على تصحيح المفاهيم الخاطئة، ومحاربة البدع، وربط الناس بالقرآن والسنة.

سياسيًا: كان من المؤيدين لقيام دولة باكستان على أساس الإسلام، ودعا إلى تطبيق الشريعة في مؤسسات الدولة. كما شارك في بعض الأنشطة الوطنية، وبقي ثابتًا على موقفه من أن السياسة يجب أن تكون في خدمة الدين، لا أن يكون الدين أداة للمصالح السياسية.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠

الفصل الثاني:

الجهود الشيخ محمد كرم شاه الأزهري العلمية والتطبيقية المتعلقة بالداعية

وهو يحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: جهود الشيخ فيما يتعلق بواجبات الداعية

المبحث الثاني: منهج الشيخ فيما يتعلق بإعداد الداعية

المبحث الأول: جهود الشيخ فيما يتعلق بواجبات الداعية

بذل الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري جهودًا بارزة في بيان واجبات الداعية، إذ أكّد على أن الدعوة إلى الله تقوم على العلم الراسخ والإخلاص الصادق، وأن الداعية لا بد أن يكون قدوة في قوله وفعله وسلوكه. دعا إلى الجمع بين الفكر العميق والروح الإيمانية، وأن يكون الداعية على بصيرة بواقع الناس واحتياجاتهم. كما ركّز على الأسلوب الحكيم والموعظة الحسنة، محذّراً من الغلظة والتعصّب، وداعياً إلى خطابٍ رحيمٍ يُقَرِّب ولا يُنَفِّر. وجعل من أهم واجبات الداعية تزكية النفس، وتعاهد القلب، وتجديد النية حتى تثمر الدعوة أثرها في النفوس والمجتمعات.

المطلب الأول: واجبات الداعية تجاه ربّه

١- الإخلاص:

إخلاص الداعية هوسرُّ توفيقه وعنوان تفوُّقه ودليل نجاحه وثباته؛ ذلك لأن الإخلاص شرط لقبول أي عمل، وهوأكثر اشتراطاً في عمل الداعية، لأن الأبصار تتجه إليه والأنظار تسلط عليه، وربما خالطه عجب أو رغبة في ثناء أو مجد، لذا كان مِن أهمّ الضرورات أن يتجرَّد الداعية من حظوظ النفس، وأن يحرص على تجريد عمله لله عملاً بالآيات والأحاديث التي دلَّت على وجوب تصفية النيات مما يشوبها مِن صرف العمل لغيره سبحانه وتعالى، وإذا كان الصواب شرطاً أساسياً للنجاح فإن الإخلاص شرط أساسي للثواب والقبول [١]،كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ إِلا لِيعْبُدُواْ اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٢]، وفي مقام آخر: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[٣].

وقد حذر النبي ﷺ من الرياء وحثَّ على الإخلاص، وأوضح أن آثار الأعمال إنَّما تكون الصالحة نتيجة الإخلاص وسلامة المقاصد، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٤].

يقول الشيخ مُحَمَّد كرم شاه: "إنّ داعيةً جاهلًا وغيرَ مُؤهَّلٍ تربويًّا قد يكون أضرّ على دعوته من أعدائها، إذا

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، عبد الكريم بكار، (ص/٥٦)، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: ٥٤، (٢٠/١) دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنية"،رقم الحديث: ١٥١٥، (١٩٠٧/٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.

كانت الأدلة التي يقدّمها واهيةً وإن كانتْ دعوتُه خاليةً من الإخلاصِ ونورِ التجرُّدِ لله، فإنَّه يُنَفِّرُ المستمعينَ من دعوتِه بدلًا من أنْ يجذبَهم إليه"[١].

فإذا كانت نيَّةُ الداعيةِ صادقةً نقيَّةً، وكان هدفُه نيلَ رضوانِ اللهِ، فإنه لا يستحقُّ ثوابَ اللهِ فحسب، بل يكونُ لكلامِه أثرٌ أعظمُ، ويتبعُ الناسُ دعوتَه؛ فهناك قصة يذكر عن الإخلاص.

كان الشيخُ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يُعلِّمُ الطلَّابَ الذين يأتون إلى مجلسِه تحسينَ إخلاصِهم ونيَّاتِهم، وكان يقول: "لقد جئتم إلى مَيداني التدريبي، فأنا أُرحِّبُ بكم، وكلُّ فرعٍ من فروعِ المؤسَّسةِ يُرحِّبُ بكم، ولكن غرضَ هذه المؤسَّسةِ ليس منحَ الشهاداتِ، ولا اكتسابَ الشُّهرةِ، بل غرضُها الوحيدُ أن تصبح عبدًا لله، فَأَصْلِحوا نيَّتَكم من اليوم، وتعاهدوا أن تكون صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمين"[٢]. وكان الشيخ يتلوا الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾"[٣].

٢- اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

إنَّ مما يجب على الداعية إلى الله على الدوام هو اتباعه للنبي ﷺ، والالتزام بجميع سنن الشرع ومستحبّاته، إضافة إلى محافظته على الفرائض والواجبات؛ فإن ذلك أزيَد في توفيره وأنفى للطعن في دينه[٤]، وهو الأصل الثاني في قبول أيِّ عبادة بعد الإخلاص لله تعالى، فمَن أراد لعبادته القبول فلا مناصَ له عن تجريد المتابعة للنبي ﷺكما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]. وقال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعَى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله"[٦]؛ كما ثبت في الصحيح عن عائشة الله قالت: أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدّ» [٧]. وَلِهَذَا قَالَ الله: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

---

(١) ضياء القرآن، (٦١٧/٢).

(٢) ماهنامة ضياء حرم، ضياء الأمت نمبر، (ص/١٣٢-١٣٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢

(٤) الحسنة في الماضي والمناصير بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، د. علي بن حسن بن علي القربي، (ص/١٩٩٤) الرياض، الطبعة: الأولى: ١٤١٥م.

(٥) سورة آل عمران، رقم الآية: ٣١

(٦) تفسير ابن كثير، أبو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (٥٤/١) المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، بيروت الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ (٥٤/١)

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم الحديث: ١٧١٨، (١٣٤٣/٣)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أَيْ يَحْصُلُ لَكُمْ"[١] قال أحد علماء السلف: "الدين والإيمان قول وعمل واتباع السنة"[٢].

قال الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله " يتبيَّن أنَّ العمل بأمر الله تعالى في ما يتعلَّق باتباع النبي ﷺ، لا يتحقَّق إلا إذا عُمِل بأقواله ﷺ على الوجه الذي تقتضيه هذه الأقوال، ويدل عليه مرادُها ومقصودُها كما يجب أداء الأفعال الضرورية على النحو الذي أدَّاها به النبي ﷺ ، فإن لم نعمل بتلك الإرشادات النبويّة كما ينبغي، أو لم نؤدِّ الأفعال النبويّة على الهيئة التي أداها بها النبي ﷺ، فإننا في هذه الحالة نكون محرومين من الاتّباع الحقيقي للنبي ﷺ، ذلك الاتّباع الذي أمرنا الله تعالى به مرارًا في كتابه الكريم"[٣]، فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتخذ النبي ﷺ قدوة له في دعوته بل في حياته كلها.

يقول الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله وهو يصف أهمية اتباع النبي ﷺ : " ولهذا أرسل ربُّ العالمين رسولَه، وأخبر جميع أهل الأرض إن كنتم تطلبون رضايَ وقربي، وترغبون في وصالي، فتمسّكوا بذيل رسولي الكريم ﷺ واذكروني بالطريقة التي علّمكم إياها، واعبدوني بالأسلوب الذي بيّن لكم، وعالجوا مشاكلكم الاقتصادية، والسياسية، والأخلاقية، والاجتماعية وفقًا لتوجيهاته ﷺ، فهذا هو السبيل الوحيد لنيل رضائي، ولا سبيل إلى قربي إلا بهذا الطريق[٤].

أتناول القصة التي ذكرها الشيخ أثناء دراسته وقال: "يوما في أثناء الدرس، عندما كنتُ في مصر، كان الناس يشيرون إلى لحيتي، ويقولون: هذا سُنّي، هذا سُنّي، لكنّي لم أشعر بالحرج من كلامهم أبدًا فييوم من الأيام سألتُ أستاذي الشيخ أبو زهرة عن اللحية، فقال لي: "عزيزي، إنّه من سعادتك أنك متمسّك بسنّة رسول الله ﷺ، وأما نحن فهذه من شقوتنا أننا حُرمنا من هذا العمل الصالح"[٥].

٣- المحاسبة الدائمة وتجديد التوبة والاستغفار:

الداعية عندما يحاسب نفسه دائماً على كل ما يقوم به ويتكلم به تكون نفسه هي التي أقسم الله بها حين قال الله تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٦]، وجاءت لا لتوكيد القسم، قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي؟ وما أردت تحديث نفسي؟! والفاجر لا يحاسب نفسه"[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير،(٢٦/٢).

(٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار العالم الكتب، بيروت لبنان (١٩/١٥٥.

(٣) مقالات ضياء الأمت، حافظ أحمد بخش (١/ ١٣٠)

(٤) مقالات، ، (١/ص ١٢٥).

(٥) مجلة شهرية، ضياء حرم، (ص/١٣٨)

(٦) سورة القيامة، الآية: ١

(٧) رسائل فتيان الدعوة ،الشيخ جاسم بن مُحَمَّد بن مهلهل، (ص/٢٥)، مؤسسة السماحة، الكويت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.

وكذلك يبين الشيخ عليه الرحمة مفهوم نفس اللوامة عند الصوفيين فيقول: "يقول الصوفية: إن نفس اللوامة هي النفس الأمارة؛ لأنها تأمر بسوء الأفعال في كل وقت، لو ولكن إذا اشتغلت بذكر الله تعالى، فإنها بفضل عناية المولى الكريم تنكشف لها عيوبُها ونقائصها بعون الله وستندم عليها"[١].

إن أعظمَ من له الحقُّ عليك هو نفسُك، فأصلِحْها أولًا، ثم وَعِظِ الآخرين"[٢].

ولنفسك عليك حق، فقم بإصلاح نفسك أولا، ثم تنصح الآخرين، ولذا ينبغي لكل داعية إلى الله تعالى أن يُحاسب نفسه دائماً؛ فإن كان ما قدّمه خيرًا، فليثبُت عليه مع إخلاص النية لله عز وجل، وإن كان قد أساء، فليسارع إلى التوبة والاستغفار، ويُصلح ما استطاع[٣].

٤-إنقاذ النفس مِن إضاعة الوقت:

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يوصي طلابه دائمًا بعدم تضييع أوقاتهم، فكان يبيّن لهم أهمية الوقت أثناء خطابه للعلماء الفضلاء في دار العلوم المحمدية الغوثية، فيقول:"أثمنُ ما يملكه الإنسان في حياته هو الشهورُ والسنونُ والأيامُ والليالي، فمَن أدرك قيمتَها وانتفع بها قدرَ الإمكان، نالَ خيرًا في الدنيا والآخرة، وأما من ضيّعها فقد خسر في الدنيا والآخرة." قال: "من علامات إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه"[٤].

ثم ذكرالشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله الآية المباركة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[٥] وبعد ذالك نقل عن عمر رضي الله عنه: "لأ أكرَهُ أَنْ أَرى أَحَدُكُمْ غَافِلاً سَبَهَلَا لا فِي عَمِل دُنْيَا وَلا في عمل آخرته"[٦] ثم أوصى الشيخُ طلابَه قائلاً: "أرجو منكم أن تكتبوا هذا القولَ الثمينَ المبارك، وتعلّقوه في مكانٍ تَرَونه كلَّ يوم"[٧]. وفي أحاديث أخرى: "عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ «مِن حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه» [٨].أي من كمال إسلام الإنسان وحُسن أدبه أن يترك ما لا فائدة له فيه، ولا شأن له به؛ فلا يتدخل في أمور الآخرين، ولا يشغل نفسه بما لا ينفعه في دينه ولا دنياه.

---

(١) ضياء القرآن، (٥/٢٢٩).

(٢) ماهنامة ضياء حرم، (ص/١٣٩).

(٣) نفس المصدر والمرجع والصفحة.

(٤) كتاب الزهد، باب ما جاء في ترك ما لا يعنيه، حديث رقم، ٢٣١٧، (٤/ ٣٦٠) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

(٥) سورة الم نشرح، الآية: ٧

(٦) تجليات ضياءالأمت، (ص/٤٩٦).

(٧) نفس المصدر والمرجع (ص/٤٩٦).

(٨) نفس المصدر والمرجع (ص/٤٩٦).

المطلب الثاني: واجبات الداعية تجاه نفسه:

أ- أخلاقه وسلوكه:

أوالا: الصدق

الصدق في حدِّ ذاته قرينُ الإيمان، ومرتبط بالتقوى، بل لا يمكن أن يجتمع إيمانٌ عميقٌ كاملٌ مع كذبٍ صريحٍ في قلبِ مؤمنٍ واحدٍ أبداً ولذلك، فإن من واجباتِ الداعيةِ الأساسية أن يكون صادقًا في جميع أحواله؛ صادقًا مع ربّه، ومع نفسِه، ومع الآخرين، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصدق، وحثّهم عليه في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن الكريم [١] كما يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢]. ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» [٣].

أمَّا فيما يتعلق بالدعوى، فيجب على المدَّعي للإسلام أن يثبت صحة دعوته بأخلاقه وأفعاله، فالمدعي الذي تتناقض أفعاله وأقواله، وبدلاً منَ النتائج المفيدة لدعوته، ستظهر الشكوك والشبهات صدق الإسلام، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم عظمة خلقه على صحة دعواه كما جاء في القرآن الكريم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٤]، ونصَّ القرآن على أن منَ الضروري أن يكون الداعي ذو خلق رفيع حتَّى لا يكون هناك تناقض في أقوال الداعي وأفعاله، ولهذا حذَّر الله علماء اليهود من أنهم مملوءون بالتناقض في أقوالهم وأفعالهم، فعليهم أن يغيروا سلوكهم فقال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَانْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَبَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٥].

فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه يكتب تحت هذه الآية في بيان أهمية اتّحاد القول والفعل عند الداعية والواعظ فيقول: "كان علماءُ اليهود يأمرون الناسَ بأن التوراةَ كتابُ الله، ويجب تنفيذُ كلِّ ما جاء فيها، لكنهم كانوا هم أنفسُهم يُهملون أوامرَها الصريحة لمصالحهم الشخصية ومع أنهم رأَوا في النبي ﷺ الصفاتِ المذكورة في التوراة، لم يُؤمنوا به نهم الله تعالى عن نفاقهم وسياستهم المزدوجة وهذا التوبيخ موجَّهٌ إلى كلِّ من يأمرُ الناسَ بالخير، ويخالفُه في عمله" [٦].

---

(١) صفات الداعية، حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، (ص/ ٧٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث: ٢٦٠٧، (٢٠١٢/٤) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٤

(٦) ضياء القرآن، (٥٣/١).

ثانيا:التواضع

التواضع مِن خير الأعمال وأحبّ الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التألُّف، ومحقق للحب والودّ، وقد أمر الله نبيَّه بأن يتواضع للمؤمنين فقال سبحانه وتعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]. وهو يمكن الدعاة مِن جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون منهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والغني والفقير، والضعيف والقوي، ومع العالم والجاهل وكل أصناف المجتمع[٢].

فالتواضع تعبيرٌ صادق عن العظمة الحقيقية، ولذلك فإن المتواضع يزداد رفعةً في أعين الناس من غير أن يسعى إلى ذلك، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره الخفية، وأما المتكبر: فإنه يضع نفسه في امتحانٍ دائم، لأنه كثيرُ الادّعاء، وعليه أن يُثبت باستمرار أنه ليس دون ما يُقال عنه، وهيهاتَ له أن يبلغ ذلك[٣].

وإنَّ ثمرةَ المعرفةِ بالله وبالنفس هي التواضع، فلا يمكن أبدًا أن يتكبر مَن عرف ربَّه، ولا أن يجهل التواضعَ مَن أدرك قدرَ نفسه، وعلى هذا، فإن كان المتكبّر جاهلًا بربّه وجاهلًا بنفسه، فإن المتواضع عارفٌ بربّه، عارفٌ بنفسه،

كما كان الشيخ عليه الرحمة متواضعًا لينَ العريكة، مظهرًا للذل والانكسار، حتى إذا طُلِبَ منه أن يَدعُو، كان يردُّ بِحَنَانٍ قائلاً: "ادعُ لي أنت أيضا، بارك الله فيك[٤].

وكذلك يكتب الشيخ رحمه الله سمات العالم ويقول: "من الضروري أن يكون العالِمُ الديني متحلّيًا بصفة التواضع والانكسار، وقد كتب في ذلك: ليس العالِمُ الحقُّ مَن يُحسِنُ بيانَ القرآنِ والحديثِ بفصاحةٍ وبلاغةٍ، بل العالِمُ الحقيقيُّ هو من امتلأ قلبُه تواضعًا، واتّصف بالانكسار، واشتدَّ فيه خوفُه من الله عز وجل"[٥].

ثالثا: الشجاعة والجرأة في الحق

لا يستطيع الداعية أن ينهض بأي عمل من أعمال الدعوة دون امتلاك نصيب من الشجاعة؛ ذلك لأن طبيعة الدعوة تقوم على تجاوز السكون والسلبية والقصور الذاتي، إلى التأثير في الآخرين وإعادة صياغة نفوسهم من جديد،والشجاعة تعني أشياء كثيرة، منها: مواجهة الظلم، والتغلب على الصعوبات والأخطار، والاعتراف بالخطأ، وغير ذلك.

والشجاعة والجرأة تعدان من الغرائز الفطرية، ولكن في الوقت نفسه يمكن تقويتها وتنميتها بالتربية الجهادية

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٨

(٢) صفات الداعية د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، (ص/ ٥٧).

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم بكار، (ص/١٣١).

(٤) تجليات ضياء الأمت مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/ ٩٥).

(٥) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٢٠٣).

والمران والتدريب وخوض المواقف؛ لأن كثرة اعتياد الشيء تجعله طبعاً[١]، ويستحيل أن يكون المسلم جباناً أو تذلأ، ولقد حرص الإسلام على اتصاف الداعية بالقوة والشجاعة والجرأة وذلك لأهميتها في بيان الحق وقوله دون خوف أو وجل، وليكن الهدف الأول للداعية هو الدفاع عن الحق والصدع به، ولا يخاف في ذلك لومة لائم، ما دام أنه يقول الحق الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى ومن رسوله [٢].

فالشيخ رحمه الله كان شجاعًا في الدفاع عن الحق، وكان يقول كلمة الحق دائمًا بدون خوف، وقد تحمل بسبب ذلك صعوبات ومشكلات كثيرة، لكنه لم يخضع أبدًا لأي حاكم ظالم أو جبار، بل بقي ثابتًا على الحق، فأدّى دورًا مهمًّا في حركة نظام مصطفى، واضطرّ إلى قضاء سبعة وثلاثين فترة في السجن من أجل إعلاء كلمة الحق. وكان إذا جاءه مريدوه لزيارته، يقول لهم: "الشوك في طريق المحبة أحبّ إليّ من الزهور"[٣].

الرابع: الصبر

الصبر في اللغة: حبس النفس عن الجزع [٤].

وفي الاصطلاح: الصبر هو ترك الشكوى مِن ألم البلوى لغير الله [٥].

إنّ طريق الدعوة إلى الله طريق ليس مفروشاَ بالورد، خالٍ من العقبات، بل هو طريق شاقٌّ وطويل، مليء بالعقبات والمعوقات التي تعترض طريق الدعاة إلى الله، والدعاة في هذا الطريق أحوج ما يكونون إلى الصبر؛ لأنه ركيزة من ركائز دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى، ولذا أمر الله إمام الدعاة وقائدهم مُحَمَّد ﷺ بالصبر وحثَّه عليه، وبيَّنَ له أن الصبر هو خلق أولي العزم من الرسل، كما أخبر بذلك تبارك وتعالى في كلامه المجيد فقال: ﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٦] وقول الإمام القرطبي في تفسيره: "ذكر مقاتل "أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم أحد، فأمره الله أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتاً له"[٧].

فالصبر خلق مِن أخلاق المسلمين عامة، يستعينون به في أمور حياتهم العامة وفي طريقهم في الدعوة إلى الله بصفة خاصة، وهو خير عطاء يعطاه العبد، وهو من أخلاق المسلمين ووسائلهم؛ للاستعانة به على أمور الحياة كما أمرهم

---

(١) الاحتساب وصفات المحتسبين د. عبد الله بن عبد المحسن المطوع، (ص/١٠٣)، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية.

(٢)الاحتساب وصفات المحتسبين د. عبد الله بن عبد المحسن المطوع،(ص/٩٧).

(٣) تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/٨١).

(٤) مختار الصحاح، للرزاي، (٣٧٥/١).

(٥) التعريفات ،لجرجاني، (١٧٢/١) .

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١، ١٤٦).

الله تبارك وتعالى بذلك قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلوةِ﴾[1] وإنَّ الدعاة إلى الله وهم يمضون في طريق المدعوَّة، ويلاقون فيها المشاق والصعاب، ويقابلون ذلك بالصبر والثبات، إنما يعلمون ما أعد الله للصابرين، فقد وعدهم الله تعالى الأجر بغير حساب، كما أخبر الله تبارك وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

ولما كان الصبر بهذه المكانة العالية، وبهذه الأجور العظيمة، وبهذه الأهمية باعتباره ركيزة من ركائز الدعوة؛ فإن الشيخ أولاه اهتماماً كبيراً، فحثَّ عليه في جميع وسائل الدعوة التي كانت متاحة أيامه فقد تكلم عنه في خطبه، وتناوله في برنامجه الإذاعي، وكتب عنه في الصحافة، وما ذاك إلَّا إيماناً منه بأهمية الصبر للناس عامة وللدعاة بصفة خاصة باعتباره ركيزة من ركائز الدعوة.

إنَّ الداعية إلى الله يؤمر بالصبر عندما يحتاج إليه، ولزام على كل داعية أن يحتاج إليه، فإن طريق الدعوة إلى الله طريق الابتلاءات، والابتلاء في طريق الدعوة يحتاج إلى صبر مِن أعظم الأسباب التي توجب الصبر ما يُلاقيه الدعاة إلى الله مِن عقبات وابتلاءات في طريق الدعوة إلى الله؛ فإنهم حتماً سيُلاقون ما لاقى سيد الدعاة ﷺ منَ التكذيب والأذى والصدود كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[3].

يُبيّن الشيخ مُحَمَّدكرم شاه رحمه الله في تفسيره ضياء القرآن أن هذه الآية الكريمة تتضمّن منهجًا تربويًّا متكاملًا أرشد به لقمان الحكيم ابنَه، وهو صالح لكل داعية ومربٍّ ومصلح، فبدأ بالأمر بالصلاة، لأنها صلة بين العبد وربه، وأهمّ ما يربّي النفس على الطاعة والانضباط، ثم أوصى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة الأنبياء والدعاة، وهي الأساس في إصلاح المجتمع، ثم ختم بالوصية بالصبر، لأن من يقوم بهذه المهام العظيمة لا بد أن يواجه أذىً ومشقاتٍ ومصاعب، ولا يتمّ له النجاح إلا بالصبر والثبات، ويؤكّد الشيخ رحمه الله أن الصبر على الأذى في سبيل الله، وعلى تبعات الدعوة، هو من العزائم العظيمة التي لا يثبت عليها إلا من قوي إيمانه وصدق توكّله على الله.

فالشيخ رحمه الله يقول"إن من واجب الداعية أن يتحمّلَ بصبرٍ وثباتٍ ما يعترضه في طريق الدعوة من شدائد ومحن [4].

ومن المقرَّرات الأساسية، والمبادئ الأولية، أن أول ما يجب على المكلف: العلم، ثم العمل، ثم الدعوة إليه، ثم الصبر وتحمل الأذى في سبيل ذلك؛ ثم إن القائم بالدعوة إلى الله إنما يقوم بمهمة من مهام الأنبياء والرسل صلوات الله

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠

(٣) سورة لقمان، الآية: ١

(٤) دعوت وتبليغ کے زریں اصول، د مُحَمَّد نعيم الدين الأزهري، (ص/٩٣).

وسلامه عليهم أجمعين؛ فإذا لم يروّض الداعية نفسه على ذلك منذ البداية، فإنه ينقطع في أول الطريق أو أوسطه؛ ولهذا نجد الله تعالى يأمر رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم أئمة الدعوة به[١]، يقول الله تعالى موجهاً نبيه مُحَمَّداً ﷺ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٢].وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣]، فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يفسر تحت تفسير الآية: "ما دام الإنسان في هذه الدنيا، فلا بدّ أن يواجه شيئًا من الحزن والهمّ والمصيبة والألم، فلم يُوهِمِ القرآنُ أتباعَه أنّ الالتجاء إلى الإسلام يعصِمُهم من كلّ المصائب والشدائد، ولكن القرآن منح المسلمين درعًا من الصبر، يَستطيعون به أن يَحتمُوا من أمواج المصائب والحوادث العاتية، وأعطاهم عقيدةً راسخة تحفظ لهم السكينة والطمأنينة حتى في أدقّ اللحظات وأصعبها، يعلَمُ كلُّ أحدٍ أنَّ من أفلت من يده حبلَ الصبر، فقد فقدَ عزيمتَه في المواجهة، وتَحرفُهُ المصائبُ كما يجرف السيلُ القَشَّ، ولكن إذا صبر وثبت في وجه المحن متوكّلًا على الله، فإن هذه السحبَ السوداء ستنقشعُ من تلقاءِ نفسها"[٤].

وكذلك من كان يعتقد أنَّه وما يملك، ليس له، بل هو من عطاء الله تعالى، فلماذا يحزن ذلك الإنسانُ حزنًا شديدًا إذا مات له أحدٌ، أو خسر في الزراعة أو التجارة، حتى يفقد صبره وينهار؟بل سيجد نفسَه دائمًا مستعدًّا لكفاحٍ جديدٍ وهمّةٍ متجدّدة [٥]، وكذلك روى الإمام البخاري ومسلم في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: « ما يُصيب المسلمَ من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ[٦]، ولا هَمٍّ، ولا حزنٍ، ولا أذًى، ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يُشاكُها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه.»[٧] أي إنَّه إذا جاء يومُ القيامة، ونُصِب الميزان، ووزنت الحسناتُ والسيئاتُ، فقلَّت حسناتُه وكثُرت سيئاتُه، ورأى المصائبَ التي أصابته في الدنيا، وصبرَ عليها ورضيَ بقضاء الله فيها، وُضِعت تلك المصائبُ مع الحسنات، فرجحت بها على السيئات، فكان من الناجين.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي على المذكر أصوله وضوابطه وآدابه، خالد بن عثمان السبت، المنتدى الإسلامي، (ص/٤٥)، اليمن، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٣

(٤) ضياء القرآن، (١٠٩/١).

(٥) نفس المرجع، (١٠٩/١).

(٦) الوصب هو الوجع والمرض، انظر: لسان العرب، الابن منظور، مادة: (وصب)، (٣١٧/٩).

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، رقم الحديث: ٥٣١٨، (٥/٢١٣٧) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

المطلب الثالث: واجبات الداعية تجاه أسرته وأقاربه

١– نحو الوالدين:

قال الله تعالى في القرآن الكريم:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾[١]وفي مقام آخر قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٢].

إنَّ هذه الآيات القليلة في غاية الأهمية وتستحقّ التأمّل، لأنها تُبيّن أُسسَ الحضارة الإسلامية، والتي بفضلها نال المجتمعُ الإسلامي مكانةً متميّزة بين أمم العالم وفي هذه الآيات، يُعرض بأسلوبٍ جذّاب ،كيف ينبغي أن يكونَ ارتباطُ الإنسان بربّه الكريم، وكذلك كيف يجب أن يكون سلوكه مع والديه، وأقاربه، وسائر أفراد المجتمع.

لقد أوجب الله في هذين الآيتين حقاً للوالدين لم يوجب مثله دين سماوي، ولا قانون وضعي، ولا عُرفٌ اجتماعي، حين قرن الإحسان إلى الوالدين بالركن الركين، والأساس الراسخ للدين، وهو التوحيد والبُعد عن الشرك، ثم جاء الرسول ﷺ الذي أنزل عليه القرآن ليُبيّنه للناس، فكان بيانه شرعاً، وحديثه وحياً، ولكنَّه وحي اللفظ فيه لفظ رسول الله، والقرآن وحي من الله، بلفظه ومعناه، فذكر أن الدرجة الأولى في استحقاق البر هي الأمّ، والدرجة الثانية تركت شاغرة لتحتلها الأم، والثالثة مثلها، والرابعة للأب: «أمُّك ثم أمُّك ثم أمُّك، ثم أبوك»[٣].

–عن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ »[٤].

–عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ» [٥]

بعد ذكرالأحاديث الرسول يقول الشيخ عليه الرحمة"بعد هذه التعليمات الواضحة، إذا نظرنا إلى أحوال بعض الدول مثل دول أوروبا، نجد أنَّ من النادر أن يعتبر الأبناءُ خدمةَ والديهم الكبار في السن مصدرَ سعادةٍ أو شرفٍ لهم. فغالبًا

---

(١) سورة الإسراء: الآية: ٢٣

(٢) سورة الإسرا، الآية:٢٤

(٣)– أخرجه الإمام الترمذي في سننه الترمذي، كتاب البر والصلة والآداب، باب ماجاء في عقوق الوالدين، رقم الحديث:١٩٠١، (٣١٢/٤)، تحقيق وتعليق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،.بيان الكبائر وأكبرها، رقم الأحاديث ٢٥٩تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث: ١٤٦، (٩٢/١) تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

ما ينفصل الابن عن والديه بعد الزواج، ولا يشعر تجاههما بأيّ مسؤولية أخلاقية أو التزام قانوني بخدمتهما. ونتيجةً لذلك، تضطر حكومات تلك البلاد إلى إنشاء دور رعاية، يُودَع فيها الوالدان الكبار في السن أو المرضى، ليقضوا فيها ما تبقّى من حياتهم"[١].

فيُوضّح الشيخ رحمه الله في هذه العبارة أن المجتمعات الغربية رغم تقدمها المادي تفتقر إلى روح البرّ بالوالدين، إذ لا يرى الأبناء خدمة والديهم الكبار واجبًا أو شرفًا، بل يتركونهم بعد الزواج دون اهتمام أو رعاية، مما يضطر الحكومات هناك إلى إنشاء دورٍ خاصةٍ لرعاية المسنين مع ذلك أن الإسلام يعلّمنا برَّ الوالدين ورعايتَهما، بينما يغيب هذا الخلق في كثيرٍ من المجتمعات المادية.

– نحو الزوجة:

الأصل في الحياة الزوجية أن تقوم على المحبة والتسامح، لا أن تُعامل كأنها شركة تجارية يؤدي فيها كلُّ شريك ما عليه من واجبات ويأخذ ما له من حقوق ثم يمضي في سبيله، إن الله تعالى جعل بين الزوجين مودة ورحمة، وأقام الحياة الزوجية على المحبة، فإذا وُجدت المحبة، انقلبت بها السيئات حسنات، فالزوجة عنصر مهم في حياة الإنسان، وحتى يؤتي هذا العنصر ثماره في تكوين الأسرة المسلمة، لا بدَّ من واجبات وحقوق يقوم بها الداعية تجاه الزوجة.

لقد منح الإسلامُ المرأةَ مقامًا رفيعًا من حيث الكرامة والاحترام والحقوق، لانظير له في أيّ حضارةٍ أخرى وبعد عقدِ النكاح، جُعِلَ الرجلُ والمرأةُ مصدرًا للسَّكينة والمحبَّة والرَّحمة لبعضهما البع، .وقد قال الله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] فقال الشيخ مُحَمَّدكرم شاه الأزهريّ رحمه الله، في تفسيره ضِياءُ القُرآن: "إنّ الإسلام قد منح المرأةَ مكانةَ الإنسانيّة، ورفع من شأنها، وأقرّ لها بجميع حقوقها، وكذلك يُبيّن الشيخ رحمه الله "أن منح الإسلامُ المرأةَ مقامَ الإنسانيّة، ورفع منزلتَها بالعزّة والكرامة، وأقرّ بجميعِ حقوقِها، كانت المرأة قبل الإسلام مظلومة، تُعَدّ من جملة المِلك، حتى إن بعض الأقوام كانوا يدفنون بناتهم وهنّ أحياء، لقد أعطى الإسلامُ المرأةَ حقَّ الميراث، وحقَّ التعلُّم، وحقَّ إبداءِ الرأي في النكاح والطلاق، وأوصى الزوجَ أن يُحسنَ معاملتَها"[٣] وكذلك قال في تفسيره لسورة النساء: "إنّ المرأةَ ليست مجرّدَ جنسٍ لطيف، بل هي نصفُ الأمّة، وتربيةُالأجيال تتمّ في حِضنِها"[٤] .

وأمر الرجل أن يرفق بزوجته، وإذا لم يعجبه أمر أمره بالصبر أسوة كما قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ،

---

(١) ضياء القرآن، (٦٥٢/٢).

(٢) سورة الروم الآية: ٢١

(٣) ضياء القرآن، (٥٦٨/٣).

(٤) نفس المصدر، (٢٣٠/١).

وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[1] فكلما أحسن الزوج معاملة زوجته، كان أقرب إلى الخير.

وقد أُمر الرجل بأن يُحسن إلى زوجته، وإذا لم تُعجبه خُلقها أو طباعها، فقد أُمر بأن يصبر عليها، فإن فسدت العلاقة بين الزوجين، وجب عليهما السعي في إصلاحها بالحكمة والموعظة، والتعاون على تجاوز الخلاف[2].

ليست الزوجةُ مجرّدَ خادمةٍ في البيت أو وسيلةً لقضاء الحاجة، بل هي شريكةُ الحياة، والتعاملُ معها بالمحبّة والاحترام والعدل هو من تعاليم القرآن والسنّة.

يقول الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في بيان حال المرأة قبل الإسلام وبعده:"لقد كانت المرأة تتعرّض لظلمٍ شديدٍ زمناً طويلاً، مع أن الله خلقها مخلوقًا عاقلًا وروحانيًّا، لكنها كانت تُعامَل في بعض المجتمعات كأنها شيء لا روح فيه، وكان يُجبَر بعض النساء على أن يُحرَمن من الحياة، فيُحرَمن مع جثث أزواجهن بعد موتهم، وأحيانًا كانوا يعتقدون أنها مصدر كل الشرور، بل كانوا يشكّون في كونها إنسانة أصلًا، ولم يكن لها أي حقٍّ في الميراث أو الملكية، بل كانت حالتها أسوأ من ذلك بكثير، ثم جاء الإسلام، فأعلن أن للنساء حقوقًا كما أن للرجال حقوقًا عليهن، ومنحها حقَّ الميراث كأمٍّ وزوجةٍ وبنت، وسمح لها بامتلاك المال والتصرّف فيه، ولأن أوثق علاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة الزوجية، فقد أمر الإسلامُ الرجلَ أن يعامل زوجته بلطفٍ وإحسان، وإذا لم تُعجبه في شيءٍ، فعليه أن يصبر ويتحلّى بالحكمة"[3].

يعني الشيخ رحمه الله عليه يوضح في هذه العبارة أن المرأة قبل الإسلام كانت مظلومة ومهانة في كثير من المجتمعات، حتى إنهم كانوا يعدّونها سبب الشرور ويشكّون في إنسانيتها، ولم تكن تملك أي حقوق كالميراث أو الملكية، ثم جاء الإسلام فأنصفها، وأعطاها مكانتها اللائقة، وحقوقها في الميراث والمال، وأمر الرجال بحسن معاملتها والرفق بها، مؤكّدًا على أن العلاقة الزوجية يجب أن تقوم على اللطف والصبر والحكمة.

دور الوالدين في بناء شخصية الطفل:

استشهد الشيخ رحمه الله بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4]، ليؤكّد أنَّ التربية الدينية تبدأ من داخل

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل أزواج النبي، رقم الحديث: ٣٨٩٥، (٥/٧٠٩) تحقيق وتعليق أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، حكم الألباني هذاحديث صحيح.

(٢) ضياء القرآن، (٣١٦/١).

(٣)ضياء القرآن، (٣١٨/١).

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦

الأسرة، وأنَّ الوالدين مسؤولان عن غرس الإيمان والقيم في نفوس أبنائهم منذ الصغر، حتى ينشأوا على الطاعة والاستقامة، فينجوا بأنفسهم وأهليهم من عذاب النار، فالشيخُ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يذكر في تفسيره قولَ سيدنا عمر ﷺ لهذه الآية: "يُؤمَرُ المؤمنون أن يُنقِذوا أنفسهم وأهليهم من النار"، قال عمر ﷺ: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، نُقي أنفسنا، فكيف بأهلينا؟ فقالﷺ "تنهونهم عمّا نهاكم الله عنه، وتأمرونهم بما أمرالله به"، وبيَّن الشيخ عليه الرحمة "أن المؤمنين مأمورون بوقاية أنفسهم من عذاب جهنم، غير أنّ مسؤوليتهم لا ينبغي أن تقتصر على أنفسهم فقط، بل يجب عليهم أن يبذلوا جهدهم في إنقاذ أهلهم وأولادهم من النار، فهي مسؤولية شرعية واجبة عليهم"[(١)]، وكذلك نقل الشيخ مُحَمَّد كرم شاه قول العلامة القرطبي:" وعلينا تعليمُ أولادِنا وأهلينا الدينَ والخيرَ وما لا يُستَغنَى عنه من الأدب" [(٢)]. قال الرسول ﷺ: « حقُّ الولدِ على الوالدِ أن يُحسِن اسمَه، ويُعلِّمَه الكتاب، ويُزوِّجَه إذا بلغ »[(٣)]، وكذلك قول الرسول ﷺ: «ما نَحَلَ والدٌ ولدَه من نِحْلٍ أفضلَ من أدبٍ حسنٍ»، بعد ذكر الأحاديث والأقوال المفسرين يقول الشيخ عليه الرحمة في تفسيره: "ينبغي أن تبدأ التربية الدينية والتعليم العملي منذ سن الطفولة، فالمعارف والقيم التي تُغرس في ذهن الإنسان في أوائل عمره تبقى راسخة في ذاكرته إلى آخر حياته، والعادات التي يكتسبها في صغره تصبح جزءًا من طبيعته الثانية، فإن الوالدين الذين لا يوجّهون أبناءهم منذ نعومة أظفارهم إلى طاعة الله، يوشك أن يروا أبناءهم قد ضلّوا عن سواء السبيل. ولهذا أمرَ النبي مُحَمَّد ﷺ أمته: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ وفرّقوا بينهُم في المضاجعِ» [(٤)].

وبعد هذا يقول الشيخ عليه الرحمة "ليتنا نهتم بتعليم أولادنا وتربيتهم على ضوء كلام الله وأقوال النبي ﷺ، فلن نشتكي بعد ذلك من ضياع الأولاد والبنات ولا من سُوء تصرفهم"[(٥)].

أي لو أننا جعلنا تربية أبنائنا وبناتنا قائمة على تعاليم القرآن الكريم وسُنّة النبي ﷺ، فربّيناهم على الإيمان والأخلاق والالتزام، لما واجهنا بعد ذلك المشكلات التي نراها اليوم من ضياع الأبناء، وانحرافهم، وسوء تصرّفاتهم.

---

(١) ضياء القرآن، (٣٠٠/٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، (١٩٤/١٩)، تحقيق: أحمد البردوني إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، باب في حقوق الأولاد، حديث رقم: ٨٢٩٨، (٦/ ٤٠٠) تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٤) أخرجه أبي داوود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث: ٤٩٥، (١٣٣/١) المحقق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(٥) ضياء القرآن، (٣٠٠/٥-٣٠١).

المبحث الثاني: جهود الشيخ فيما يتعلَّق بإعداد الداعية

اهتم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري اهتمامًا كبيرًا بإعداد الداعية، فدعا إلى تكوينه تكوينًا علميًا وروحيًا وأخلاقيًا متوازنًا. رأى أن الداعية لا يكتفي بالعلوم الشرعية فحسب، بل يجب أن يطّلع على العلوم العصرية وواقع المجتمع ليؤدي دوره بفعالية. كما أكّد على ضرورة تزكية النفس وتهذيب السلوك قبل الدعوة، لأن التأثير الحقيقي ينبع من القدوة الصالحة. وشدّد على أن إعداد الداعية يتم عبر التربية المستمرة والتدريب العملي، ليصبح قادرًا على مواجهة تحديات العصر بروحٍ إيمانيةٍ وبصيرةٍ نافذة.

المطلب الأول: وجوب تبليغ الدعوة وإعداد الداعية

الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله من العلماء الذين ركّزوا كثيرًا على إعداد الداعية تربيةً وفكرًا وأسلوبًا، وبيّن في كتبه أن الدعوة لا تؤتي ثمرتها إلا إذا توافرت في الداعية شروط وأمور لازمة ، الأمور اللازمة لإعداد الداعية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه:

١. الإخلاص لله تعالى: الدعوة عبادة، ولا تصح إلا إذا كان قصد الداعية وجه الله تعالى، لا رياءً ولا سمعة ولا غرضًا دنيويًا.
٢. العلم الشرعي الراسخ: ضرورة التزوّد من القرآن والسنة والفقه، حتى تكون الدعوة على بصيرة، قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[1]. كان الشيخ عليه الرحمة يوصي طلابه بالجمع بين علوم النقل والعقل.
٣. القدوة الحسنة: كان يرى أن الداعية إذا لم يكن قدوة عملية فلن تؤثر دعوته، واستشهد بحديث" :رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".
٤. تزكية النفس وتهذيب الأخلاق: إصلاح القلب، والتحلي بالتواضع، والحلم، والصبر، والابتعاد عن الغرور والجدال العقيم.
٥. الوعي بواقع الأمة: معرفة تحديات العصر، ومشكلات الناس، والظروف الاجتماعية والسياسية؛ لأن الداعية لا يخاطب فراغًا بل يخاطب مجتمعًا.
٦. القدرة على التواصل وحسن البيان: امتلاك أسلوب مؤثر، يجمع بين قوة الحجة ولطف الأسلوب، مع مراعاة حال المخاطب.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

٧. الصبر والثبات: كان الشيخ يكرر أن طريق الدعوة محفوف بالصعاب، والداعية لا بد أن يتحلى بالصبر على الأذى والابتلاء.

٨. العمل الجماعي والمؤسسي: لم يكن يرى الدعوة عملاً فرديًا فقط، بل أكد على دور المؤسسات والمدارس والجامعات في إعداد الدعاة.

كان مِن رحمة الله بالناس أن جاءتهم الدعوة الإلهيَّة بما اشتملَت عليه مِن أسس صالحة، ونظم كاملة لكافَّة جوانب الحياة، وقد أوجب الله سبحانه وتعالى تبليغ دعوته للناس حيث أمر رسوله مُحَمَّداً بذلك كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١]، وفي مقام آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، والأمرُ يُفيدُ الوجوبَ، كما أنَّ الأمرَ بتبليغ الدعوة إيجابٌ لما تضمَّنه من تكليف، ومن المعلوم أنَّ الأصلَ في خطابِ الله تعالى لرسولِه ﷺ دخولُ أُمَّته فيه إلا ما استُثني، وليس من هذا المستثنى أمرُ الله تبارك وتعالى بالدعوة إلى دينه، فبقي وجوبُ تبليغِ الدعوة على المسلمين، كلٌّ بحسب طاقته وفي حدود استطاعته، كما وجب على الرسول ﷺ، وقد وجَّه النبيُّ ﷺ أصحابَه إلى هذا الواجب حين أمرهم به، وقال ﷺ: «فليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ »[٣].

وطبيعة الإسلام تؤكِّد ضرورة القيام بتبليغ الدعوة الإسلاميَّة بواسطة، دعاة يعدون لحمل الأمانة، وأداء الواجب المطلوب؛ لأنه دين عام خالد يستلزم استمرار الدعوة إليه وتبليغه للناس، وإعداد هؤلاء الدعاة واجب حيث أمر الله لك بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه يكتب في تعليق هذه الآية: "هٰذَا هُوَ الدِّينُ القَيِّمُ الَّذِي غَيَّرَ قدر الْبَشَرِيَّةِ، وَإِنَّ تَبْلِيغَهُ وَنَشْرَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ. فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يُفْنُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي إِيصَالِ هٰذَا الرِّسَالَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ إِلَى أَقَاصِي الْعَالَمِ، لَانْحَصَرَ هٰذَا الرِّسَالَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ فِي بُقْعَاتٍ مَحْدُودَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فلزم على هذه الأمة أن تُعِدّ جماعة التي تكون كاملة في علمها وأعمالها ظاهراً وباطناً، وأن تكون قدوة كاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥].

والأمة هي طائفة عالمية؛ حيث أمر الله المسلمين من بينهم جماعة تتخصص في الدعوة إلى الخير إذ تعلم المعروف

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم الحديث: ١٠٥، (١/٥٢) تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤

(٥) تفسير ضياء القرآن، (٣/٢٦٠-٢٦١).

وتأمر به، وتدرك المنكر وتنهى عنه، وتصدير الآية بلام الأمر[1] يفيد وجوب إيجاد هذه الفئة العالمة لتبليغ الدعوة.

وقد ربّى الرسولُ ﷺ أصحابَه على الحق، واختار منهم مَن يصلح للدعوة، فبعثهم إلى عددٍ من الشعوب يدعونهم إلى الله تعالى، ومما لا يخفى أن واجب تبليغ الدعوة لا يتم إلا عن طريق الدعاة، وهذا يدل على وجوب إعدادهم، لأن ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب[2] كما أن سؤالَ الله تعالى للناس يوم القيامة يقتضي تبليغَ دينه إليهم، والدعوة لا تصل إليهم من تلقاء نفسها، فلا بُدَّ من وجود دعاةٍ يحملونها ويبلغونها إلى العالمين، وهكذا كان تبليغُ الدعوة واجبًا، وكذلك إعدادُ الدعاة، لأن ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، وإنْ كانت الحاجةُ إلى الدعاة الأكفاء قائمة في كل زمان، فإنها في هذا العصر أشدّ وأعظم، ليَتَعلَّم المسلمون ما جَهِلوا من أمور دينهم، وليتمكّنوا من مواجهة خطر التيارات المادية، التي اتسع نشاطها على أيدي دعاة المذاهب البشرية والنِّحَل المحرّفة، الذين تم تدريبهم على الترويج لباطلهم بذكاءٍ ظاهر، وخُطة مدروسة، وهدفٍ محدّد، ولا يجوز أبدًا أن يضعف صوتُ الحقّ أمام أهواء الباطل، وأن تُبثّ الشبهات الإلحادية بين الناس دون أن يجدوا من يتصدّى لها، ويدحضها بالحجة والبيان، وإنّ إعدادَ الدعاة فريضةٌ يتوجب على المسلمين أداؤها، وعلى الأمة أن تنهضَ بهذا الواجب أداءً لرسالة الدعوة، ووفاءً للأمانة التي تحمّلتها[3].

المطلب الثاني: منهج الشيخ مُحَمَّد كرم شاه في إعداد الداعية

إنَّ عملية إعداد الداعية دقيقة ومهمَّة ولا بدَّ لها مِن جهد كبير، وتخطيط سليم وإمكانيات واسعة حتَّى تصل إلى هدفها، وقد ذكر الشيخ رحمه الله عدَّة أمور ينبغي على الداعية القيام بها حتَّى بعد نفسه إعداداً جيداً، ويكون مؤهلاً للقيام بالدعوة إلى دين الله تعالى، ويحقق الثمرة المرجوَّة مِن دعوته بعد توفيق الله، ومِن ذلك ما يلي:

– الخلق الرفيع:

يجب على مدَّعي الإسلام أن يُثبت صحة دعوته بأخلاقه وأفعاله؛ فالداعي الذي تتناقض أقواله وأفعاله لن يحصل على نتائج إيجابية لدعوته، وستنشأ الشكوك حول صحة الإسلام وقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم عظمة خلقه على صحَّة دعوته، فقال الله للنبي صلى الله عليه وسلم أخبره ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4] وقد نصَّ القرآن على أنَّ من الضروري أن يكون الداعي ذو خلق رفيع

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، (١/ ٤٩٨) دار ابن كثير دار اليمامة دمشق، بيروت، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣.

(٢) القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من أحكام، علي بن عباس البعلي الحنبلي، (ص/١٩٠) تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة: ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

(٣) نفس المصدر (ص/١٩٠).

(٤) سورة يونس، رقم الآية ١٦

حتَّى لا يكون هناك تناقض في أقوال الداعي وأفعاله، ولهذا حذَّر الله علماء اليهود مِن أنهم مملوءون بالتناقض في أقوالهم وأفعالهم، فعليهم أن يغيروا سلوكهم فقال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَانْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يكتب تحت خلال هذه الآية بتعليم الداعي والواعظ عن وحدة القول والفعل فيقول: "كان علماءُ اليهود يأمرون الناسَ بأن التوراةَ كتابُ الله، ويحثّونهم على طاعةِ أوامرِه كلِّها، لكنهم كانوا هم أنفسُهم يُعرِضون عن أوامرِ التوراةِ الصريحةِ لأدنى منفعةٍ شخصيةٍ، فمع أنهم رأوا العلاماتِ التي ذكرتها التوراةُ في شأن النبي ﷺ، لم يؤمنوا به. فينهى اللهُ تعالى هؤلاء عن سياستهم المزدوجة ونفاقهم في المواقف، وهذا التوبيخُ الإلهي يشملُ كلَّ من يأمرُ بالمعروفِ وهو لا يعمل به، ويحثُّ على الخيرِ وهو لا يمتثلُ له"[2].

يعني عبارة الشيخ تبيّن أن علماء اليهود كانوا يدّعون الإيمان بالتوراة ويأمرون الناس باتباعها، لكنهم في الحقيقة لا يلتزمون بما فيها، بل يتركون أوامرها لأجل مصالحهم الشخصية، ومع أنهم وجدوا في التوراة أوصافًا واضحة للنبي ﷺ تدل على صدقه، لم يؤمنوا به عنادًا وحسدًا، ولذلك وبّخهم الله تعالى على هذا التناقض والنفاق، لأنهم يأمرون الناس بالخير ولا يعملون به، ثم تؤكد العبارة أن هذا التحذير الإلهي لا يخص اليهود فقط، بل يشمل كل من يدعو إلى الخير ولا يطبّقه في نفسه، وهذا التوبيخُ لكل من يأمر الناس بالخير، لكنه لا يعمل به بنفسه.

– العفو والتسامح:

وينبغي للواعظ أن يتحلَّى بالأخلاق الرفيعة وأن يتصرَّف بالصبر والتسامح والعفو والرحمة عندما يسلك المدعوُّون سلوكاً غير لائق، وبهذه الطريقة يمكن أن تميل قلوب الناس نحو الإسلام كما قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[3].

يقول الشيخ عليه الرحمة خلال تفسير هذه الآية:"إن الله سبحانه وتعالى يُخاطب نبيَّه الكريم ﷺ، ومن خلاله يوجِّه الخطاب إلى جميع الدعاة إلى الحق، مُرشدًا إياهم إلى أن سرَّ النصر في المعركة التي يخوضونها إنما يكمن في مقابلة الإساءة بالإحسان، لا بأي إحسانٍ كان، بل بأحسن ما يكون من الإحسان، فإذا رموكم بالحجارة، فلا تردّوا عليهم بالحجارة، بل اصبروا، فذلك إحسان، ولكن المنهج الأكمل أن تقابلوهم بالزهور، وإذا شتموكم، أو افترَوا عليكم، أو نسبوا إليكم التُّهَم الباطلة، فالأفضل أن تلتزموا الصمت، فهذا أيضًا خُلُق كريم يُمدَح عليه الإنسان"[4].

---

(١) سورة البقرة، رقم الآية: ٤٤

(٢) ضياء القرآن، (٥٣/١).

(٣) سورة فصلت، رقم الآية: ٣٦

(٤) ضياء القرآن، (٤/ ٣٤٧).

وذكر الشيخُ رحمه الله قصةً ذاتَ دلالةٍ حول ما سبق، فقال: سمع أميرُ المؤمنين عليٌّ ﷺ رجلًا يَسُبُّ قَنبَرًا [١] فهمَّ قنبرٌ أن يردَّ عليه، فناداه أميرُ المؤمنين:"مهلًا يا قنبر! دع شاتمَك مهانًا، تُرضِ الرحمن، وتُسخِطِ الشيطان، وتُعاقِب عدوَّك. فوالذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، ما أرضى المؤمنُ ربَّه بمثل الحِلم، ولا أسخَطَ الشيطانَ بمثل الصمت، وما عُوقِب الأحمقُ بمثل السكوتِ عنه. [٢].

– التوكل على الله:

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٣]، ومن القصص الدالّة على توكّل الشيخ رحمه الله ما كان يرويه لطلابه أثناء الدرس، إذ قال: "لقد أخطأتُ في حياتي مرةً واحدةً حين سألتُ أحدًا من الخلق، فاستغفرتُ ربي الرحمن الرحيم على تلك الزلّة، ومنذ ذلك الحين، عزمتُ ألّا أسأل أحدًا شيئًا أبدًا، ويذكر بنسبة الشييخ عليه الرحمة يقول: "في يومٍ من الأيام، قال لي ضياء الحق: هل أستطيع أن أقدّم خدمةً لمؤسستكم؟ فأجبته: أنا لا أطلب من أي إنسان أن يخدم مؤسستي، إنما أسأل ربّي الغنيَّ المغني، وأتوجّه إليه وحده بالسؤال"[٤].

إن النجاح في الدعوة إلى الإسلام ونشره يعتمد اعتمادًا تامًّا على التأييد والنصرة من الله تعالى، وقد أخبر الداعية الأعظم ﷺ أن هذه النعمة لا تُعطى إلا للنفوس الطاهرة، الذين تمتلئ قلوبهم بالتقوى، وتفيض بالمشاعر الطيبة والنية الحسنة، ولا ينبغي للداعية أن يعتمد على سعة علمه، أو قوة بيانه وبلاغته بل يجب عليه أن يطلب عون الله ونصره في كل وقت وحين [٥].

–الحكمة والموعظة الحسنة:

وقد أسمى القرآن الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسنة بأنهما أهم أصول الدعوة والتبليغ، فمن المهم للداعي أن يتبع هذه المبادئ حتى ينجح في دعوته قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٦].

يكتب الشيخ رحمه الله عن صفات الداعية تعليقًا على هذه الآية الكريمة، فيقول"إنَّ داعيةً جاهلًا، غيرَ مُؤهَّلٍ

---

(١) هو قنبر مولى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، ويقال له :قنبر بن كادان،الطبقات الكبرى،ابن سعد، (٢٢١/٦).

(٢) ضياء القرآن، (٣٤٧/٤) – (٢) أخرجه البيهقي قي شعب الإيمان، رقم : ٨٢٩٠،(٣٣٨/٦) ، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٣) سورة الطلاق، رقم الآية: ٣

(٤) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/١٣٥).

(٥) المصدر نفسه، (٢١٧/٢–٢١٨).

(٦) سورة النحل: رقم الآية ١٢٥

تربويًّا، قد يكون ضرره على دعوته أشدَّ من ضرر أعدائها؛ فإذا كانت الأدلة التي يقدّمها واهيةً وضعيفة، وكان أسلوبه في الخطابة خشنًا وعدائيًّا، وخَلَتْ دعوتُه من نور الإخلاص لله، نَفَّرَ المستمعين منها وأعرضوا عن دعوته"[١].

ويقول الشيخ رحمه الله موضّحًا معنى الحكمة: "النصيحة التي تذكّر بالخير والفلاح حتى تذوبَ القلوبُ القاسية، وتتحوّل إلى مِثل الشمعِ الليّن، أي لا تكونوا مثل الفلاسفة الذين يقدّمون أدلة جافة فقط، بل يجب أن يكون أسلوب خطابكم مليئًا بالإخلاص والمحبة، وتفيض كلماتكم بالرحمة والصدق ليكونْ صوتُك مليئًا بالشفقة والودّ، فيظهر ذلك في نبراته، حتى إذا كان الشخص ضالًّا، يتأثر بكلامكم ويقترب من الحق وإذا وصلت الأمور إلى الجدل والمناظرة، فجادلوا بالحسنى وبأفضل أسلوب، ولا تحاولوا إذلال الآخرين بسبب علمكم أوالتفاخر عليه، بل اجعلوا هدفكم إعلاء الحق، وتمسّكوا بالأخلاق والاحترام في حديثكم، ولا تُملوهم ما دامَ الداعيةُ غيرَ متصفٍ بهذه الصفات، فلا ينبغي له أن يخوضَ ميدان الدعوة، وللارتقاء إلى هذا المستوى، لا بُدّ إلى جانب سعة العلم والمعرفة، من التخلّق بمكارم الأخلاق والتحلّي بالصفات الحميدة"[٢].

–مراعاة المتطلبات العصرية:

ينبغي للداعية إلى سبيل الله أن يُراعي متطلبات العصر، وأن ينظر في أحوال المخاطَبين ودرجاتهم العلمية، كما ينبغي له أن يُراعي المقام والزمان، كما يُقال: لكل مقامٍ مقال [٣].

إن مراعاة المتطلبات العصرية في دعوة الناس إلى الإسلام، ومعالجة قضاياهم الفكرية والاجتماعية، مبدأ مهمّ في منهج الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، وقد ظهر ذلك جليًّا في تفسيره "ضياء القرآن، فهولم يقتصر على عرض الأقوال التقليدية فحسب، بل سعى إلى بيان هداية القرآن في ضوء الواقع المعاصر، وربط بين النصوص القرآنية وواقع الناس، مع محافظته على أصالة التفسير وروح الإسلام.

وقد اختار الشيخ رحمه الله هذا المنهج نفسَه في خُطبه ومؤلفاته، كما يتّضح من النص الآتي: " اطلعتُ على نوعين من الترجمات الأردية للقرآن الكريم:

النوع الأول هو الترجمة الحرفية: فيها نقص من حيث التعبير اللفظي على الرغم من أنها مهمة جدا؛ لأنها روح القرآن الكريم.

النوع الثاني هو الترجمة المعنوية أو التفسيرية:[٤] والمشكلة في هذا النوع من الترجمة هي أن الكلمة تكون في

---

(١) ضياء القرآن، (٦١٧/٢).

(٢) ضياء القرآن، (٦١٨/٢).

(٣) ليست حديثًا نبويًا مرفوعًا، وإنما هي من الأمثال العربية المشهورة.انظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه، (٧٧/٤).

(٤) وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب.

مكان وأما الترجمة تكون في مكان آخر بعد سطرين أو ثلاثة سطور، فالقاري لا يستطيع أن يطابق الترجمة مع اللفظ ومع الكلمة، فحاولت أن أجمع بينهما حتى لا يواجه القاري مثل تلك المشكلة.

٢-تراجم القرآن الكريم التي قرأتها باللغة الأردية تنقسم غالبًا إلى نوعين: النوع الأول هو الترجمة الحرفية، لكنها تفتقد إلى قوة الأسلوب، وهي من الخصائص المميزة للقرآن الكريم، بل هي روحه وجماله الحقيقي.

النوع الثاني هو التراجم بالأسلوب المحاور، والمشكلة فيها أن الكلمة الأصلية تكون في مكان، وترجمتها تُذكر قبلها بسطرين أو بعدها بسطرين، فيصعب على القارئ أن يعرف إلى أي كلمة أو جملة يرجع هذا الترجمة وقد حاولتُ أن أجمع بين هذين الأسلوبين في ترجمتي" [١].

-العبارة توضّح أن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله كان يَتّبع في ترجماته للقرآن الكريم منهجًا وسطًا بين الترجمة الحرفية والترجمة التفسيرية، فهو يرى أن:الترجمة الحرفية دقيقة في نقل الألفاظ لكنها ضعيفة في الأسلوب ولا تُظهر جمال القرآن وروحه، وإنما الترجمة التفسيرية تُعبّر عن المعنى بوضوح، لكنها تُفرّق بين النصّ الأصلي والترجمة مما يُصعّب على القارئ متابعة المقابلة بينهما، لذلك، حاول الشيخ أن يجمع بين الدقّة في الألفاظ وجمال الأسلوب وسهولة الفهم، بحيث تكون الترجمة قريبة من النصّ ومُعينة على تدبّره دون إخلال بروحه أو معناه.

-الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله قدّم تفسيرًا معاصرًا محافظًا، يجمع بين فهم السلف وروح العصر، ويُعَدّ نموذجًا رائعًا لمراعاة المتطلبات العصرية في خدمة القرآن والدعوة الإسلامية.

---

(١) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٣٤).

الباب الثاني

الجوانب الدعوية، أساليبها، وسائلها ومشكلاتها عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري رحمه الله

وهو يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: الدعوة وأهميتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله على مستوى الفرد والجماعة والحكومة

الفصل الثاني: أساليب الدعوة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الثالث: وسائل الدعوة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الرابع: المشاكل الدعوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

الفصل الأول:
الدعوة وأهميتها عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري على مستوى الفرد والجماعة والحكومة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الدعوة على مستوى الفرد

المبحث الثاني: أهمية الدعوة على مستوى الجماعة

المبحث الثالث: أهمية الدعوة على مستوى الحكومة

المبحث الأول: أهمية الدعوة على المستوى الفردي:

الدعوة على المستوى الفردي تعني أن يقوم الفرد بدعوة غيره إلى الخير، وتبليغ رسالة الإسلام بأسلوب شخصي، بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء مع الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء أو من يحيطون به دعوة الأنبياء فردًا فردًا لأقوامهم كما قال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[1]، أي أن نبي الله نوح عليه السلام كان يدعو قومه دعوة فردية متواصلة في الليل والنهار وكدعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّاإِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[2]، بدأ إبراهيمُ عليه السلام دعوتَهُ بأبيه، وكان أبوه من كبار صانعي الأصنام في قومه. فخاطبه إبراهيمُ عليه السلام بلُطفٍ وأدبٍ وشفقة، وأخذ يُبيّن له الحق برفقٍ وحنان.

فالشيخ كرم شاه رحمه الله كان يُولي اهتمامًا كبيرًا للدعوة الفردية، ويرى أنها أساس بناء المجتمع الصالح، وأنها الوسيلة الأنجح لتغيير القلوب وتوجيه النفوس كما قال الله تبارك وتعالى في القرآن المجيد: ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، يكتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه عليه الرحمة مبينًا أهمية الدعوة على المستوى الفردي في ضوء هذه الآية الكريمة:"في هذه الآية الكريمة يُوضَّح الفرق الحقيقي والتغيير العظيم الذي يحصل في الإنسان عندما يقول "لا إله إلا الله"، فالرجال والنساء الذين يستجيبون لدعوة النبي مُحَمَّد ﷺ يحدث فيهم انقلابٌ يغيّر ظاهرهم وباطنهم، وإنهم يكرّسون جميع وسائلهم لنشر الخير"[4]كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[5] قال الشيخ عليه الرحمة خلال تفسير هذه الآية: " يُؤمَر أهل الإيمان بأن يقيُوا أنفسهم من نار جهنم، ولكن مسؤوليتهم لا تقتصر على ذواتهم فقط، بل يجب عليهم أن يبذلوا كل جهدهم في إنقاذ أهليهم وأولادهم من عذاب النار أيضًا، قال عمر رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية، قلت: يا رسول الله، نُقِي أنفسنا، فكيف بأهلينا؟ فقال تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله "[6].

وكذلك بين الشيخ قول رسول اللهِ ﷺ خلال تفسير هذه الآية، قال ﷺ «مِن حَقِّ الوَلَدِ على والِدِهِ ثَلاثَةٌ:

---

(١) سورة نوح، الآية: ٥

(٢) سورة مريم، الآية: ٤١-٤٢

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٧

(٤) ضياء القرآن، (٢/٢٣١- ٢٣٢).

(٥) سورة التحريم، الآية: ٦

(٦) ضياء القرآن، (٥/٣٠٠).

يُحَسِّنُ اسمَهُ، ويُعَلِّمُهُ الكِتابَةَ، ويُزَوِّجُهُ إذا بَلَغَ» [1]كُلُّ فردٍ من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ مَسؤولٌ عن الدعوة على المستوى الفردي، وإذا قام كلُّ واحدٍ بأداء هذه المسؤولية كما ينبغي، فإن المجتمع سيتجنَّب كثيرًا من الشرور، وقد أكّدت الآية الكريمة والأحاديث النبوية بوضوح أهمية الدعوة الفردية ودورها في إصلاح المجتمع.

المطلب الأول: مسؤلية المؤمن في المجتمع:

مسؤولية المؤمن في المجتمع ليست ثانوية، بل هي جزء من إيمانه، فكل مؤمن يجب أن يسعى ليكون مصدر خيرٍ وبركةٍ لمن حوله، ويحرص على إصلاح نفسه ومجتمعه، فالمؤمن لا يعيش في عزلة عن مجتمعه، بل هو عضو فعّال يحمل رسالة الخير والإصلاح، وله مسؤوليات عظيمة تجاه من حوله، ومن أبرز هذه المسؤوليات: وله مسؤوليات عظيمة تجاه من حوله، ومن أبرز هذه المسؤوليات:

١- الدعوة إلى الله قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[2] على المؤمن أن يدعو إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة. يكون قدوة صالحة في أقواله وأفعاله.

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3] لا يسكت عن المنكر، ولا يتهاون في الإصلاح. ينصح بلين ورحمة دون تعنيف أو إسا.

٢- المشاركة في إصلاح المجتمع يساعد في نشر العلم، والتعاون على البر والتقوى. يُشارك في حل المشكلات الاجتماعية ويقف مع الضعفاء والمحتاجين.

٣- تحمّل الأمانة والمسؤولية قال النبي ﷺ:«عَنْ عبدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه»[4]

المؤمن مسؤول عن أسرته، وعن عمله، وعن تأثيره في مجتمعه عليه أن يؤدي دوره بأمانة وإخلاص، فالشيخ عليه الرحمة يقول" أن وقت تربية الأولاد الحقيقي هو مرحلة الطفولة، لأن في هذه المرحلة تتكوَّن الشخصية، ويمكن أن

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٨)، من طريق عبد الله بن عمر ﷺ، وذكره ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود (ص/٢٢٩)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع ، رقم: ٥٠٥١.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١١٠

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم الحديث : ٨٩٣.، (٦/٢) الناشر: دار طوق النجاة، وأخرجه المسلم في صحيحه المسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم الحديث: ١٨٢٩(١٤٤٩/٣) الناشر: دار إحياء التراث العربي.

تُصلَح أو تُفسَد، فالأب الذي يُهمِل هذا الواجب في هذه السن يكون مسؤولًا عن انحراف أولاده، وأما الأب الذي يُحسن تربيتهم في هذا الوقت، فإن أولاده ينشؤون على طاعة الله ورسوله ﷺ طوال حياتهم"[١]

وكذلك يقول الشيخ عليه الرحمة "يبدأ التعليم الديني والتربية العملية منذ مرحلة الطفولة، لأن الدرس الذي يُقدَّم في سنٍّ مبكرة يبقى راسخًا في الذاكرة مدى الحياة، والعادة التي يعتادها الطفل في صغره تصبح جزءًا من طبيعته، أما الآباء الذين لا يشجعون أبناءهم على طاعة الله في طفولتهم، فإن أولادهم غالبًا ما ينحرفون عن الطريق المستقيم"[٢].

ينبغي على الأب أن يُرَبِّي أبناءه تربيةً دينيةً صحيحة، فإذا أدّى هذه المسؤولية الدعوية كما ينبغي، نشأ عن ذلك مجتمعٌ صالح، لأنّ البيت هو الأساس في بناء المجتمع.

المطلب الثاني: مسؤلية الوالد على الأولاد:

يُبيِّن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مسؤولية الآباء تجاه أولادهم بوضوح، مؤكدًا أن التربية ليست مجرد واجب اجتماعي، بل هي أمانة شرعية يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة كما قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٣] فالشيخ عليه الرحمة يقول خلال هذه الآية: الوالدان اللذان يقومان بمسؤوليتهما الدعوية تجاه أولادهما، يسلم أبناؤهما من الضياع والانحراف. فإذا تربّى الأولاد على هذا النهج، وفهموا حقوقهم وواجباتهم والتزموا بها، كان الوالدان مطمئنين إلى حياتهم وسلوكهم بلا شك، وحيث إن الأولاد يتعلّمون منذ بدايات حياتهم، فإنهم إذا نشؤوا في مجتمع صالح تربّوا تربية صالحة، وإن نشؤوا في مجتمع فاسد اكتسبوا منه الضلالة والفساد. وللأبناء على والديهم حقّ التربية الصالحة والتوجيه إلى دين الله تعالى، وإلّا فإنّ المسؤولية تقع على عاتق الأبوين، فالأب الذي يُهمِل تربية أولاده يكون مسؤولًا عن انحرافهم، أما الذي يُحسن تربيتهم فإن أولاده ينشؤون على طاعة الله ورسوله ﷺ ما داموا أحياء، إن الآباء الذين يؤدّون واجب الدعوة والتوجيه لأبنائهم، يُنقذونهم بإذن الله من طريق الضلال والانحراف، ويغرسون فيهم الالتزام بالحقوق والواجبات، فتكون تلك الثمرة نتيجةً للتربية الصالحة والتدريب القويم، ومن المؤكد أن هؤلاء الآباء سيكونون راضين عن نمط حياة أولادهم وسلوكهم المستقيم، لذلك يجب علينا أن نتّبع أسلوب الدعوة الفردية، لأن بناء المجتمع الإسلامي يبدأ من البيت، ولا يكتمل إلا إذا أُسِّس على الوجه الصحيح. فالقوى المعادية للدين تسعى إلى تدمير أجيالنا من داخل بيوتنا"[٤].

تتجلّى أهمية الدعوة الفردية أيضًا في ضوء سورة العصر، تلك السورة العظيمة التي لخصت طريق النجاة من

---

(١) ضياء القرآن، (٣٠١/٥).

(٢)ضياء القرآن، (٣٠١/٥).

(٣) سورة التحريم الآية: ٦

(٤) ضياء القرآن (٣١٠/٥).

الخسارة في الدنيا والآخرة، حيث حثّ المؤمنين على الإيمان والعمل الصالح، ثم التواصي بالحق، والتواصي بالصبر. وهذه العناصر لا تتحقق إلا من خلال التفاعل المباشر والارتباط الصادق بين الأفراد، وهو ما تمثله الدعوة الفردية في أرقى صورها. فهي الوسيلة التي تُغذّي روح الإيمان، وتُثمر عملاً صالحًا، وتُقوّي روابط التواصي بالحق والثبات على طريق الصبر".كما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿وَٱلعَصرِ * إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسرٍ * إِلا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبرِ﴾[1]

يكتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "إنّ أول وأهم ما يجب على الإنسان هو أن يؤمن بصدق قلبه بربه الكريم، ويُصدّق النبيَّ ﷺ الذي بعثه اللهُ لهداية البشر وإرشادهم، وأن يقبل بكل إخلاص نظامَ الحياة الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله"[2].

أي الإيمان الحق هو الذي يجمع بين التصديق القلبي والعمل الصادق والالتزام الكامل بدين الله كما بلّغه النبي ﷺ، فبدون هذا الإيمان والإخلاص لا تكتمل إنسانية الإنسان ولا تتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، فلذلك يجب على المؤمنين أن يبلّغوا الآخرين نور الهداية، وألا يخافوا من العوائق التي تعترض طريق الحق، بل يواصلوا أداء هذا الواجب بثبات، ويتمسّكوا بالصبر بقوة.

---

(١) سورة العصر الآية: ١-٣

(٢) ضياء القرآن، (٥/٦٥٤).

المبحث الثاني: أهمية الدعوة على مستوى الجماعة

تُعدّ الدعوة إلى الله على مستوى الجماعة من الركائز الأساسية في بناء المجتمعات المسلمة وتوجيهها نحو الاستقامة والإصلاح، إذ تتجاوز أثرها حدود الأفراد لتشمل تكوين الوعي الجماعي وإحياء روح المسؤولية المشتركة في حمل رسالة الإسلام. كما تسهم الدعوة الجماعية في ترسيخ مبادئ الإيمان والأخلاق، وتعزيز قيم التعاون والتكافل بين أفراد الأمة، لتصبح الجماعة المسلمة قوةً فاعلةً في تحقيق مقاصد الشريعة، وإقامة الحياة على أسس العدل والخير والصلاح.

المطلب الأول: فضل الأمة المحمدية ﷺ

تُعدُّ الدعوة إلى الله على مستوى الجماعة من أعظم الوسائل لتحقيق نهضة الأمة وإقامة الدين في الواقع، إذ أن العمل الجماعي في مجال الدعوة يجمع الجهود ويوحِّد الكلمة، ويضمن استمرار التأثير وثبات المنهج.

وتتجلّى أهمية الدعوة الجماعية في النقاط التالية:

١- تحقيق التكامل والتعاون

الدعوة الجماعية تقوم على مبدأ التعاون والتكامل، حيث يسدّ كل فرد ثغرة من ثغور العمل الدعوي، ويعمل ضمن رؤية واضحة وأهداف مشتركة، مما يُثمر نتائج أعظم مما قد يحققه العمل الفردي.

٢- مواجهة التحديات بشكل منظم

في ظلّ ما تواجهه الأمة من حملات فكرية وأخلاقية وتشويه متعمّد للإسلام، فإن الدعوة الجماعية تمكّن الدعاة من التصدي لتلك التحديات بخطط علمية ومنهجية، وبرؤية موحّدة ومدروسة.

٣- التأثير الأوسع والاستمرارية

الجماعة الدعوية تُتيح نشر الرسالة إلى شرائح أوسع من الناس، وتضمن استمرارية العمل وثباته، لأن المشروع لا يتوقف برحيل الأفراد، بل يستمر عبر الأجيال.

٤- الاقتداء بالنموذج النبوي

النبي ﷺ لم يكتفِ بالدعوة الفردية، بل أسس جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، علّمهم وربّاهم وأرسلهم دعاة إلى الناس، فكانت الدعوة منظّمة وذات قيادة وتخطيط.

٥-بناء الأمة واستعادة مكانتها

من خلال العمل الجماعي المنضبط بالإخلاص والعلم والحكمة، يُمكن بناء أجيال من الدعاة الربانيين الذين يساهمون في إصلاح المجتمع وإعادة الأمة إلى موقعها الريادي في العالم.

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[١] هذه الآية دليل واضح على أن الدعوة الجماعية فريضة إسلامية، ومفتاح لصلاح المجتمعات ونجاة الأمة.

فاالأمة المحمدية، أمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ، هي خير الأمم على الإطلاق، وقد اختصها الله تعالى بفضائل عظيمة ومناقب جليلة لا تُحصى، تشريفًا لنبيها، ورحمة بها، وبيانًا لمكانتها بين سائر الأمم كما جاء في القرآن ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢]. أي الأمة المحمدية أمة وسط في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والتشريع، وهي معتدلة لا غلو فيها ولا تفريط، ولذلك اختارها الله لتكون شاهدة على بقية الأمم يوم القيامة فيكتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أمّة مُحَمَّد ﷺ شاهدة في الدنيا والآخرة؛ فهي تشهد في الدنيا على صدق الإسلام، لأنها تُجسِّد الصورة الحيّة لتعاليمه، وكلّ قول وفعل يصدر عنها يُمثّل شهادة حية على صدق هذا الدين وحقّيته، وأما في الآخرة: فإنها تُستدعى لتشهد على الأمم السابقة، بأن أنبياءهم قد بلّغوهم رسالة الله"[٣]، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٤] وهذه الشهادة مسؤولية عظيمة، لا تتحقق إلا إذا التزمت الأمة بسلوك الإسلام قولًا وعملاً، فصارت نموذجًا للهداية في الأرض[٥].

وفي موضعٍ آخر من القرآن الكريم، حُمّلت الأمة المحمدية مسؤولية الدعوة، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٦] يكتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في تفسير هذه الآية:"لقد مُنحت أمة النبي مُحَمَّد ﷺ لقب"خير الأمم"، أي أنكم أفضل من جميع الأمم التي ظهرت في العالم حتى اليوم، لأن هدف حياتكم طاهرة وعالية، فأنتم أحياء وتسعون من أجل أن يعلو صوت الحق، وتنتشر أنوار الهداية، وتزول ظلمات الضلال، وتنتشر الأخلاق الحسنة "[٧].

يعني العبارة تُذكّر المسلمين بأنهم نالوا شرف "خير أمة" بسبب رسالتهم السامية وأهدافهم النبيلة، وأن عليهم أن يظلّوا أمناء على هذه المهمة بنشر الحق والهداية والأخلاق، ليبقى هذا الشرف محفوظًا لهم.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

(٢) سورة البقرة الآية: ١٤٣

(٣) ضياء القرآن، (٥/٦٥٤).

(٤) سورة البقرة الآية: ١٤٣

(٥) ضياء القرآن، (٥/٦٥٣).

(٦) سورة آل عمران الآية: ١١

(٧) ضياء القرآن (١/٢٦٣).

المطلب الثاني: مسؤلية الأمة المحمدية في المجتمع

يصف الشيخ مُحَمَّد كرم شاه أهمية الدعوة على المستوى الاجتماعي على النحو التالي خلال سورة آل عمران ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فيقول الشيخ عليه الرحمة "هذا هو الدين القَيِّم الذي غيَّر مصيرَ البشرية جمعاء، وتبليغه ونشره فريضة من أعظم الفرائض، فإذا لم يوجد في الأمة من يُبلّغ هذه الرسالة الرحيمة إلى جميع الناس، فإن هذا النور قد يبقى محدودًا في بعض الأماكن ولا يصل إلى العالم كله"[2]، وكذلك قال الشيخ عليه الرحمة في تفسيره "إنَّ الدعوةَ الجماعيةَ هي الوسيلةُ لإيصال رسالةِ الدين إلى شعوبِ العالم، ولتثبيتِ الأمةِ الإسلاميةِ على طريقِ الهداية، وحمايتِها من الوقوعِ في الضلالِ في هذا الزمن، لقد تقدَّمتِ الدنيا كثيرًا من الناحيةِ المادية، ولكنَّ فريضةَ نشرِ الإسلامِ ودعوتَه لا تُؤدَّى كما ينبغي، فإذا أدَّينا هذا الواجبَ باعتباره مسؤوليةً جماعيةً، فإنَّ الإسلامَ سينتشرُ بلا شكٍّ انتشارًا واسعًا وسريعًا. وهذان الأمران، أي تثبيتُ الأمةِ الإسلاميةِ على طريقِ الإسلام، وإبلاغُ رسالةِ الهدى إلى غيرِ المسلمين، أمرانِ مهمَّانِ وضروريَّانِ للغاية، ولكنهما في الوقتِ نفسه صعبان، ولذلك فإنَّ إعدادَ جماعةٍ يكون علمُها وعملُها، وظاهرُها وباطنُها انعكاسًا كاملاً لسيرةِ وأخلاقِ رسولِ الإسلام ﷺ، هو واجبٌ جماعيٌّ على الأمةِ الإسلامية.وإنَّ جمعَ الصفاتِ المطلوبةِ في هؤلاءِ الدعاة ، مثلَ الفهمِ العميقِ للدين، وصفاءِ السيرة، وقوَّةِ الأخلاق، والتوازنِ بين الظاهرِ والباطن، ليس أمرًا يسيرًا، بل يحتاجُ إلى تضحيةٍ عظيمةٍ، وإيمانٍ قويٍّ، وبصيرةٍ نافذةٍ، وتربيةٍ روحيةٍ صادقة، فإذا لم تُؤدِّ الأمةُ هذا الواجبَ العظيم، فستكونُ مسؤولةً أمامَ اللهِ تعالى عن تقصيرِها"[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

(٢) ضياء القرآن، (٢٦٣/١).

(٣) نفس المصدر، (٢٦٠/١)

المبحث الثالث: أهمية الدعوة على مستوى الحكومة

تظهر أهمية الدعوة إلى الله على مستوى الحكومة في كونها تمثل الضمانة الكبرى لقيام الدولة على أسس العقيدة والشريعة، وتحقيق العدل والإصلاح في المجتمع، فالحكومة التي تستنير بهدي الدعوة وتتبنّى مبادئها تسعى إلى تربية الأمة تربيةً إيمانيةً، وتوجيه سياساتها لخدمة القيم الإسلامية، وحماية العقيدة من الانحراف، فإن الدعوة في هذا المستوى تُعدّ وسيلةً لبناء نظامٍ صالحٍ يُحقق مقاصد الشريعة في الحكم والرعاية والإصلاح.

المطلب الأول: مسؤلية الحكام عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

الدعوة إلى الله ليست مسؤولية الأفراد والمؤسسات الدينية فحسب، بل هي أيضًا مسؤولية الحكومات الإسلامية، لما لها من أثر واسع ونفوذ قوي، يمكن تسخيره لخدمة الإسلام ونشر رسالته عالميًّا، وفي الإسلام تقع مسؤولية الدعوة على عاتق الحكومة أيضًا، فإذا أدّت الحكومة الإسلامية هذا الواجب كما ينبغي، فلا شك أن أُسس نشر الإسلام ستكون قوية، وستنتشر ثمار الدعوة على نطاق واسع، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1].

قال الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في تفسير الآية: "عندما يتولّون منصب الحُكم لا يغفلون عن ذكر ربّهم، وإذا كانت مفاتيح خزائن الدولة في أيديهم، لا يصرفونها في ترفهم الشخصي وزينتهم، تحت راية حكمهم لا تنمو الفواحش ولا ينتشر الفسق والفجور، بل مع أنهم يملكون زمام السلطة، تظل رؤوسهم خاضعة بذلٍ وخشوع بين يدي ربهم الكريم، أموالهم تكون كفيلة بحاجات الفقراء والمساكين، من واجب الحُكّام ألا يُنفقوا أموال الدولة في المعاصي والآثام، بل ينبغي أن يُوجِّهوا هذه الخزائن لمساعدة المستحقين وتمكينهم من الاستفادة منها إذا بحثوا عن دستور آخر مع وجوده، فذلك سيكون خطأً منهم"[2].

المطلب الثاني: دور الشيخ في توجيه سياسة الدولة

الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله لم يكن مجرد عالم من العلماء، بل كان شخصية بارزة جمعت بين العلم والدعوة والعمل السياسي الهادف، وقد كانت له إسهامات مميزة في توجيه سياسة الدولة في باكستان، من خلال مواقفه، ومشاركاته في المؤسسات، ومشورته لقيادات الدولة.

قد شارك الشيخ عليه الرحمة عمليًّا في حركة تحرير البلاد إلى جانب والده المجاهد الكبير، السيد مُحَمَّد كرم شاه رحمه

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤١

(٢) تفسير ضياء القرآن، (٣/٢٢٤-٢٢١).

الله، وعندما سافر إلى مصر، كان يتابع التطورات السياسية في مصر والعالم بدقّة واهتمام، وهو لا يزال طالبًا في الأزهر الشريف في خمسينيات القرن الماضي.

كان يطالع الصحف اليومية بانتظام، ويستمع إلى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بكل التزام، كما عمل سكرتيرًا لـ "الاتحاد الثقافي الإسلامي" لطلبة باكستان في الأزهر الشريف، وبعد انتهاء دراسته، قام بجولة في بعض البلدان المجاورة مثل الشام، الأردن، وفلسطين، ليرى الأوضاع هناك بعينه مباشرة.

وقد دوَّن ملاحظاته وتعليقاته على تلك الأحداث في دفتر مذكراته، فنجده يذكر ما جرى بين الرئيس مُحَمَّد نجيب وجمال عبد الناصر، ومحاولة الأول تأسيس حزب جديد، ورفضه لتقسيم الشعب، كما وصف مشاهد من مظاهرات الشعب في ميدان الجمهورية قرب قصر العابدين، وكذلك كتب عن أنشطة نقابة المحامين وبعض المؤسسات الحكومية والأهلية، كما أشار إلى اعتداءات الصهاينة على قرية الحسينية في الأردن وغيرها، وأشار بأسف إلى نجاح الفرنسيين في زرع الفُرقة بين المسلمين العرب والبربر.

وقد رأى رحمه الله أن سبب نكبة الأمة يكمن في الابتعاد عن الإسلام، وموالاة القوى غير المسلمة كروسيا وأمريكا، وغياب وحدة المسلمين، مؤكدًا أن الأمة إذا توحدت، فإنها ستنجح في جميع مجالات الحياة.

ولما عاد فضيلته إلى الوطن، حاول أن يدخل ميدان السياسة عمليًّا من خلال الترشح لانتخابات المجلس المحلي في مدينته، ولكن والده رحمه الله كان يدعو الله تعالى أن لا ينجح في الانتخابات، لكي يتفرغ لنشر العلوم الإسلامية، فاستُجِيبَت دعوته، ولم ينجح.

ورغم انشغاله الشديد بالتعليم والتربية والدعوة والإصلاح، لم يتوقف فضيلته عن توجيه سياسة الدولة بما فيه خير للأمة ولدينها. وكانت مجلته المعروفة "ضياء الحرم" وسيلة قوية لإيصال توجيهاته ونصائحه إلى عامة الناس وخاصتهم، بل وحتى إلى حكام البلاد.

ففي عدد المجلة الصادر في فبراير عام ١٩٨٢، كتب فضيلته قائلًا: "لدينا هدفان رئيسيان: الأول، الحفاظ على دولة باكستان، والثاني، تطبيق النظام الإسلامي فيها فمن تقدّم نحو هذين الهدفين، فإننا نعاونه، وأما من انحرف عنهما، أو أراد أن يعبث بمصير باكستان، أو تآمر لتفتيت وحدتها الجغرافية، أو حاول أن يجعلها ميدانًا لتجربة أي نظام آخر، فلن نتساهل معه أبدًا، وسنسعى جاهدين لإفشال نيّته السيئة"[١].

ومنذ اللحظة الأولى، عمل فضيلته على تصحيح مسار الأمة، بتحويله من الاشتراكية إلى النظام الإسلامي العادل. وقد بدأ بعض المتفيقهين في ذلك الوقت يرفعون شعار: "آسيا حمراء"، أي: أنها لا بد أن تسير على النهج الاشتراكي فاجتمع فضيلته مع العلماء المخلصين، ونظّموا لقاءات توعوية، بيّنوا فيها للناس أن الشريعة الإسلامية هي

---

(١) ضياء الحرم، فبراير ١٩٧٢، (ص/١٥ ٢).

النظام الصالح لكل زمان ومكان، وأكد فضيلته أن سبب الاضطراب والتوتر في البلاد يرجع إلى الظلم الاقتصادي، وأن هذا الظلم لا يمكن أن يُعالج لا بالاشتراكية ولا بالرأسمالية، وإنما بالعدل والمساواة التي جاء بها الإسلام وحده[١].

قام الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله مع مجموعة من العلماء بجولة توعوية في غرب وشرق باكستان (حالياً بنغلاديش) سنة ١٩٧١م، بهدف توحيد كلمة المسلمين سياسيًّا، ففي ذلك الوقت، رفض البنغاليون نتائج فوز ذو الفقار علي بوتو في الانتخابات ضد الشيخ مجيب الرحمن[٢]، فقاموا بثورة واضطرت الحكومة إلى القيام بعملية عسكرية، أدّت في النهاية إلى انفصال بنغلاديش عن غرب باكستان، لكن الشيخ رحمه الله كان له موقف واضح وحكيم، حيث بيّن للحكومة بعد زيارته لبنغلاديش أن عقد مؤتمر قومي شامل يمكن أن يؤدي إلى نتائج ترضي الطرفين، وأكد على أهمية تعاون العلماء في هذا الشأن، أما موقفه من قضية كشمير المحتلة من قبل الهند، فكان ثابتًا على أن من حقّ أهل كشمير أن يُمَنَحوا حرية اختيار مصيرهم، من خلال استفتاء عام يُجرى تحت إشراف الأمم المتحدة، ليقرروا انضمامهم إلى أيٍّ من الدولتين، وفقًا للقرارات الدولية[٣].

لقد كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مثالًا للعالِم الرباني الذي لم ينعزل عن قضايا الأمة، بل شارك في توجيهها، وسعى إلى أن تسير الدولة على هدي القرآن والسنة، ملتزمًا بالعلم، والحكمة، والصدق في القول والعمل.

---

(١) ضياء الحرم، نوفمبر، ١٩٧٠، (ص/٦).

(٢)الشيخ مجيب الرحمن (١٩٢٠–١٩٧٥م): زعيم بنغلاديشي ومؤسس جمهورية بنغلاديش، وأول رئيسٍ لها بعد الاستقلال، قاد حركة الانفصال عن باكستان سنة ١٩٧١م، واغتيل في انقلابٍ عسكري سنة ١٩٧٥م.انظر: **شیخ مجیب الرحمن اور بنگلہ دیش کی تحریک آزادی، حسن، غلام. الناشر: اردو اکیڈمی سندھ، کراتشي، ١٩٨٨م.**

(٣) نفس المصدر، يوليو ١٩٧٢، (ص/٥٦).

الفصل الثاني:
أساليب الدعوة عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري

وهو يحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الحكمة

المبحث الثاني : الموعظة الحسنة

المبحث الثالث : المجادلة

المبحث الرابع: أسلوب الترغيب والترهيب

المبحث الخامس: القدوة الحسنة

المبحث الأول: الحكمة

يُعدّ مفهوم الحِكمة من أعمق المفاهيم الإنسانية التي تلتقي عندها معارفُ العقل ونورُ الوحي، وتعبّر عن التوازن بين العلم والعمل، والفكر والسلوك، والنظرية والتطبيق، وقد حظي هذا المصطلح بمكانةٍ سامية في الفكر الإسلامي؛ إذ ورد في القرآن الكريم مقرونًا بالكتاب، دلالةً على شرفها وعلوّ شأنها، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١]، والحِكمة في جوهرها ليست مجرّد معرفةٍ نظرية، بل هي بصيرةٌ نافذةٌ في الحقائق، وتمييزٌ بين الصواب والخطأ، وتوجيهٌ للسلوك الإنساني نحو الكمال الأخلاقي والعملي، لذلك ارتبطت الحِكمة في التراث الإسلامي بالتربية الروحية والعقلية معًا، وجعلها العلماء غايةً من غايات التعليم والتزكية.

المطلب الأوَّل: تعريف الحكمة لغةً واصطلاحاً

تعريف الحكمة:

أ- **الحكمة لغةً:** الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع حكمة السفيه، وأحكمته إذا أخذت على يدَيه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع منَ الجهل، وتقول حكمة فلان: أي منعتُه عمَّا يُريد[٢].

والحكمة: هو العلم، وصاحب الحكمة والحكيم المتقِن للأمور[٣].

والحكمة: إصابة الحقِّ بالعلم والعقل[٤]، والحكيم: المانع منَ الفساد، ومنه سميَت حكمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرس منَ الجري والذهاب في غير قصد[٥]، فالحكمة في اللغة تأتي بمعانٍ كثيرة تدور حول العقل وجعل الأمور في نصابها، إمَّا بالمنع أو بالعلم، أو بالعدل، أو بالحلم، وتنتهي بإتقان الشيء وإنجازه على أحسن وجه.

٢- **الحكمة شرعاً:** قد توجد هناك عدَّة تعاريف للحكمة فمنهم مما يلي:

قيل المراد من الحكمة هي: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخّره وحلاله وحرامه، وأمثاله[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٩١/١).

(٣) لسان العرب لابن منظور، (٦٨٨/١).

(٤) المفردات في غريب القرآن، راغب الأصفهاني، (ص/١٢٧) مادة: حكم تحقيق مُحَمَّد سيد الكيلاني، ١٣٨١هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، قرطبي، (٢٨٨/١).

(٦) تفسير ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي،

وقيل: الحكمة في القرآن هي معرفة الحق وقوله والعمل به[١].

وقيل: الحكمة شيء يجعلُه الله في القلب، ينوّر له به[٢].

وقيل: الإصابة في الأقوال والأفعال، ووَضع كلِّ شيء في موضعه [٣].

وقيل الحكمة هي: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي[٤].

وقيل: هي وضعُ الشيء في موضعه[٥].

ومنَ التعاريف أيضاً للحكمة أنها: الإصابة في معرفة الحق والعمل به، والدقة وضعِ الأمور مَوضعها الصحيح[٦].

والمراد منَ الحكمة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه:"هي تلك الحجج القويَّة التي توضح الحق وتحوّل الشك إلى اليقين"[٧]، وقال ابن القيم: جعل الله سبحانه وتعالى مراتب الدعوة موافقةً لمراتب الناس؛ فالذي يستجيب للحق، ويتّسم بالقبول والذكاء، ولا يعاند، يُدعى إلى الله بالحكمة"[٨].

الحِكمةُ والموعظةُ الحسنةُ من صفاتِ الداعيةِ في دعوته إلى الله، وكان الشيخُ ـ رحمه الله ـ كثيرًا ما يوجّه طلابه إلى هذه الصفة المهمّة، فيقول: "مَن أوتي هاتين النعمتين: الحِكمةَ والموعظةَ الحسنةَ، كان كلامُه مؤثّرًا ونافعًا للناس[٩].

المطلب الثاني: خصائص الدغوة ومظاهرها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

يرى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري أنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساس للدعوة الإسلامية، لأنه كتاب الهداية والنور، وبه صلاح الفرد والمجتمع. كما يؤكد على أنّ الداعية لا ينجح في مهمته إلا إذا كان قدوة عملية يطابق سلوكه ما يدعوا إليه، حتى تكون دعوته مؤثرة، ويرى أيضاً أنّ الدعوة الإسلامية شاملة، فهي لا تقتصر على العبادات فحسب، بل تنظم شؤون الحياة كلها: الفردية والاجتماعية والسياسية.

(١٨٤/١) من كلام ابن عباس ﷺ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(١) الفتاوى، شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية (٤٥/٢) الناشر: دار الوفاء، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

(٢) جامع البيان، حمد بن جرير بن يزيد الطبري الطبري، (٨٧/١).

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، زيد عبد الكريم الزيد، (ص/٣٠)، الناشر: دار العاصمة، الرياض.

(٤) مدارج السالكين، أَبُو عَبْدِ الله شَمْسُ الدِّينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكرِ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ بْنِ حرَيزْ الزُّرْعِيَّ المعروف باسم ابن القيم، (٢٤٩٩) الناشر: دار العاصمة، الرياض.

(٥) نفس المصدر (٣٠/٢).

(٦) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغدوي، (ص/٣١)، هـ، الناشر: دار اشبيليا، ١٤٢٠هـ.

(٧) تفسير ضياء القرآن، (١٧٢/٦).

(٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم (١٥٨/١)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

(٩) دعوت وتبليغ کے زریں اصول، دکتور محمد نعیم الدین الازہری، (ص/٩١) الناشر: مجلس الدعوۃ الإسلامیۃ آسٹریا.

ومن أبرز خصائصها كذلك الاعتدال والوسطية، بعيداً عن الغلو والتقصير، مع التركيز على البعد الروحي والأخلاقي الذي يُصلح القلوب ويزكّي النفوس، وقد اهتم الشيخ ببيان أنّ الدعوة الإسلامية تعالج قضايا العصر، وتقدّم الحلول للمشكلات المادية والفكرية التي تعاني منها المجتمعات، مؤكدًا أن البديل الحق هو تعاليم الإسلام. كما نبّه إلى أنّ الدعوة مسؤولية جماعية، يشترك فيها كل مسلم حسب طاقته واستطاعته، وأنها لا تؤدي ثمارها إلا إذا التزم الداعية بالمنهج النبوي القائم على العلم والبصيرة والحكمة والرحمة[١]، والحكمة أسلوب قرآني في الدعوة إلى الله بل في جميع جوانب حياة المسلم، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢]،فيتّضح من هذه الآية أنَّ الحِكمة في الدعوة مُقدَّمة على سائر الأساليب الدعوية، وقد فسَّر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه لهذه الآية مبيّنًا أهمية الحِكمة بقوله: "قد يكون الداعية الجاهل وغير المهذَّب أشدَّ ضررًا على دعوته من أعدائها أنفسهم، إذا كانت أدلته ضعيفة، وأسلوب خطابه قاسيًا ومعاندًا. وإذا كانت دعوته خالية من نور الإخلاص لله، فإنها تُنفِّر المستمعين وتُبعِدهم عن الحق الذي يدعو إليه"[٣].

يتّضح من العبارة الشيخ رحمه الله يُبرز خطورة الجهل وسوء الخُلق في ميدان الدعوة، ويُبيّن أن:

١- الجهل في الدعوة مفسد لا مصلح:

الداعية إذا لم يكن مؤهَّلًا علميًّا، فإن ضعفه في تقديم الأدلة الشرعية وافتقاره للعلم قد يجعل دعوته سببًا لتشويه الدين بدلًا من خدمته.

٢- الخشونة تُنفِّر لا تُقرِّب:

الأسلوب الخشن أو المعاند في الخطاب، حتى لو كان الداعية مخلصًا، يُعدّ من أكبر أسباب النفور، وهو مخالف لمنهج الأنبياء الذين قال الله عنهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٤].

٣- الإخلاص هو روح الدعوة:

إذا خلت الدعوة من الإخلاص لله تعالى، فإنها تفقد بركتها وأثرها، حتى لو كانت ظاهرًا مليئة بالكلام والعاطفة، لأنها تُصبح دعوة للنفس لا لله.

٤- الداعية الجاهل أخطر من العدو الظاهر:

لأن العدو مكشوف، أما الداعية الجاهل فقد يُضل من حيث لا يشعر، فيصدّ الناس عن سبيل الله باسم الدين.

فالشيخ عليه الرحمة "في المجالس العامة والندوات يتكلم بلطف ومحبة، و إذا تحدث عن الأمور التي يختلف الناس

---

(١) دعوت وتبليغ کے زریں اصول، دکتور محمد نعیم الدین الازھری، (ص/٩١)، (٢) ضياء القرآن، (٦١٧/٢).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٣) ضياء القرآن، (٦١٧/٢).

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٥٩

فيها، يتكلم بكلام هادئ ومتوازن، حتى إنّ كل من يستمع إليه يوافقه على كل ما قاله بعد انتهاء كلامه

"مرّةً ألقى الشيخُ عليه الرحمةُ خطابًا في إحدى القرى، فاستفتح بتلاوة الآية الكريمة: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ثم فسّر الشيخُ الآية، واستمرّ الحديث عن أسلوب الحِكمة حوالي ساعتين ونصف، وكان عددٌ كبير من الحاضرين في تلك القرية من أتباع المدرسةالديوبندي، وعند انتهاء الخطاب، قال كثيرٌ من الديوبنديين بعدما عرفوا كلام الشيخ لو كانت هذه هي عقيدة أهل السنّة، فكلّنا نتفق معهم[2].

ومرّةً، انتقد أحدُ الطلاب طائفةً بكلامٍ غير لائق أثناء إلقائه كلمةً في إحدى الحفلات. وعند بداية الخطبة الرئيسية، قال الشيخ: " لا تستطيعون إقناع أحدٍ من خلال انتقاده، بل عليكم أن تُبيّنوا موقفكم بالحِكمة التي تؤثّر فيه، حتى يقتنع هو بنفسه بموقفكم"[3].

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مثالًا حيًّا للداعية الحكيم، الذي يجمع بين العلم، والبصيرة، والرحمة، وحُسن العرض، وقد تجلّت الحِكمة في منهجه الدعوي والتربوي والسياسي في مظاهر عديدة، منها:

١- اللين في الخطاب مع المخالفين: لم يكن الشيخ يستخدم أسلوب العنف أو التجريح مع من يخالفه، بل كان يخاطبهم بالكلمة الطيبة والحجة البالغة، ويؤمن بأن القلوب تُفتح بالرفق لا بالشدة.

"لا تستطيعون إقناع أحد بالنقد عليه، بل عليكم أن تبيّنوا موقفكم بالحِكمة حتى يقنع هو بنفسه من أقواله في إحدى المناسبات.

٢-. تقديم الموقف بأسلوب يَجمع لا يُفرّق: في إحدى القرى، ألقى الشيخ خطابًا استمرّ ساعتين ونصفًا حول تفسير آية كريمة بأسلوب مفعم بالحِكمة، حتى أن بعض من ينتمون إلى المذاهب المخالفة قالوا: "لو كانت هذه هي عقيدة أهل السنّة، فنحن نتفق معهم تمامًا".

٣-. الحكمة في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية: في مواقفه السياسية، كان يدعو دائمًا إلى التدرّج، وضبط النفس، ومراعاة الظروف العامة للأمة، ويرى أن الإصلاح لا يتمّ بالغضب، بل بالحِكمة والتدرّج والبصيرة

٤-. الحكمة في التربية والتعليم: كان يوصي طلابه دائمًا بالتحلّي بالحِكمة في الدعوة، ويقول: "من رُزق الحِكمة والموعظة الحسنة، كان لكلامه أثر في القلوب، ونفع الناس بعلم" كمامر.

هذه بعض الأمثلة من أسلوب الشيخ الحكيم، وقد ظهرت بوضوح في دعوته، وهي التي جعلت الناس يحبّون دعوته ويثقون به.

---

(١) سورة النحل الآية: ٧٥

(٢) مجلة شهرية، ضياءحرم (ص/١٩٨).

(٣) نفس المصدر والمرجع.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة

تُعَدّ الموعظة الحسنة من أهم الوسائل التربوية والدعوية التي أرشد إليها القرآن الكريم، وجعلها أساسًا في تبليغ رسالة الإسلام بالحكمة والرحمة واللين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[١] والموعظة في أصلها نصحٌ خالصٌ يبعث على الخير، ويزجر عن الشرّ، بأسلوبٍ رقيقٍ مؤثّرٍ في القلب.

المطلب الأوَّل: تعريف الموعظة الحسنة لغةً واصطلاحاً

أ- الموعظة لغة:

الواو والعين والظاء أصل يأتي بمعنى التذكير والتخويف، والإنذار، والعِظة الاسم منه، والوعظ والعظة النُّصح والتذكير بالعواقب، وهو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبُه مِن ثواب أو عقاب، والوعظ: زَجر مقرون بتخويف[٢] فالموعظة تأتي بمعنى التذكير والتخويف، والإنذار، والنُّصح، والوعظ المقرون بالتخويف، والتذكير بعواقب الأمور.

ب- الموعظة اصطلاحاً:

عرفَت بتعاريف كثيرة منها: هي: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة[٣].

وعرفت بأنها: الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ بتلطُّف ولين دون مخاشنة وتعنيف[٤].

وقيل هي: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب، والموعظة هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأحوال الفاسدة[٥].

وقيل إن الوعظ هو: تخويف يرقى له القلب، وعرفت بأنها: تذكير الناس بعذاب الله ليجتنبوا معصيته، وبنعمته ليرغبوا في طاعته، والحسنة مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يوعَظ به الإنسان ويؤمَر به، وبحسب أسلوب الوَعظ، ومن هنا جاء الأمر بها مقيداً بالقرآن الكريم: ﴿ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٦] فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها انصرفت إلى الحسن

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) معجم مقايس اللغة، ابن فارس(١٢٦/٦) ولسان العرب، ابن منظور، (٤٦٦/٧) والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، (ص/٥٢٧).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ١٥٨).

(٤) جامع الأحكام للقرطبي (٢٠٠/١).

(٥) التعريفات للجرجاني، (ص/٢٣٧) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

(٦) سورة النحل، الآية: ٧٥

والموعظة الحسنة: هي التي تتَّسم باللين والشفقة والرحمة، وتخلو منَ السبِّ والشتم والتعيير والفضيحة، وتطابق الكتاب والسنة[١].

والمراد عن الموعظة الحسنة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري "هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب و النصيحة التي تذكَر للخير والإصلاح" وبعد ذلك يُوضِّح الشيخ مُحَمَّد كرم شاه قائلاً: "أي لا تأتِ بالحُجج الجافّة كالفلاسفة أيها الداعية، بل ينبغي أن يكون أسلوبك في الكلام نابعًا من الصدق والمحبة، فإن خاطبك جاهلٌ واستعدّ للمناظرة، وبلغ الأمر مرحلة النقاش، فعليك أن تُجري الحوار بأسلوب حسن، دون تجريحٍ أو نقدٍ شخصي، ولا تحاول أن تُحقّر خصمك، بل ينبغي أن يكون هدفك الوحيد هو إظهار الحق ورفعةُ كلمته، ولا يَنبغي لأحد أن يدخل ميدان الدعوة والمناظرة حتى يُجمّل نفسه بهذه الصفات، ومن المهمّ أيضًاإلى جانب سعة العلم والمعرفة أن يتحلّى بالأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة"[٢].

المطلب الثاني: مظاهر الموعظة الحسنة وخصائصها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

لقد منَّ الله على الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله بنعمٍ كثيرة منها: أنه إذا دعا الناس إلى فعل الخير، فإنّ كلماته كانت تلامس القلوب وتؤثّر فيها، فيُقبل المستمعون على الهداية وتذكر في هذا السياق قصةٌ تُبيّن أثر الموعظة الحسنة:

"كان هناك مدير للمدرسة الحكومية في قرية "بهالية"، يُدعى عناية الله، وارتكب في بعض التصرفات غير الأخلاقية، فجاء أخوه الأكبر عبد الله إلى الشيخ، واشتكى إليه من سوء أخلاق، فكتب الشيخ إليه رسالة قال فيها: "القني في يوم ما"، فلبّى عناية الله دعوته، وحضر إلى الشيخ، وكان الشيخ رحمه الله جالسًا في مكتبته، فاستأذن عناية الله وجلس عنده فقال له الشيخ عليه الرحمة: "بلغني أنك تريد أن تتزوج الثانية، فإن كان هذا الأمر صحيحًا فتزوج، فهذا حقك، لكن بشرط أن تؤدّي حق الزوجة الأولى، فهذا جائز لك شرعًا، ولا أستطيع أن أمنعك، ولكن تذكّر أن الإسلام يحرّم شرب الخمر، فلما سمع عناية الله هذه الكلمات، أخذ يتصبب عرقًا من الخجل، ثم رجع إلى قريته تائبًا من جميع أفعاله السيئة[٣].

"قضى الشيخ عليه الرحمة حياته في مجال الوعظ والإرشاد، وظلّ يقوم بهذا الواجب طوال عمره، وكان أسلوبه في الخطابة رائعًا للغاية، حيث كان يفتتح كل خطبة من خطب الجمعة بمقدمة وتمهيد بليغَين. فعلى سبيل المثال، عندما ألقى خطبة عن محبة النبي ﷺ، بدأها بالتمهيد الآتي: "أيها المستمعون الكرام! لقد رأيتم الوردة المتفتحة على ضفاف النهر الجاري، وسمعتم عن الياقوت والمرجان الذي يُرصّع به تاج الملوك، وشاهدتم التماثيل التي يصنعها الناس

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، مُحَمَّد أبي الفتح البيانوني، ص ٢٥٨، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

(٢) ضياء القرآن، (٦١٨/٢).

(٣) دعوت وتبليغ کے زریں اصول، دکتور محمد نعیم الدین الازھري، (ص/٧٦).

بأيديهم".؟ فقال الحاضرون: نعم، لقد رأينا كل ذلك، فقال الشيخ عليه الرحمة: "المسلم الذي يحب النبي ﷺ كزهرةٍ معطّرة، وأما المسلم الذي لا يحب النبي ﷺ، فهو كزهرةٍ ورقية لا رائحة لها، والمسلم الذي يحمل في قلبه محبة المصطفى ﷺ، فهو كالياقوت والمرجان، وأما من خلا قلبه من هذه المحبة، فهو كالتمثال الذي لا روح فيه ولا فائدة منه. وكذلك، فإن من يملك ثروة محبة الرسول ﷺ، فهو المؤمن الحقيقي[1].

(١) دعوت وتبليغ کے زریں اصول، دکتور محمد نعیم الدین الازهري (ص/٧٧).

المبحث الثالث: أسلوب المجادلة

يُعدّ أسلوب المجادلة من أهم الوسائل الدعوية التي تُبرز الجانب العقلي والمنطقي في الدعوة إلى الله، إذ يعتمد على إظهار الحق بالحجة والدليل، ومخاطبة العقول بأسلوبٍ راقٍ بعيدٍ عن التشنج والجدال العقيم. وقد أولى القرآن الكريم هذا الأسلوب عنايةً كبيرةً، فجعله طريقًا لإقناع المخالفين بالحكمة والبرهان، ودعوة الناس إلى الحق بالحجة الواضحة. ومن هنا تتجلّى أهمية دراسة هذا الأسلوب، لما له من أثرٍ عميق في ترسيخ الفكر الإسلامي الصحيح، ونشر الدعوة بروحٍ علميةٍ وحواريةٍ بنّاءة.

المطلب الأول: تعريف أسلوب المجادلة لغة واصطلاحا

المجادلة لغة: قال ابن فارس:"جدل الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[(١)].

وقال صاحب المعجم الوسيط: "المجادلة في علم المناظرة هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل الإلزام الخصم"[(٢)].

قال ابن منظور: "المجادلة هي المدد في الخصومة والقدرة عليها، ورجل جدل و مجدل و مجدال: أي شديد الجدل، وجادله: أي خاصمه مجادلة وجدالاً، والجدل: شادة الخصومة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة"[(٣)].

المجادلة شرعاً: جاءت بعدة معاني منها:

المجادلة هي: الإحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك، ولما كان ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين قد يبعته على الغلظة عليهم في المحادلة أمره الله بأن يجادلهم بالتي هي أحسن[(٤)].

قال الجرجاني: "الجدل دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهي الخصومة في الحقيقة، والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"[(٥)].

وقال الراغب الأصفهاني: "الجدل: هو المفروضة على سبيل المنازعة والمغالبة"[(٦)].

فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله كان يتحدث عن الجدال الحسن، ويقول: "عندما يتعلّق الأمر بالمناقشة والمناظرة،

---

(١) معجم مقايس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا (٤٣٣/١).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/ ١١١).

(٣) لسان العرب، إمام ابن منظور الإفريقي المصري (١١/ ١٠٣ – ١٠٥)

(٤) التحرير والتنوير، طاهر ابن عاشور، (٣٢٨/١٤) الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(٥) التعريفات الجرجاني، (ص/٧٤-٠٧٥

(٦) المفردات في غريب القرآن، الإمام الراغب الأصفهاني، (ص/٨٩).

فعليكم أن تُحسنوا النقاش، ولا تفقدوا أدب الكياسة واحترام الآخرين لمجرد تفوقكم الدراسي، لا تحاولوا أبدًا أن تُحقّروا الطرف المقابل بأي وسيلة، بل ليكن هدفكم دائمًا هو إعلاء كلمة الحق"[١].

فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يتكلم عن الجدال الحسن: "لوخاطبك جاهلٌ واستعدَّ للمناظرة، وبلغ الأمرُ مرحلةَ النقاش، فعليك أن تُجري المناظرة بأسلوب حسن، دون أن تنتقد أحدًا، ولا تحاول أن تُحقّر الخصم، بل ينبغي أن يكون هدفك الوحيد هو إعلاء كلمة الحق"[٢].

أهميَّة المجادلة:

وللمجادلة أهمية بالغة في الدعوة إلى الله؛ فإن الناظر في القرآن يجده مليئاً بمجادلة الإقناع الخصم وإلزامه بالحق بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة، لإبطال ما عليه المخاصِم مِن أفكار وعقائد ودعوات فاسدة.

والمجادلة أسلوب قرآنيّ مِن أساليب الدعوة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣] وكذلك قال الله تعالى في مقام آخر: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤]. وهذه الآيات تؤكد أهميتها ودَورها في المدعوّين، وتتضح أهميَّة المجادلة في الدعوة مِن عدَّة أمور منها:

أولاً: إنَّها أسلوب فطريّ جبل عليه الإنسان، لطلب توضيح الحق، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٦]، إذ حاجة النفس البشريَّة له ضرورية لبيان الحق والاستدلال عليه.

ثانياً: إنها أسلوب قرآني استخدم في الدعوة على مرّ العصور، فحكى سبحانه وتعالى عن مؤمن آل فرعون جدله لقومه قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ *يَقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[٧].

ثالثاً: إنَّها تنفع لبيان الحق مع أهل البدع والأهواء والإلحاد مِن أهل الشبهات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) تفسير ضياء القرآن، (٦١٩/٢).

(٢) ضياء القرآن، (٦١٨/٢).

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦

(٥) سورة الكهف، الآية: ٥٤

(٦) سورة المجادلة، الآية: ١

(٧) سورة الغافر، الآية: ٢٨-٣

رحمه الله تعالى فكل مَن لَم يُناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرُهم لم يكن أعطى الإسلام حقَّه، ولا وفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين[١].

رابعاً: إنَّها إذا استخدمت المقارعة الحجة بالحجة تكون نافعة، يقول ابن القيم رحمه الله وهو يستخلص الفوائد من قصة وفد نجران حين قدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل واستحباب ذلك بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته مِن إسلام مَن يُرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فيولّي ذلك أهله، ويخلي بين المطيّ وحاديها، القوس وباريها" [٢].

أهميَّة المجادلة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله:

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله من العلماء الذين أولَوا المجادلة بالتي هي أحسن مكانةً عظيمةً في ميدان الدعوة والإصلاح، وقد بيَّن رحمه الله أن المجادلة ليست غاية في ذاتها، بل وسيلة من وسائل بيان الحق وإزالة الشبهات عن الأذهان، متى ما التزم الداعية فيها بأدب الحوار، والرفق، والحكمة، والنية الصالحة.

من أبرز معالم المجادلة عند الشيخ رحمه الله:

١-النية الخالصة لإظهار الحق: كان يؤكد أن الغرض من المناظرة ليس الانتصار للنفس أو الغلبة على الخصم، بل إعلاء كلمة الحق، وتجلية الصواب.

٢-الأسلوب الحسن والرفق بالخصم: يرى الشيخ أن الجدال لا ينبغي أن يكون بصوت مرتفع أو بأسلوب فظ، بل يجب أن يكون بقول لين وأسلوب مهذب يجعل الخصم يشعر بالاحترام، ولو خالف في الرأي.

٣-اجتناب التجريح الشخصي: كان رحمه الله ينهى عن استخدام العبارات القاسية أو السخرية من الخصم، ويرى أن ذلك يبعد القلوب ولا يقرّبها من قبول الحق.

٤-الجدال بعلم وحكمة: لا بد أن يكون الداعية ملمًّا بالأدلة الصحيحة والفهم السليم، حتى تكون المجادلة قائمة على أساس علمي، لا على الجهل والظنون[٣].

شروط المجادلة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله:

لقد بيّنَ الشيخ رحمه اللهلبعض شروك المجادلة بالتي هي أحسن وهي:

١- النية الصادقة في نُصرة الحق والدعوة إلى دين الله تعالى وترك الرياء والسمعة.

٢- اعتماد المجادلة والمحاورة على العلم الصحيح؛ حيث إن المناظرة إن كانت بغير علم تتحوَّل إلى جدل عقيم لا

---

(١) درء تعارض العمل والنقل، ابن تيمية (٣٥٧/١) تحقبق مُحَمَّد ارشاد، طبع في جامعة الإماء مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ١٣٩٩هـ.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجززي، (٦٣٩/١) دار الكتاب العربي.

(٣) ضياء القرآن، (٦١٧/٢).

فائدة منه.

٣- الالتزام بالأخلاق الإسلامية الحميدة.

٤- تجنُّب الغضب والضجر.

٥- لا تحاوِل أن تنظر إلى الطرف الآخر باستخفاف.

٦- لا داعيَ للقلق إذا لَم يقبل شخص الدعوة.

٧- أن تكون الداعي اعتدال المزاج.

٨-كلُّ هذا يعتمد على مشيئة الله [١].

أسلوب المجادلة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله

أسلوب المجادلة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري كما برزت في تفسيره ضياء القرآن وكتاباته الدعوية، يرى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري أنَّ المجادلة في الإسلام يجب أن تقوم على القرآن والسنة، ولذلك كان يستشهد بالنصوص الشرعية أولاً، ثم يعضدها بالبراهين العقلية، كما فعل عند رده على المنكرين للبعث إذ ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢]، وبيّن أن من قدر على الإيجاد أولاً يقدر على الإعادة. وقد التزم الشيخ في مجادلته بالرفق واللين، مبتعداً عن الفظاظة والشدة، لأنه يرى أن القلوب تُفتح بالكلمة الطيبة لا بالقسوة. كما جمع في منهجه بين النقل والعقل، فكان يحتج بالآيات والأحاديث، ثم يعززها بالأدلة العقلية التي تقنع المخالف. وقد ركز في مجادلته على القضايا الكبرى كالتوحيد والنبوة والبعث، ولم ينشغل بالخلافات الجزئية، ملتزماً بقول الله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]، وكان الشيخ عليه الرحمة يراعي حال المخاطَبين؛ فإذا خاطب العامة استخدم الأسلوب البسيط والقصص القرآني، وإذا واجه المثقفين استعمل الأدلة العقلية والمنطقية. ومن هنا يتضح أن المجادلة عنده وسيلة للهداية لا للغلبة، أساسها الحكمة والرحمة وإقامة الحجة.

المطلب الثاني: استخدام الشيخ أسلوب المجادلة بالَّتي هي أحسَن

استخدم الشيخ عليه الرحمة أسلوب المجادلة الحسنة في المظاهر الآتية:

- الرفق في الخطاب: كان الشيخ يتحدث مع خصومه سواء من عامة الناس أو منتمين لمذاهب مخالفة بلين الكلام واحترام النفس البشرية، مما كان يفتح القلوب لكلامه.

---

(١)ضياء القرآن، ، (٦١٨/٢).

(٢) سورة يس، الآية: ٧٩

(٣)سورة النحل،الآية: ١٢٥

- تجنّب الطعن والتجريح: كان ينصح طلابه دائمًا بعدم تحقير الآخر ولو خالفهم، بل كان يقول: "لا تُقنع أحدًا بتعييره أو انتقاده، بل اقنعه بالحكمة حتى يقتنع هو بنفسه.
- إبراز قوة الحجة دون تعالٍ: كان يستخدم الأدلة العقلية والنقلية بطريقة تؤثر في الخصم، وتُظهر له قوة الحق دون أن يشعر بالإهانة.
- التواضع في المناظرة: لم يكن الشيخ يتعالى في النقاش، بل كان يظهر الحرص على هداية الناس، لا على التغلب عليهم.

و هناك قصة مشهورة تتعلق بالشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في هذا السياق، وهي أنَّ الشيخ أنور قريشي، أحد الدعاة، دعا إلى قريته "**ہاتھی ونڈ**" أحد الوعّاظ لإلقاء خطابٍ ديني، فألقى ذلك الداعية خطابًا اتّسم بنَفَسٍ عدواني أثار مشاعرَ الغضب تجاه الشيعة، كما دفع أهل السُّنّة إلى التشدّد في التمسك بمذهبهم، مما أدّى إلى اضطراب الأوضاع الدينية في القرية، وفساد الجوّ العام، ولما بدت ملامح الفتنة والانقسام واضحة في القرية كما ورد في بيان الشيخ أنور قريشي، وأصبحت الأجواء مُلبَّدة ومتوترة، بادر الشيخ اشتياق أحمد عباسي بدعوة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله، فتوجّه الشيخ على الفور إلى القرية، وألقى بعد صلاة الظهر خطابًا مؤثرًا حول فضائل الصحابة رضي الله عنهم، واضعًا المصحفَ الشريف أمامه مفتوحًا، ومستعرضًا الآيات الكريمة التي ذكر الله تعالى فيها مناقبَ الصحابة ومكانتهم الرفيعة، وقد كان لهذا الخطاب أثرٌ بالغ في نفوس الحاضرين؛ إذ حضر بعض المعارضين إلى المسجد وأثنَوا على الشيخ، وبفضل الله تعالى أطفأ الشيخ نار الفتنة، وأعاد إلى القرية أجواءَ السلام والوئام والطمأنينة. ولا تزال آثار ذلك الإصلاح ملموسة في قرية "**ہاتھی ونڈ**" إلى يومنا هذا[1].

تُعَدُّ مؤلَّفاتُ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مثالًا نادرًا على الأسلوب الدعوي الرفيع في الكتابة، القائم على الحكمة والرفق وحُسن الخطاب. ومن أبرز الأمثلة على ذلك مقالته الشهيرة بعنوان «**شیعہ دوست کے جواب میں**»، التي أجاب فيها عن أحد عشر سؤالًا وردته من أحد المتشيّعين. ويتّضح من خلال سطور تلك المقالة أن الشيخ قد اختار أسلوبًا ناصحًا لطيفًا، بعيدًا عن حدّة الجدال، إذ كان يخاطب المعترض بلقبٍ كريم هو «جنابِ معترض»، وهو تعبيرٌ ينمّ عن إخلاص الشيخ وشفَقه تجاه محاوره، لا عن نقدٍ جارحٍ أو تهجّمٍ عدواني، كما يُستفاد من كلام الشيخ أنه لم يكن ينظر إلى المعترض نظرَ العداء أو الخصومة، بل كان يعتبره من بني قومه، يحتاج إلى البيان لا إلى الإدانة، وتُعَدُّ هذه المقالة، وسائر أعمال الشيخ رحمه الله، نموذجًا متفرّدًا للأسلوب المهذّب والراقي في الكتابة الدعوية، إذ لم يكن

(١) تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/١٣٨).

غرضُه من الردّ إفحامَ المعترض أو الانتصارَ للنفس، بل كان هدفه الأصيل إزالةَ الشبهات وتوضيحَ الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، أمّا عنوان المقالة نفسه، فهو شاهدٌ صادقٌ على هذا التوجّه الأخلاقي الرفيع الذي اتّسم به فكرُ الشيخ ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى[1].

وهذه بعض النماذج من مجادلة الشيخ بالتي هي أحسن، يتبيّن فيها مدى قوّة حجّته وتمكّنه من هذا الأسلوب، الذي كان له بالغ الأثر وغاية البيان في خدمة الدعوة إلى الله في عصره.

(١) مجلة شهرية، ضياء حرم،(٣٠٢-٣٠٣).

المبحث الرابع: أسلوب الترغيب والترهيب

يُعَدّ أسلوب الترغيب والترهيب من أبرز الأساليب التربوية والدعوية في القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ يقوم على الجمع بين الوعد والوعيد، والبشارة والإنذار، بما يوازن بين جانبَي الخوف والرجاء في النفس الإنسانية، وقد استخدمه الدعاة والمربّون عبر العصور وسيلةً فعّالة للتأثير في القلوب وتوجيه السلوك نحو الخير، وصرفه عن الشر، بأسلوبٍ يجمع بين الحكمة والرحمة، وقد أولى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله هذا الأسلوب عنايةً خاصة في خطبه ومؤلفاته، فكان يوظّفه توظيفًا متوازنًا، لا يغلب فيه جانب التخويف على الرجاء، ولا الترغيب على التحذير، بل يجعل من كليهما وسيلةً لتزكية النفس وبناء الشخصية المؤمنة الواعية.

المطلب الأول: التعريف بالترغيب والترهيب لغةً وشرعاً وأهميَّة الترغيب والترهيب في الدَّعوة

الترغيب لغة: قال ابن فارس: طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه[١].

الترغيب شرعاً: كلّ ما يشوق المدعوَّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٢].

قال ابن فارس: الخوف والفزع[٣].

والترهيب لغة: التخويف، ويقال: رهب الشيء، أي: خافه[٤].

الترهيب شرعاً: كلّ ما يُخيف المدعوَّ ويحذِّره مِن عدم الاستجابة أو رفضِ الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٥].

وللترغيب والترهيب أهمية بالغة في الدعوة إلى الله؛ حيث إن الإنسان بالفطرة على حبّ ما ينفعُه، وتقرُّ به عينه وتطمئنُّ به نفسه، وينظر مِن كل ما يُخيفه ويقرِعه، فلهذا كان الأسلوب الترغيب والترهيب أهميَّته القُصوى في الدعوة إلى الله تعالى؛ فالإنسان يعيش في هذه الدنيا بين على وفقر، وصحة وسِلم، وجهل وتعلُّم، وسعادة وتعاسة، وفي أثناء تنقُّله بين هذه الأحوال تجده بحاجة ماسَّة إلى مَن يأخذ بيده إلى طريق الهداية والخير والاطمئنان والنجاة، ويُبعده عن طريق الغواية والخذلان وذلك لأن الإنسان بطبيعته ضعيف، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[٦].

فمِن أجل هذا الضَّعف والاستعداد للأعراف عن الطاعات وعدم القيام بالواجبات، أن يكون أسلوب التَّرغيب

---

(١) مقايس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٢/٤١٥).

(٢) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص/٤٣٧).

(٣) مقايس اللغة، (٢/٤٤٧).

(٤) كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، (٤/٤٧).

(٥) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص/٤٣).

(٦) سورة النساء الآية: ٢٨

والترهيب مِن لوازم الداعية في دعوته وإرشاده للناس بالعدول عن طريق الغواية والتزام طريق الرُّشد والهداية[١].

ومِن أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى أنه أسلوب مِن أساليب الدعوة في القرآن الكريم؛ فالناظر في القرآن يجد هذا الأسلوب واضحاً جلياً كما قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كبيراً﴾، ﴿وأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤].

أهميَّة الترغيب والترهيب: إنه اقتداء برسل الله عز وجل؛ حيث دعوا أقوامهم بأسلوب الترغيب والترهيب، ومِن أمثلة ذلك: ما أخبر الله عز وجل به عن نوح عليه السلام في دعوته قومه؛ حيث استعمل معهم أسلوب الترغيب فرغَّبهم بإمداد الخير، ونزول المطر ووفرة البنين والإغداق بأنواع البساتين، وكثرة الأنهار من الله تعالى، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فقلتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[٥] ودعاهم بالترهيب كذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٦].

ومن مظاهر أهمية هذا الأسلوب أيضًا أنه يُعدّ اقتداءً بالنبي ﷺ في دعوته، إذ استخدم في تبليغ رسالته أسلوبَ الترغيب والترهيب، كما قال تعالى:﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِيْ فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٧]. واستعمل التَّرهيب في دعوته كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ، وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[٨].

ومن مظاهر أهمية هذا الأسلوب أيضًا أنه يتميّز بتأثيرٍ بالغٍ ووقعٍ عميقٍ في نفوس البشر؛ إذ إنّ الإنسان مفطورٌ

---

(١) وسائل الدعوة، سفر أحمد المحداني(ص/١٩٣).

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩-١٠

(٥) سورة نوح، الآية: -٢٦

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٩

(٧) سورة هود، الآية: ٣

(٨) سورة الزخرف، الآية: ٧٤-٧٥

على حبّ الخير وطلب السلامة، والرغبة في نيل كلّ محبوبٍ ومطلوب، كما جُبِل على كراهية الشرّ والأذى والنفور منهما.

فأسلوبُ الترغيب والترهيب يُعَدّ من الأساليب ذات الأثر البالغ في الدعوة إلى الله تعالى، لما له من تأثيرٍ مباشرٍ في توجيه النفوس وإصلاح السلوك، وعلى الداعية أن يُولِيَه عنايةً تامّة، فيذكّر الناس بما ورد في كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ من آياتٍ وأحاديثَ صحيحةٍ تُرغِّب في الأعمال الصالحة، وتحثّ على الإكثار من الباقيات الصالحات، لما في ذلك من زيادة حبّ الخير، ودفعٍ إلى العمل الصالح، ورجاء الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى، كما ينبغي له أن يُحذِّر من المعاصي والمنكرات، ويُبيّن للناس ما ورد في شأنها من الوعيد والعقاب، مستشهِدًا بما حلَّ بالأمم السابقة من الهلاك والدمار جزاءَ معاصيهم وإعراضهم عن أوامر الله تعالى. ويُوضِّح لهم أن سبب ما أصابهم هو تركُ ما أوجبه الله عليهم وارتكابُ ما نهى عنه، وعلى الداعية كذلك أن يرغِّب الناس في مكارم الأخلاق، ويرهبهم من سيِّئها، كالكذب، ونقض العهد، والغيبة، والنميمة، والرّياء، ونحو ذلك، ليُسهم في بناء مجتمعٍ مؤمنٍ تقيٍّ يقوم على الصدق والإخلاص وحسن المعاملة.

المطلب الثاني: أسلوب الشيخ في استخدام الترغيب والترهيب

أولًا: من المعلوم أنَّ أسلوب الترغيب والترهيب يُعَدّ من أهمّ أساليب الدعوة إلى الله تعالى، لما فيه من موازنةٍ بين جانبَي الخوف والرجاء، وتحريكٍ لوجدان الإنسان نحو طاعة الله واجتناب معصيته. ومن هذا المنطلق، اعتنى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله بهذا الأسلوب عنايةً فائقة، فجعل منه وسيلةً تربويةً ودعويةً مؤثرة في توجيه القلوب وتقويم السلوك، ومما يدلُّ على اهتمامه بأسلوب الترغيب والترهيب أنه استخدم التخويف والترهيب على نحوٍ بليغٍ مستوحى من القرآن الكريم، حيث كان يورد الآيات التي تتحدّث عن العذاب والعقاب والنكال، مبينًا ما فيها من العِبَر والمواعظ، ومحذِّرًا من مغبّة الإعراض عن أوامر الله تعالى، ومن ذلك ما ذكره في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[1] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[2]. في هاتين الآيتين يوجد أسلوب الترهيب كما ذكره الشيخ في تفسيره: "هؤلاء الظالمون الذين يُؤذون عباد الله ويُعذبونهم، ثم لا يتوبون عن أفعالهم السيئة، لا يظنُّوا أنهم في مأمن من العقوبة، بل سينالون عذابًا أليمًا. ولا يحسبنّ أحدٌ أن ربهم ضعيف، بل هو العزيز الحكيم، وكلّ ما يفعله قائمٌ على الحكمة البالغة. فهو سبحانه وتعالى لا يعاجل بالعقوبة كما يفعل بعض الحكام، بل يجعل لكلّ أمرٍ أجله، فإذا جاء الأجل، أخذهم بقوّة، فلا يستطيع أحد أن ينقذ نفسه من

(١) سورة البروج الآية: ١٠

(٢) سورة البروج الآية: ١٢

عذابه"[١].

ثمّ يأتي أسلوب الترغيب كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[٢].

ذكر الشيخ أسلوب الترغيب في الآيتين المذكورتين حيث قال: "ثمَّ يُبَين مجد ربِّ النبي الكريم ﷺ بأنه خلقكم أولاً، وسيُحييكم مرَّة أخرى، ومغفرته واسعة جداً، وهو يحب عباده المطيعين محبَّة شديدة"[٣].

٢- وأهم ما رغَّب به القرآن: عبادة الله تعالى، وطاعة النبي، واتباع القرآن، والصلاة والزكاة، والإيمان باليوم الآخر، والجهاد في سبيل الله، والتوبة، ومحاسبة النفس وتزكيتها، وتقوى الله، والجنة، والصبر.

٣- الترغيب في عبادة الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

قد استخدم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه أسلوب موعظة الترغيب تحت تفسير هاتين الآيتين فقال عليه الرحمة" يُدعى في هذه الآيات إلى الإيمان بالمقاصد الأساسية، وهي التوحيد وصدق القرآن وصحة النبوّة، لأنَّ الإسلام ليس دينًا لأمّةٍ خاصةٍ أو دولةٍ بعينها أو زمنٍ محدّد، بل هو دينٌ شاملٌ موجَّهٌ إلى جميع البشر إلى يوم القيامة"[٥] فأمرهم بما خلقهم له، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٦] أثناء شرح هذه الآية، ذكر الشيخ عليه الرحمة قول سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه: "ما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي"[٧].

وهناك آيات قرآنيَّة كثيرة في هذا الشأن، أمرَ الله فيها عبادَه بطاعة عبدِه ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في القرآن: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٨] ومن خلال البحث اللغوي والاصطلاحي في معنى كلمة "اتباع"، يتبيّن أن العمل بأوامر الله تعالى المرتبطة باتباع النبي ﷺ لا يتحقق إلا بالعمل بأقواله وأفعاله، وفق ما تقتضيه سنته. وإذا لم يُعمل بأقوال النبي ﷺ وأفعاله كما ينبغي، فإننا نُحرَم بذلك من تحقيق

---

(١) ضياء الفرآن، (٥/٥٣٢).

(٢) سورة البروج، الآية: ١٤

(٣) سورة ضياء القرآن، (٥/٥٣٢).

(٤) سورة البقرة الآية ٢١-٢٢

(٥) ضياء القرآن، (١/٣٩).

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٢

(٧) ضياء القرآن، (٥/ ٦٣٩).

(٨) سورة آل عمران، الآية ٣٢

الاتباع الذي أمرنا الله عز وجل به مرارًا في كتابه الكريم[١].

الترغيب بالإخلاص:

الترغيب بالإخلاص هو أسلوب نبويّ وتربويّ عظيم، يهدف إلى دفع المسلم للقيام بالأعمال الصالحة بقصد وجه الله تعالى وحده، دون رياء أو سمعة، ويُعدّ الإخلاص روح العبادة، وأساس قبولها، بل لا قيمة لأيّ عملٍ ما لم يكن خالصًا لله، فيرغب الله عباده أن يفعلوا أيَّ عمل صالح، فيجب أن يكون خالصاً لوجه الله، كما جاء في القرآن ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢] وكان الشيخُ رحمه الله يوصي طلابه دائمًا بالإخلاص لله تعالى، فيقول:"إنك لن تستطيع إرضاء الناس أبدًا؛ فلو قدّمتَ لهم ألف عملٍ نافع، ثم قصّرتَ في واحدٍ منها، لربما نسوا كلَّ ما صنعتَ وغضبوا عليك بسبب ذلك العمل الواحد، فلا ينبغي أن نؤدي أعمالنا طلبًا لرضا الناس، بل يجب أن تكون جميع أعمالنا خالصةً لوجه الله تعالى وحده"[٣].

فأسلوبُ الترغيبِ والترهيبِ له مكانتُه البارزة في الدعوةِ إلى الله تعالى، وهو من أنفعِ أساليب الموعظةِ الحسنة، فعلى الداعيةِ إلى الله أن يعتنيَ به في دعوته، ويوليه اهتمامَه البالغ، حتى يكونَ وسيلةً نافعةً ومؤثّرةً في تبليغ رسالةِ الله تعالى وهدايةِ الناس إلى الحق.

---

(١) مجلة شهرية، ضياء حرم، (ص/٥٤٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٣) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/ ١٩٩).

المبحث الخامس: القدوة الحسنة

القدوةُ الحسنةُ من أهمِّ وسائل التربية والدعوة إلى الله تعالى، وهي منهجٌ تربويٌّ فعّال يعتمد على التأثير العملي لا القولي فقط؛ إذ إنَّ الإنسان بطبيعته يميل إلى تقليد من يراه قدوةً أمامه في القول والعمل والسلوك. وقد جسّد النبي ﷺ أعظمَ مثالٍ للقدوة الحسنة في حياته كلها، فكانت أفعاله مطابقةً لأقواله، وسيرته تطبيقًا عمليًا لما دعا إليه. ومن هنا، فإنّ الاقتداء بالنبي ﷺ وأهل الصلاح والعلم يُعدُّ من أعظم أساليب الإصلاح والتزكية التي تثمرُ في النفوس ثباتًا، وفي المجتمعات صلاحًا ورقيًّا.

المطلب الأول: تعريف القدوة الحسنة لغة واصطلاحاً وأهميتها

القُدوة والقِدوة في اللغة: الأسوة، يقال فلان قدوة يُقتدى به، والقدوة: المثال الذي يتشبَّه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل[١].

القدوة في الإصطلاح: قد توجد عدَّة العريفات للقدوة ومنهم مما يلي:

– الواقع الحيُّ الملموس الذي يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل[٢].

– اتباع طريق الصالحين والتآسي بهم [٣]. وعرفتُ أيضاً هو الشخص الذي يدعو إلى أنواع الفضائل والمكملات السلوكية والأفكار السليمة الصحيحة، وقد عمل بها وتصف بها من قبل[٤].

– قال القرطبي رحمه الله: طلب موافقة الغير في فعله[٥].

وقيّدت القُدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٦] فقد يكون الشخص أسوةً حسنةً يُقتدى به في الخير، وقد يكون أسوةً سيئةً يُقتدى به في الشر، وقد جاء في الحديث الشريف: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [٧].

---

(١) لسان العرب، مادة قدو، (١٠/١٧٨) والمعجم الوسيط، (٢/ ٧٢٧).

(٢) القدوة ودورها في التربية الناشئ البريكان القرشي (ص/٥٩).

(٣) دراسات في التربية الإسلامية لماجد زكي الجلاد، (ص/٧١).

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، يوسف خاطر حسن الصوري، (ص/٣٢٧).

(٥) الجامع الأحكام القرآن، قرطبي (٧ ٣٥).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه المسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين:

١- القدوة الحسنة المطلقة:

هي التي تكون معصومةً من الخطأ والزلل، كما هو الحال في الأنبياء والرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الا م الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[١]، وقال تعالى في مقام آخر: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ*لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢]. فالنبي ﷺ هو القدوة المطلقة في جميع شؤون الحياة؛ في عبادته، وأخلاقه، وتعاملاته، ودعوته إلى الله، إذ لا يصدر عنه خطأ ولا زلل، لأنه مؤيد بالوحي، محفوظ بعصمة الله تعالى.

٢- القدوَة الحسنة المقيدة:

هي القدوة فيما شرعه الله تعالى، إذ إنَّ غيرَ الأنبياء والرسل من الصالحين والأتقياء من عباد الله غيرُ معصومين؛ فيُقتدى بهم في بعض الأمور دون بعض، لاحتمال صدور تصرّفاتٍ عنهم بسبب ضعفٍ بشريٍّ أو خطأٍ اجتهاديٍّ، ولذا كان الاقتداء بهم مقيَّدًا بما يوافق الشرع، وقد بيَّن العلماء أنَّ الاقتداء بغير الأنبياء يكون مقيَّدًا بالشرع، بخلاف الأنبياء الذين عصمهم الله تعالى، ولأجل ذلك يمكن الاستشهاد بأحاديث وآثار تُظهر هذا الأصل، ومنها حديث العرباض بن سارية ﷺ، أن النبي ﷺ قال:«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٣]

أهميَّته أسلوب القدوة الحسنة:

تبرز أهميته من عدة أمور، منها:

- جعلَ الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين مِن عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سِيَرهم ثم أمر باتباعهم، والاقتداء بهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٤].

النار،رقم الحديث: ١٠١٧، (٢/٧٠٤) المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤-٦

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث: ٤٦٠٧،(٤/٢٠٠) المحقق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٩٠

– إنَّ مِن طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثَّرون بالقراءة والسماع، ولاسيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها، وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان.

– وأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتأسوا به في أقواله وأفعاله واتباع هَديِه فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1] قال ابن كثير عند هذه الآية: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التآسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتآسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج مِن ربه عز وجل"[2].

المطلب الثاني:أهمية الاقتداء بالرسل والأنبياء عليهم السلام في الدعوة

ولأهمية الاقتداء به صلَّى الله عليه وسلم، أوجب الله عز وجل علينا إتباع أمره واجتناب نهيه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهَوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3] وقال تعالى في مقام آخر: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]كما حذر سبحانه وتعالى من مخالفة أمره فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

وأسلوب القدوة الحسنة له تأثير بالغ في نفوس المدعوين، يفوق تأثير الأقوال المجرَّدة، لأنَّ الناس يتأثرون بالأفعال أكثر مما يتأثرون بالأقوال، فالفعل الصالح أبلغُ في الدعوة من الكلام المجرد.

وقد أشار الإمام البخاري رحمه الله إلى هذا المعنى حين بوَّب في صحيحه بابًا بعنوان: «باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ»،وفيه بيانٌ واضح أنَّ القدوة العملية هي أرسخ أثرًا في النفوس، وأدعى إلى القَبول والاتباع، لأنَّها تُجسِّد المبدأ وتُترجم القول إلى عملٍ واقعٍ يراه الناس ويتأثرون به: (باب الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم) أورد حديثاً: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ، وَنَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَدِ اتَّخَذُوهَا رَمَى بِهِ وَقَالَ: لاَ أَلْبَسُهُ أَبَدًا، ثُمَّ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢١

(٢) تفسير القرآن العظيم، إمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير (٤/٤٧٤) الناشر: دار حزم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١٤

(٥) سورة النور، رقم الآية: ٦٣

خَوَاتِيمَ الفِضَّةِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَلَبِسَ الخَاتَمَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، حَتَّى وَقَعَ مِنْ عُثْمَانَ فِي بِئْرِ أَرِيسَ» [(١)].

وقد نقل الحافظ بن حجر رحمه الله لهذا الحديث عن ابن بطال أمثلة تدل على أن الفعل أبلغ من القول، ومن ذلك لما أمر النبي ﷺ أصحابه عام الحديبية بالتحلُّل، تأخروا عن المبادرة رجاء أن يؤذن لهم في القتال ويُتمّوا عمرتهم، فدخل على أم سلمة ﵂ فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت :يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج فلا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك ففعل ﷺ، فلما رأوا ذلك بادروا جميعًا إلى التحلُّل. قال الحافظ ابن حجر بعد أن أورد هذا المثال: قال ابن بطال" :فدلّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول" [(٢)].

المطلب الثالث: أسلوب الشيخ في استخدام القدوة الحسنة

إنَّ أسلوب القدوة له أهمية بالغة في الدعوة إلى الله وله أثر بالغ في المدعوين، مِن أجل هذا نجد الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله تعالى يحرص على إيجاد وتكوين القدوة الحسنة قبل كل شيء؛ فالناظر في كتبِه يجدها مليئة بحثِّ الناس على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، واتباعه وكذلك كان كثيراً ما يحث الناس على التمسك بمنهج السلف الصالح؛ لأنهم القدوة الحسنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم أشد الناس اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأخلص الناس وأتقاهم وأنصحهم لأمته، وخاصةً الصحابة رضوان الله عليهم، ولأهميَّة القدوة قد كتب الشيخ مقالاً تحت عنوان "القدوة الحسنة"، وقال الشيخ عليه الرحمة: "ولا يَحِقُّ لأيّ مسلمٍ، سواءٌ كان فردًا أو أمة أو حكومة، ولا لأيّ لجنة أو هيئةٍ تشريعية تُعيّنها الحكومة الإسلامية، أن تقترح مسارًا جديدًا للعمل يتجاهل أقوال الله ورسوله ﷺ ؛ فبما أنك مسلم، فليس لك خيارٌ إلا طاعة النبي ﷺ " [(٣)].

وكذلك قال الشيخ: إن مَن يعصي أمر الله ويُطيع أمر النبي صلى الله عليه وسلم فليفتح أذنيه فيسمع أنه ضلَّ عن سواء السبيل.

"وقد بيَّنَ الشيخ عليه الرحمة وجوبَ الاقتداء بالنبي ﷺ، وأن هذا الوجوب عامٌّ في جميع أحوال المسلم، فقال: "فكلّ مسلمٍ يجب عليه أن يقتدي برسول الله ﷺ في كل شؤون دينه"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيح البخاري كتاب اللباس، باب خاتم القضية رقم الحديث: ٥٨٦٦، (١٥٦/٧)، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، حافظ ابن حجر العسقلاني، (٣٣١/٥-٣٣٢).

(٣) تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/٤٥).

(٤) نفس المصدر والمرجع والصفحة.

الفصل الثالث:
وسائل الدعوة عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري

فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم وسائل الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: الوسائل القولية

المبحث الثالث: الوسائل المكتوبة

المبحث الأول: مفهوم الوسيلة الدعوية

الوسيلة الدعوية تشمل كل ما يُعين على تبليغ الحق، وتعليم الناس، وترغيبهم في الخير، وتحذيرهم من الشر، مثل: القدوة الحسنة، الموعظة، الحوار، الكتابة، الخطابة، الإعلام، التعليم، والأنشطة الاجتماعية وغيرها.

المطلب الأول: تعريف الوسيلة الدعوية

هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة مِن أمور معنوية أو مادية [1] فلا بدَّ للمرء في سبيل تحقيق أهدافه، والوصول إلى غايته منِ استخدام الوسيلة التي تُعينه على ذلك، فإن الله عز وجل قد ربط الأسباب بالمسبّبات، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[2]، وفي مقام آخر: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ، يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[3]

والدُّعاة إلى الله أولَى الناس بابتغاء الوسائل التي تقرّبهم إلى الله، وتصِل بدعوتهم إلى الناس، تمشياً مع سنن الله في الأرض؛ حيث جعل مِن سنن الهداية إرسال الرسل الكرام، وتنزيل الكتب، وهو القادر على أن يهدي الناس جميعاً دون هذه الوسائل.

المطلب الثاني: أنواع الوسائل الدعوية

والوسائل نوعان: معنوية ومادية

أمَّا الوسائل المعنوية: جميع ما يُعين الداعية على دعوته من أمور قلبية، أو فكرية، وذلك كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والتفكير والتخطيط وما إلى ذلك مِن أمور لا تحس ولا تلمس، وإنَّما تعرف بآثارها.

أما الوسائل المادية: جميع ما يُعين الداعية مِن أمور محسوسة أو ملموسة، وذلك كالقول، والحركة، والأدوات، والأعمال، وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع أساسية هي:

١ – الوسائل الفطرية: وهي الوسائل الموجودة في فطرة الإنسان وجبلته وتنمو بنموّه، كالقول والحركة.

٢– الوسائل الفنية العلمية: وهي الوسائل التي يكسبها الإنسان كسباً، ويتعلَّمُها ويتفننَّ في إيجادها وتطويرها، كالكتابة، والإذاعة، والتلفاز وما إلى ذلك.

٣– الوسائل التطبيقية العملية: وهي ما يُقابل الوسائل النظرية مِن إعمار المساجد، وإنشاء المؤسسات الدعوية، وإقامة النوادي والمخيمات، والجهاد في سبيل الله وما إلى ذلك.

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، مُحَمَّد أبو الفتح البيانوني، (ص/٢٨٢).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٥

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧

المبحث الثاني: الوسائل القولية

يُقصد به: الوسائل التي تعتمد على القول واللسان في تبليغ الدعوة أو التعليم أو التأثير، تميّز الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري بأسلوب دعوي رفيع، جمع فيه بين الأصالة والبلاغة، وكان للوسائل القولية مكانة بارزة في منهجه الدعوي. فقد اعتمد على الكلمة الموزونة، والخطاب الحكيم، والحوار المؤدب، والموعظة الحسنة، في توصيل رسالته إلى القلوب والعقول.

ومن أبرز الوسائل القولية التي استخدمها الشيخ:

١-التعليم الشفهي في الحلقات والدروس

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، منذ بزوغ وعيه إلى وفاته، محافظًا على نشر الدين ورفع راية الشريعة الإسلامية في كل مرحلةٍ من مراحل حياته، ويُمكن وصف الشيخ كرم شاه رحمه الله بأنه في آنٍ واحد: مؤسِّس، ومربٍّ، ومعلّم، ومفكّر، ومفسّر، وكاتب في السيرة النبوية ﷺ، وصوفيٌّ صادق، ومحبٌّ مخلص لرسول الله ﷺ، وقد امتدت خدماته الدينية والعلمية والوطنية والاجتماعية، فاشتهر أثره في شتّى أنحاء العالم الإسلامي.

المطلب الأول: الخطابة

الخطابة (الخُطْبَة) هي إحدى الوسائل القولية المؤثرة في الدعوة إلى الله والتربية والتعليم، وقد كان لها مكانة بارزة في منهج الأنبياء، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، كما اهتم بها العلماء والدعاة عبرالعصور، ومنهم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله.

الخطابة لغةً: مصدر خطب والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر والخطبة عند العرب[١]

– هي الكلام المنثور المسجوع، وخطبت على المنبر خُطبة بضمّ الخاء وخاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً وخطبت المرأة خِطبة بالكسر، والخطيب الخاطب،[٢] والخطبة والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام، ومنه الخطبة والخطبة، لكنِ الخطبة تختصُّ بالموعظة، والخطبة بطلبِ المرأة [٣].

الخطابة اصطلاحاً: جاءَت بعدَّة معانٍ منها: الخطابة هي فنُّ مخاطبة الناس بالكلام المؤثّر والموجَّه، بهدف الإقناع

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٣٦١/١).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لجوهري، (١، /١٢١)تحقيق: أحمد عبد الغفور دار العلم للملايين، بيروت، ٠٤ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني، (ص/١٠).

أو الوعظ أو التحفيز أو الإصلاح، وكذلك عرفت أنها قوة تتكلَّف الإقناع الممكن في كلِّ واحد منَ الأشياء المفردة.[١] وقيل هي فنّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[٢].

-اهتمام الشيخ مُحَمَّد كرم شاه بالخطابة:

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله خطيبًا بليغًا، يستخدم الخطابة:

١. لإصلاح العقائد، بتصحيح المفاهيم الخاطئة.

٢. لنشر محاسن الشريعة، وتعزيز مكانة السنّة.

٣. للرد على الشبهات، التي تُثار حول الإسلام.

٤. لتربية الجيل الناشئ، عبر توجيههم إلى القدوة الصالحة.

٥. لتقوية الارتباط بالمصطفى ﷺ، فقد كان حديثه يفيض حبًّا وتعظيمًا للنبي الكريم.

وكانت خطبه تمتاز بـ:

- سلامة العقيدة.
- فصاحة البيان.
- عذوبة الأسلوب.
- التوازن بين العقل والعاطفة.
- الاستدلال بالقرآن والسنّة والوقائع.

الخطابة للداعية كالمصباح يُنير الطريق ويكشف الدَّرب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ، يُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٣].

خدم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري الدينَ بوسائل شتى، من أبرزها الخطابة، فلم يقتصر في خطبه على أرجاء باكستان فحسب، بل سافر إلى بلدانٍ مختلفة من العالم، يُبلّغ من خلالها رسالة الله ورسوله ﷺ، ناشرًا العلم، وداعيًا إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد ألقى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله آلاف الخطب في موضوعات متنوعة، وقد جُمِعت تلك الخطب في كتابٍ بعنوان: "خطبات ضياء الأمة"، صدر عن "ضياء القرآن ببليكيشنز"، وقد تولّى جمعه وتحقيقه خليفة الشيخ، الأستاذ مختار أحمد.

هناك بعضُ الأمثلة من خُطب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله التي تُبرز منهجه الدعوي وأسلوبه الخطابي:

---

(١) تلخيص الخطابة ابن رشد، (ص/٢٤).

(٢) قواعد الخطابة، أحمد غلوش، (ص/٨).

(٣) تجليات ضياء الأمت، (ص/٤٠٣).

وكان الشيخ يقول عن الخطابة:" ينبغي عليك أن يُلقي خطبتك بعد التحضير والإعداد الجيّد؛ فإن صعدت على المنبر دون استعدادٍ مسبق، وملأ ساعةً من الزمن بكلامٍ عشوائيٍّ غير منسَّق، وكان في المجلس خمسمائة مستمع، فذلك يعني أنه قد ضيَّعت من وقت الأمة خمسمائة ساعة بلا فائد"[١].

"وكان رحمه الله يزور الطلاب ويُخاطبهم أسبوعيًّا في الحفل الأسبوعي، وكان موضوعه في كثير من الأحيان يدور حول "أهمية العلم، ويتحدث بأسلوب هادئ وبنبرة بطيئة، حتى إن كلَّ كلمة تخرج من فمه كانت تُضيء قلوب المستمعين وعقولهم".

كان هناك صديق من الحبشة يدرس في الجامعة الإسلامية، وقد جاء لزيارة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه، فنصحه بالتمسّك بدين المحبة، لئلّا تُسلب من الناس هذه النعمة العظيمة فيقول: "إذا سقطت دمعة المحبة من العين، فإنها تصبح سببًا لمغفرة الذنوب قبل أن تسقط على الأرض". وكلّ من سمع خُطَبه يشهد بأن محورها كان سيرة النبي الكريم ﷺ، وفي أحد احتفالات التخرج لطُلّابه رسم بكلماته صورةً مشرقةً لكمالات النبي مُحَمَّد ﷺ، حتى إن النفوس بدأت تفرح وتبتهج من شدّة التأثُّر[٢].

وكانت خُطَبُ فضيلته في الاجتماعات العامة والخاصة تصبّ في بوتقة وحدة الأمة، وتتّسم بالوسطية والاعتدال، والتعاطف والتراحم، بعيدًا عن التناحر والتحاسد.

وكان رحمه الله يستدل بقول الله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾[٣]ويقول: "إن كان من الممكن أن يتحقّق الاتحاد بيننا وبين النصارى على كلمة التوحيد، فكيف لا يمكن أن يتحقّق بين أبناء أمة التوحيد أنفسهم على هذه الكلمة الطيبة، والقرآن العظيم، والنبي الكريم ﷺ"[٤].

المطلب الثاني:الدرس

يُعَدُّ الدرس من أهم الوسائل القولية في ميدان الدعوة والتربية، إذ يُسهم في نشر العلم وترسيخ القيم الإسلامية بأسلوبٍ منهجيٍّ مؤثر، وقد احتل الدرس مكانةً بارزة في جهود العلماء والدعاة عبر العصور، لِمَا له من أثرٍ في تكوين الشخصية المسلمة الواعية وربطها بالقرآن والسنة، ومن خلاله تُنقَل المعارف وتُوضَّح المفاهيم وتُثار الدوافع الإيمانية لدى الأفراد،لذا فإن دراسة مفهوم الدرس ومكانته في منهج الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري تُعَدّ مدخلًا مهمًّا لفهم طريقته في التوجيه والإصلاح وبناء الداعية المتكامل علمًا وعملاً،قد اتخذَ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله الدرس وسيلة

(١) مجلة شهرية، ضياء حرم، (ص/٢٠٠).

(٢) تجليات ضياء الأمت، (ص/٢٨٠)

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤

(٤) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٢٦٥).

للدعوة، مِن خلال مخاطبة المدعوّين، وتبصير عقولهم وتنمية وجداناهم، فعلَ ذلك في أوّل أمره عندما كان في سن المراهقة والشباب، وفعلَه أيضًا حتَّى آخر حياته، وكثير مِن رحلات الإمام وزيارته لعموم المسلمين وخاصتهم، وكان الشيخ كرم شاه رحمه الله مشغولًا جدًّا، ومع ذلك لم يكن يُهمِل دروس دار العلوم، فكان يُدرِّس الحديث الشريف أو غيره من الكتب المقررة. ولم يكن يُلقي درسًا دون مراجعة ومطالعة مسبقة، وكانت دروسه تنتهي عادةً عند أذان الظهر[1].

المطلب الثالث: مقالات الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله

تميّز الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله بحضورٍ قوي في ميدان الكتابة الصحفية والفكرية، حيث كتب مقالات علمية ودينية واجتماعية تنبض بالعلم والحكمة، وتُعالج قضايا المسلمين بأسلوب رفيع يجمع بين الأصالة والمعاصرة. وقد نُشرت مقالاته في مجلات وصحف باكستانية وعربية، فكان يخاطب القارئ بروح العالم المربي، والداعية الصادق، والمصلح الحريص على وحدة الأمة.

ومن أبرز السمات التي تتّسم بها مقالاته:

- التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية.
- الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الشبهات والاستشراق.
- الدعوة إلى الاعتدال والوسطية في الفهم والتطبيق.
- إبراز مكانة النبي ﷺ ومحبته في حياة الأمة.
- معالجة قضايا الأمة الإسلامية في ضوء الواقع والتاريخ.

١-"أسوة حسنة" هو عنوان مقالةٍ قُرِئت في جلسة علمية من جلسات "مساء همدرد". إنَّ إصلاح الإنسانية يُعدُّ من المهام النبوية العظيمة. فما المقصود بالإصلاح؟ وكيف يمكن تحقيقه؟ وقد كتب الشيخ في تفصيل هذا الموضوع، فقال: إن المقصود بالإصلاح في الحقيقة هو "إصلاح القلب النابض في صدر الإنسان"، وهذا لا يتحقّق إلا باقتداء الإنسان بالنبي ﷺ واتّباعه لهديه في القول والعمل.

يكتب الشيخ في مقالته "أسوة حسنة":

"هناك وسيلة واحدة للإصلاح، وهي أن يصبح القلب النابض قلبًا مصلحًا. فالشخص الذي صلح قلبُه، لا يمكن للفقر والجوع أن يفسدا أخلاقه، ولا تؤثّر فيه كثرة المال، وإذا ابتُليَ هذا الشخص المصلح بأي محنة أو امتحان، أو عُيِّن في منصبٍ رفيعٍ في الحكومة، فإنه يبقى صالحًا تمامًا، أي أن هذه الأمور لا تُفسد أخلاقه ولا تُغيّر سلوكه".

---

(١) مجلة شهرية ضياء الحرم، (ص/١١١).

المقالتان اللتان قُرئتا في مؤتمر "الصراط الدولي" تحت عنوان "الرسول ﷺ معلّم الأخلاق"، وفي مساء "همدرد" تحت عنوان "النظام الأخلاقي للرسول ﷺ " قد نُشرتا. وقد قال الشيخ فيهما: إن الفلسفة الأخلاقية كانت من أحبّ الموضوعات إلى الفلاسفة والمثقفين، وقد ناقشوها بتفصيل، ولكن الحقيقة أنهم لم يصلوا إلى نتيجةٍ حاسمة. أما بحسب رأي الشيخ، فإن التعاليم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، تتوافق تمامًا مع الفطرة البشرية، كما أنها قابلة للتطبيق العملي في واقع الحياة

–"اتباع السُّنَّة النبوية في ضوء القرآن" هي مقالةٌ تُزيل الأوهام التي ترسّخت في عقول الناس الواقعية.

–"ثورة الكتاب القرآنية" محاولةٌ متميزةٌ لدعوة المسافرين الحائرين في هذا العصر إلى الله تعالى.

– "الإسلام دين الفطرة"هو عنوان الخطاب الذي أُلقي في المؤتمر السُّني العالمي الذي عُقد في برمنغهام (إنجلترا)وفي وقتٍ أبهَرَ فيه تطوّرُ العلم والفنون الأبصارَ، وضاقت الأرض بما رحُبت على الجنس البشري، وانطلق الإنسان إلى الفضاء الفسيح في رحلاتٍ لا محدودة، يبقى السؤال: لماذا يؤكّد المسلمون أن الحاجات الإنسانية لا تُلبّى إلا بالإسلام؟وقد أجاب الشيخ عن هذا الإشكال في هذه المقالة "الإسلام دين الفطرة"، التي قدّمها في المؤتمر المذكور.

–"العدل في ضوء القرآن"بيّن الشيخ في هذه المقالة مفهوم العدل كما ورد في القرآن الكريم، كما تناول مفهوم العدل عند المفكّرين الهنود واليونانيين والإيرانيين، وذلك بغرض إبراز مكانة القوانين القرآنية وأهمّيتها في النفوس والعقول من خلال هذه المقارنة، وهاتان المقالتان مفيدتان جدًّا لطلاب مقارنة الأديان.

–"ثورة النبي ﷺ الاقتصادية" مقالةٌ وجيزةٌ في العصرالحاضر، تدّعي الرأسمالية والاشتراكية أنّ فيهما فلاح الإنسان، وتزعم كلٌّ منهما أنّها الترياق لجميع معاناة البشرية، ولكن الحالة الحاضرة قد كشفت عن عيوبهما أمام الإنسان، ولم تَعُد هناك وسيلةٌ للخلاص سوى النظام الذي جاء به النبي الكريم ﷺ وقد تُبرز هذه المقالة تعاليمَ النبيِّ الكريم ﷺ في الجانب الاقتصادي.

–"النظرية السياسية للإسلام وبيعة الصدّيق" في هذه المقالة، أوضح الشيخ بشكلٍ جيّد العيوب التي كانت قائمة في أنظمة الحكم قبل الإسلام، وبيّن التعاليم الراقية التي جاء بها الإسلام في المجال السياسي.

كما بيّن أن انتخاب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه كان تطبيقًا عمليًا لهذه التعاليم، وقد فنّد الشيخ في هذا المقال الشبهات التي أُثيرت حول انتخاب الصدّيق، والتي استندت إلى أحاديث ضعيفة.

–"فاروق الأعظم وأهل البيت"ناقش فيها الشيخ ثلاثة أبعاد رئيسة:

١. طبيعة العلاقة بين الفاروق الأعظم وأهل البيت في عهد النبوة.

٢. تعظيمه وتوقيره لأهل البيت في فترة خلافته، وكيف كانت معاملتهم له رضي الله عنه.

٣. آراء أئمة أهل البيت فيه بعد استشهاده، وما قالوه عنه من الثناء والاعتراف بفضله.

وقد نقل الشيخ رحمه الله في تأييد موقفه العديد من النصوص من كتب الشيعة المعتمدة.

فلو لم يكن التعصّب والعناد حائلًا، لأمكن لمثل هذه المقالات أن تُسهم في إزالة كثير من الخلافات وإنهاء أسباب الفُرقة.

–"الإسلام والتصوف"، و"مكانة الصوفية في الإسلام" في هاتين المقالتين، بُيّنت حقيقة التصوف، وهدفه، وغايته، وفوق ذلك، أُجيب فيهما عن الاعتراضات التي أثارها البعض حول سلاسل الفقر والدروشة، وثبت ما يلي:

١. أن مصدر التصوف هو القرآن والسنة، لا أولئك الذين جعلوا التصوف جمعًا بين الصلوات واستعطافًا للناس بالتسول على أبواب الغرباء.

٢. أن التصوف ليس شعار الجهلاء والأميين، بل هو ميدان لأرباب البحث والتدبر.

٣. أن الصوفية ليسوا من أنصار الرهبانية في الإسلام، بل هم مقتنعون بالتعامل الواقعي مع حقائق الحياة الملموسة[١].

–"مقام المصطفى ﷺ في ضوء الإنجيل": يقول الشيخ: " إنّ رسول الله ﷺ هو سبب الخلق، ومنذ آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، ظلَّ جميع الأنبياء عليهم السلام يُبشِّرون بمقدمه ﷺ "وقد خصَّ القرآن الكريم بالذِّكر بشارةَ عيسى عليه السلام بقدوم النبي ﷺ، وقد بيَّن الشيخ في هذه المقالة فضائلَ النبي ﷺ كما وردت في ضوء نصوص الإنجيل.

–معجزة معراج المصطفى ﷺ

للمعجزات مكانة عظيمة في حياة الأنبياء، لكنّ بعض الناس ممّن لا يعرفون الحقائق ولا يدركون جوهر الأمور قد أنكروا تلك المعجزات في الماضي، ولا يزالون يُنكرونها حتى اليوم، وقد تناول الشيخ في هذه المقالة موضوع المعجزات، فبيّن صحتها وأقام الأدلة على ثبوتها، كما قدّم فيها مواد كثيرة تُطمئن القلوب، خاصة فيما يتعلق بمعجزة المعراج، وغيرها من المعجزات الكبرى التي أيّد الله بها نبيَّه الكريم ﷺ [٢].

–"نظرية إقبال في الحب": هي مقالة مؤلمة، غارقة في الألم والمعاناة، ولعل طبيعة الموضوع تتطلب هذا الأسلوب. وكما كان لإقبال مكانة فريدة في سائر تعاليمه الفكرية، فكذلك كانت له منزلة خاصة في مفهوم الحب، إذ لم يكن الحب عنده مجرّد عاطفة، بل قوّة مبدعة تنهض بالأفراد والأمم.

–"الإسلام والزراعة"في هذه المقالة، بيّن الشيخ الحالة الشرعية لمسألةٍ مهمة تتعلق بالزراعة، وهي مقالةٌ نافعةٌ

---

(١) تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/٣٨٠).

(٢) نفس المصدر والمرجع، (ص/٣٨١).

لأولئك الذين يُؤَوّلون المسائل الشرعية تبعًا لأهوائهم.

–"أهمية وضرورة الاجتهاد في الإسلام":

شرح الشيخ في هذه المقالة معنى الاجتهاد، ومن الذي يَصْلح لتولي منصب المجتهد، وما الشروط الواجب توافرها في المجتهد، وما هي المجالات التي يجوز فيها الاجتهاد، ولا شك أن نشر هذه المقالة وإيصالها إلى المتعلمين في العصر الحاضرولا سيما فئة المحامين أمرٌ بالغ الأهمية، لما فيها من توجيه نافع وفهم عميق لأحد أركان الشريعة الإسلامية [١].

–"قانون العقوبات في الإسلام":

قد بيّن الشيخ في هذه المقالة المسائل الشرعية المتعلقة بجريمة الزنا، ولم تقتصر على مجرد شرحٍ لمشكلة معيّنة، بل كانت بمثابة مقدمة رائعة للنظرية الإسلامية في الحدود والعقوبات. كما تناول فيها المصائب والمخاطر الكبيرة الناتجة عن القوانين الوضعية المعاصرة، موضحًا الفوارق الجوهرية بين النظام الإسلامي وغيره من النظم القانونية.

–"مساهمة المسلمين في تطوير العلم":

هي محاولة ناجحة لإقامة صلة بالماضي المشرق الذي يمكن أن يكون دليلاً لبناء مستقبلٍ زاهر. واليوم في الوقت الذي ينبغي لنا فيه أن نُدرك متطلّبات العصر الجديد ونتأهّب لمواجهتها، نجد بعض الأصدقاء لا يزالون يميلون إلى جعل موضوعاتٍ مضى عليها قرونٌ محورًا للنقاش ومصدرًا للجدل[٢].

---

(١) تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/٣٨٢).

(٢)تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد اكرم ساجد، (ص/٣٨٣).

المبحث الثالث: الوسائل المكتوبة

تُعَدُّ الوسائل المكتوبة من أهم أدوات الدعوة والتعليم، إذ تُمكِّن الداعية من نشر أفكاره وتوثيق معارفه بصورةٍ تبقى وتنتشر عبر الزمان والمكان. فهي وسيلةٌ فعّالة للتأثير الفكري والتربوي، وتُسهم في ترسيخ المفاهيم الإسلامية بأسلوبٍ علميٍّ ومنهجيٍّ، وقد أولى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري عنايةً كبيرة بالكتابة، فكانت مؤلفاته نموذجًا في الدعوة بالقلم والفكر، تجمع بين عمق العلم وروح الإيمان ومنها مايلي:

المطلب الأول: الكتاب

إن القلم أحد اللسانَين، بل هو اللسان الأبقى؛ فإن اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر، بينما القلم مطلقٌ في الشاهد والغائب، يصل إلى الغابر كما يصل إلى الحاضر، ويُقرأ الكتاب في كل مكان، ويُدرَس في كل زمان، أما اللسان فلا يَعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره، وهذا كلّه يدلّ على ضرورة اعتماد الكتاب وسيلةً لنشر العلم وحفظه، وقد خُلد ذكر العلماء بكتبهم، وبقي أثرهم بها، ومن هنا أولى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله عنايةً كبيرة بالكتاب، رغم مشاغله الإدارية والرسمية. ومع مرور الأيام قد يُنسى اسم العالِم، لكن علمه يبقى محفوظًا في كتبه، فيظل أثره ممتدًا، وذكراه حيّة رحمه الله.

كتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله:

المجال الذي برع فيه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله بعد التدريس هو تأليف الكتب، فقد ألّف العلامة مُحَمَّد كرم شاه عدة مؤلفات في المجالين العلمي والأدبي، وتُعدُّ هذه الكتب من الإنجازات التي بثّت روح الحب والإخلاص في جسد الإنسانية، وحثّت على الأعمال الجادة، والتطلّع نحو مستقبل مشرق.

إنّ مؤلفاته تضمّ موضوعات متنوّعة، من التفسير والحديث الشريف إلى التاريخ وتحليل النصوص الأدبية. فما أكثر المصنفات التي تركها الشيخ بعد وفاته، والتي أصبحت شاهداً حيّاً على جهوده العلمية والفكرية، وكان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، منذ فجر وعيه وحتى وفاته، حريصاً على نشر الدين، واحترام الشريعة الإسلامية في كل مرحلة من مراحل حياته. ويُعرَف الشيخ كرم شاه في آنٍ واحدٍ بأنه المؤسس، والمعلم، والمفكر، والمفسر، وكاتب السيرة النبوية، والصوفي، والمحبّ الصادق لرسول الله ﷺ، أما خدماته الدينية، والأكاديمية، والوطنية، والاجتماعية، فهي مشهورة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

–ترجمة الشيخ "جمال القرآن":

تُعَدُّ ترجمة القرآن الكريم التي قدَّمها الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله تحت عنوان "جمال القرآن" من أعظم إنجازاته العلمية. فقد بذل فيها جهدًا كبيرًا لتيسير فهم القرآن الكريم للعلماء والطلبة وعامة الناس على حد سواء، وذلك بأسلوب سهل يجمع بين الدقّة والبلاغة.

وهذه الترجمة جزء لا يتجزأ من تفسيره المعروف "ضياء القرآن"، وقد جاءت مصاحبةً للتفسير لتزيده وضوحًا وإشراقًا، ويمكن تقدير جمال هذه الترجمة ودقّتها من كلام الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في مقدمة تفسيره، حيث قال:

"لقد حاولتُ الجمع بين الترجمة الحرفية والاصطلاحية، بحيث يُحافَظ على تَسَلسُل الخطاب وانسيابه، ولا يختلف التركيز قدر الإمكان، وتُوضَع كلُّ كلمة تحت موقعها المناسب بعناية"[1] وقد نالت هذه الترجمة قبولًا واسعًا لما فيها من توفيق بين معاني القرآن وروح اللغة الأردية.

١-تفسير ضياء القرآن:

يُعدُّ تفسير ضياء القرآن موسوعةً تفسيريةً علمية، إذ استفاد فيه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري من معظم التفاسير المأثورة، وقد سلك فيه منهج تفسير الآيات بكلام الرسول ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ولا شك أن هذا التفسير يُعدّ من أجلِّ التفاسير باللغة الأردية وأكثرها فائدة وشمولًا، يقع في خمسة مجلدات، وطُبِع لأول مرة تحت إشراف مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع، بمدينة لاهور، عام ١٩٧٤م.

قام العلّامة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله بتأليف ترجمة وتفسير للقرآن الكريم بعنوان "ضياء القرآن"، وقد استغرق في تأليفه ما يقارب عشرين عامًا، ابتدأها في ٢٩ فبراير ١٩٦٠م، وأتمّها في ٢٣ أغسطس ١٩٧٩م.

وقد قال رحمه الله عن بداية هذا العمل الجليل: "والله يشهد أنّي ما خطر ببالي يومًا، ولا فكرتُ لحظةً، أن أقوم بتفسير كتاب الله تعالى، ولا أنني أهلٌ لهذه المهمة العظيمة، أو أملك بعقلي وفهمي أن أُبَيِّن شيئًا من أسراره وغوامضه، أو أعبّر عمّا يفيض به قلبي من مشاعر تجاهه؛ وإنما هو محضُ توفيقٍ من الله العليّ القدير، شاء بحكمته يُكتب هذا العمل، فكان ما كان، وجرى قضاء الله وقدره، وقد لقي هذا التفسير بحمد الله ـ قبولًا واسعًا لدى العلماء والمثقفين وعامّة الناس، لما امتاز به من عمق في المعنى، وصفاء في الأسلوب، وجمعٍ موفق بين الرواية والدراية[2].

٢-ضياء النبي ﷺ:

ألّف الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله كتابًا عظيمًا في السيرة النبوية بعنوان "ضياء النبي ﷺ "، يقع في سبعة مجلّدات ضخمة، وقد نُشر عن مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع عام ١٩٩٢م.

ويُعدّ هذا الكتاب من أبرز مؤلفات الشيخ، وقد نال به جائزة الدولة في كتب السيرة، لما اشتمل عليه من محبة نبوية صادقة، وأسلوب أدبي راقٍ، وعلم غزير.

امتاز هذا العمل بما يلي:

---

(١) تفسير ضياء القرآن، (١/١ ١٢).

(٢) نفس المصدر، (٨/١).

- شمولية الطرح، حيث تناول السيرة المطهّرة في ضوء أحداث التاريخ الإسلامي، مع ربطها بأحوال الأمم السابقة.
- الردّ العلمي الرصين على اعتراضات المستشرقين ومَن سار على نهجهم، بأسلوب دقيق، وبحجج قوية وواضحة.
- إبراز شخصية الرسول ﷺ بكل جوانبها: الدينية، والأخلاقية، والإنسانية، والسياسية، مما جعله مرجعًا متكاملاً في بابه.
- وأهم ما يميّزه أن كل كلمة منه تنضح بمحبة النبي ﷺ، وتُلهِم القارئ تعظيمًا وارتباطًا بسيرته العطرة.

ويُعتبر هذا الكتاب أوّل محاولة شاملة وناجحة في اللغة الأردية في مجال السيرة النبوية، فاق بها الشيخ معاصريه، وخلّد بها اسمه في دنيا السِّيَر.

وعلَّق الأستاذ الدكتور أحمد ضياء الإلهي:

إنَّ كتاب ضياء النبي الذي ألّفه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، يُعَدُّ من أعظم مؤلفاته، وقد جاء في عدة مجلدات. فالمجلدات الأربعة الأولى مليئة بسرد الوقائع التاريخية التي خلدتها مختلف الثقافات، منذ ولادة الحبيب المصطفى ﷺ، والحوادث المتعلقة بمولده الشريف، إلى انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

أما المجلد الخامس، فقد خُصِّص لبيان وصف النبي ﷺ، وشمائله، والصلاة والسلام عليه، وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة.

بينما تناول المجلدان السادس والسابع موضوع الاستشراق وما يتعلق به، حيث سعى فيهما المؤلف إلى بناء تصور إسلامي مستند إلى السيرة النبوية، يدعم تنزيل القرآن ويفسّره في ضوء سيرة النبي ﷺ، التي هي نور يضيء آفاق العالم بجوانبها المشرقة، وزهرةٌ تفوح منها الرائحة العطرة الأصيلة، وطريقٌ ممهد يقرّب العبد من محبة الحبيب المصطفى ﷺ .

فالسيرة النبوية تمثل النقطة المركزية التي يدور حولها العالم في الاسترشاد والهداية، ولذلك قال العلامة مُحَمَّد كرم شاه – في مقدمة كتاب ضياء النبي – بصدق الحب والإخلاص لحضرة الرسول ﷺ:

"يا سلطان الأجملين في العالم، يا ملك السلاطين في الكون، هذا عبدك المسكين، خالي الوفاض، قد جاء ينهل من معين محبتك، ويسعى سعيًا متواضعًا بتقديم هدية متواضعة في صورة هذا الكتاب، معترفًا بعجزه وتقصيره. سيدي يا رسول الله ﷺ، أكرمني بالقبول، بأن أكون ممتثلًا لكل الأوامر التي صدرت من ذاتك الشريفة، وعزّزني من جنابك الكريم بمنحي الثروة الروحية الأبدية" [1].

وقد نقل صاحب ضياء النبي أبياتًا من قصيدة العلامة ولي الله الدهلوي، منها:

---

(١) صياء النبي، العلامة مُحَمَّد كرم شاه، (ص/١) الناشر: مؤسسة صياء القرآن للنشر والتوزيع، پاكستان، الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.

وصلى عليك الله يا خير خلقه ويا خيرَ من يُرجى لكشف زِيَّةِ
وأجودُ خلقِ الله صدرًا ونائلًا يا خيرَ مأمولٍ، ويا خيرَ واهبِ
ومن جوده قد فاق جودَ السحائبِ وأبسطُهم كفًّا على كلِّ طالبِ[1].

٣-سُنّة خير الأنام ﷺ

أول مؤلَّف من مؤلفات الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في علم الحديث هو كتابه "سُنّة خير الأنام ﷺ"، وقد ألّفه أثناء دراسته في مصر، ويُعدّ تحفة أدبية وعلمية، يجمع بين الرّد على منكري السنّة وإثبات مكانتها في الشريعة الإسلامية، صدر هذا الكتاب في مجلّد واحد، وطُبع لأول مرة تحت رعاية مؤسسة ضياء القرآن للنشر والتوزيع سنة ١٩٧١م.

وقد جاء هذا الكتاب ردًّا قويًا على فِتنة إنكار السنّة، التي كانت قد بدأت تَرفع رأسها في باكستان في ذلك الوقت، وكان الشيخ قد ألّفه في حياة غلام أحمد پرويز رأس هذه الفتنة وعقلها المدبّر.

وقد نال الكتاب قبولًا واسعًا، وتُرجم إلى عدّة طبعات، ما يدل على مدى شعبيّته وقيمة محتواه، إذ كشف فيه الشيخ عن مؤامرة خطيرة حيكت ضدّ السنة النبوية، بأسلوب محكم، وحُجّة قوية، وبيان واضح.

محتويات كتاب "سُنّة خير الأنام ﷺ

استعرض المؤلف في الباب الأول الحجج والبراهين التي قدَّمها منكرو السنة النبوية، ومن بينها القول بأن متطلّبات الحياة الاجتماعية والثقافية تتغير باستمرار بحسب الحاجات، ولذلك – بزعمهم – فإن الأمة الإسلامية ينبغي أن تكتفي بتطبيق أحكام القرآن الكريم، دون الحاجة إلى الرجوع إلى السنة، بدعوى أن التفاصيل التي بيَّنها النبي ﷺ كانت خاصة بعصره فقط.

وفي نهاية الباب، أوضح المؤلف الفرق الجوهري بين القرآن الكريم والسنة النبوية تحت عنوان. وبيّن أن السنة، شأنها شأن القرآن، مبنية على الوحي الإلهي، وهي مقصودة من عند الله عز وجل، لا من اجتهاد بشري مستقل كما شرح الشيخ مُحَمَّد كرم شاه معنى كلمة "الحكمة" الواردة في القرآن الكريم، موضحًا أن المقصود بها هو العلم والعمل الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ، وأنه لا يمكن اتباع أحكام القرآن بشكل صحيح دون اتباع السنة النبوية.

وفي هذا السياق، قدّم الشيخ شرحًا تفصيليًا لبعض الأحكام المهمة التي وردت في القرآن الكريم، والتي لا يمكن فهمها ولا تطبيقها إلا من خلال السنة، مثل:

- كيفية أداء الصلاة، مقدار الزكاة، طاعة الأمير، وأمور أخرى كما عرض بالتفصيل اعتراضات منكري السنة، وردّ عليها بالحجج الشرعية والعقلية.

---

(١) شرح قصيدة أطيب النعم، شاه ولي الله، (ص/٥٧) الناشر: القران للنشروالتوزيع، الطبعة الأولى: ١٩٨٥م.

أما الباب الثاني من الكتاب، فقد جاء بعنوان: "تدوين الحديث وجهود المحدّثين"

وقد نقل الشيخ رحمه الله في مطلع الباب الثاني اعتراضًا مهمًّا من اعتراضات منكري السنة، مفاده:

"إن جمع الأحاديث وتدوينها لم يبدأ إلا بعد مرور مئتين إلى ثلاثمئة عام على وفاة النبي ﷺ، حيث قام المحدثون بزعمهم بجمع ما سمعوه من الناس في كتبهم دون تمحيص أو تحقيق، ثم جعلوا ذلك دينًا يُتبع. ويرون أن الأحاديث لم تكن محلَّ اهتمام في عهد الصحابة والتابعين ولو كان النبي ﷺ يقصد أن تُتَّبع سنته إلى يوم القيامة، لكان من المفترض أن تُتَّخذ نفس الترتيبات التي اتُّبعت في حفظ القرآن الكريم؛ حمايةً للسنة من التحريف والتبديل كما يستدلّون على ذلك بعدم تصريح النبي ﷺ بضرورة كتابة الحديث، وكأنّ هذا يدلّ حسب زعمهم على أنّ سنته ليست مُلزمة بعده"(١).

ويؤكد الشيخ أن هذا الاعتراض هو نفسه الذي يردده المستشرقون أيضًا، والسبب كما يراه أنهم لا يستطيعون تصوّر أن يكون أتباع نبيٍّ ما أوفياء لأقواله وأفعاله بتلك الدرجة من الدقة التي امتاز بها المسلمون، في الوقت الذي لم ينجحوا هم في حفظ تراث أنبيائهم من التبديل والتغيير.

ويتابع الشيخ مبينًا: لقد أزعجهم أن المسلمين يثقون بكل تفصيل من تفاصيل حياة نبيهم ﷺ: في قيامه وقعوده، في سلمه وحربه، في سفره وإقامته، وفي شأنه الخاص والعام؛ ولهذا تجدهم يسعون ليلَ نهار لبثِّ الشكوك، وزعزعة اليقين، وإقناع المسلمين أن ما يؤمنون به قد جُمِع في عصور متأخرة على أيدي من يصفونهم بالكذب والافتراء".

وردًا على هذه المزاعم، قدّم المؤلف دراسةً تحليليةً شاملة لتاريخ السنة النبوية وجمعها وتدوينها، بهدف تفنيد تلك الشبهات، وبيان الحق في مسألة توثيق الحديث النبوي.

وقد قسّم الشيخ رحمه الله هذا التاريخ إلى المراحل التالية:

١. تدوين الحديث في العصر النبوي.

٢. تدوين الحديث في عهد الصحابة.

٣. تدوين الحديث في عهد التابعين.

٤. مرحلة الضبط والتنقيح والازدهار العلمي، والتي شهدت جمع وتدوين "الكتب الستة" المعروفة في علم الحديث.

ثم انتقل المؤلف إلى الباب الثالث بعنوان: "السنة النبوية وأهميتها التشريعية"

وقد علّق الشيخ في مستهلّ هذا الباب قائلاً: "من خلال تقييمي للصعوبات التي يواجهها المعترضون على

---

(١) سنة خير الأنام ، مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، (ص/٣٠-٥٥)

السنة، تبيَّن لي أن دراستهم لا تتجاوز عددًا قليلًا من الترجمات غير المكتملة لبعض كتب الحديث، وأنهم يجهلون تمامًا المبادئ التي تحكم القيمة الفقهية والتشريعية للحديث، فهم لا يعرفون كيف يُستنبط من الحديث حكمٌ شرعي، وهل هو فرضٌ أو سنةٌ أو مباح أو مكروه، بل لم يكلفوا أنفسهم عناء التمييز بين هذه الأحكام أصلاً"[1].

المطلب الثاني: رسائل الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله

في عالم المعرفة والبحث، يُعدُّ محتوى الكتاب وأسلوبه أكثر أهمية من حجمه؛ فكثير من المصنّفين المتقدّمين ألّفوا كتبًا لا تتجاوز بضع صفحات، ومع ذلك فهي زاخرة بالمعاني العميقة والمفاهيم الجليلة، ولا تزال تُترجم وتُفسَّر إلى يومنا هذا.غير أنّ ما يحدث غالبًا في هذا العصر، هو أن الكتب الضخمة تلقى رواجًا وانتشارًا، بينما تُهمَل الرسائل الصغيرة وتصبح نادرة التناول. وربما يرجع ذلك إلى اعتقاد بعض الناشرين أن وجود الكتب الكبيرة يغني عن نشر الرسائل المختصرة، أو لأن تلك الرسائل لا تدرّ ربحًا كافيًا.

وقد وقع مثل هذا الأمر مع رسائل الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، حيث لم تحظَ تلك الرسائل الصغيرة بالعناية التي تستحقها، على الرغم مما فيها من فوائد علمية وروحية كبيرة.

وفيما يلي أقدّم تعريفًا موجزًا بخمسٍ من تلك الرسائل العلمية القيّمة التي ألّفها "ضياء الأمة" رحمه الله .

١- پيمانِ سرفروشی:

تُعدّ هذه الرسالة من الرسائل المهمة التي تناول فيها الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مسألة البيعة، حيث بيّن فيها حقيقتها، وأهدافها، وفوائدها، وثمارها، وخلفيتها التاريخية.

وقد أثبت الشيخ رحمه الله بالدليل أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قد بايعوا رسول الله ﷺ، واستدلّ على ذلك بما ورد في كتب الحديث، مُعتمدًا على الروايات الصحيحة المروية في أمهات كتب السنة والحديث، ومؤيدًا ذلك بالآيات القرآنية، كما أكّد الشيخ أن النساء لم يُحرمن من منافع البيعة وبركاتها، بل كان لهنّ نصيب منها كما للرجال، مستشهدًا بنصوصٍ من الكتاب والسنة في هذا الباب، ثم خلص إلى القول بعد عرض كل هذه الأدلة والمراجع بأن هذه البيعة التي يُعلنها الناس اليوم على يد مرشدهم وإمامهم، هي امتدادٌ لسنّة الصحابة رضوان الله عليهم في التزامهم وولائهم للرسول ﷺ [2].

---

(١) سنة خير الأنام ، مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، (ص/٥٥-٩٠)

(٢) پيمان سرفروشی، مُحَمَّد كرم شاه، (ص/١٠) الناشر: صوفی محمد صادق چشتی، سیالکوٹ.

٢– فتنة إنكار ختم النبوة:

تُعَدّ جهودُ الشيخِ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في الردّ على فتنةِ إنكارِ ختمِ النبوّة من أبرزِ خدماتِه التي لا تُنسى؛ إذ خاض رحمه الله ميدانَ الدفاع عن هذه العقيدةِ الإسلاميةِ العظيمةِ بقوّةٍ وبصيرة، وخصّص لها مقالاتٍ منتظمةً نُشرت في مجلّتِه، التي أصبحت فيما بعدُ مرجعًا تاريخيًّا في هذا الباب، ولما أعلن السيّدُ غازي غلام رسول الجهادَ ضدّ "المرزائية"، وبدأ سلسلةَ مؤتمراتٍ بعنوان "عظمتِ تاجدارِ ختمِ نبوّت" بمدينة چنيوٹ، قام الأستاذُ أحمد بخش بجمع الأوراقِ المتفرّقةِ للشيخ حول هذا الموضوع، وأصدرها في شكل كُتيّب نُشر تحت رعايةِ مؤسسة "ضياء القرآن پبلكيشنز" بعنوان: "فتنةُ إنكارِ ختمِ النبوّة".

يحتوي هذا الكتيب في بدايته على مقدمة موجزة عن خلفية "المرزائية" ونشأتها، ثم يُورد تفسير الآية رقم ٤٠ من سورة الأحزاب﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1] حيثُ تمت مناقشةُ كلمة «خاتم» في ضوء أقوالِ أئمّةِ اللغة، كصاحب لسان العرب والجوهري في الصحاح.

كما شرح الشيخُ بأسلوب تفسيرِ القرآن بالحديث دلالةَ هذه الآيةِ الكريمةِ من خلال الأحاديثِ النبوية، ثمّ ساق الأدلّةَ العقليةَ المؤيّدةَ لختمِ النبوّة، وبيّن ما ورد في السنّة النبوية من أخبارِ الغيبِ المتعلّقةِ بنزولِ سيّدِنا عيسى عليه السلام، وتحذيراتِ النبي ﷺ من مدّعي النبوّة الكاذبين، وفي خاتمةِ الرسالة، عرض المؤلّفُ أقوالَ ومواقفَ ميرزا غلام أحمد القادياني المتناقضة، وكذلك نشاطاتِ أتباعِه المعاديةِ للإسلامِ وللدولةِ الباكستانية، بأسلوبٍ موثّقٍ ودقيق.

وتُعَدّ هذه الرسالةُ من أنفعِ ما أُلّف في بيانِ عقيدةِ ختمِ النبوّة، وفضحِ كيدِ المرزائيين ومخطّطاتِهم ونشاطاتِهم المشبوهةولذلك يُوصى بترجمتِها إلى اللغتين العربية والإنجليزية، وإلى لغاتٍ أخرى، وتوزيعِها مجانًا في مختلفِ أنحاءِ العالم، لما فيها من فائدةٍ عظيمةٍ للأمّةِ الإسلام.

٣–رؤية الهلال وأدلتها الشرعية:

لقد كانت مسألة رؤية الهلال قضية شائكة في باكستان، ولا سيما في إقليم "سرحد" (خيبر پختونخوا حاليًا)، حيث كانت تتكرر الخلافات حول ثبوت الهلال، خاصة لهلال رمضان وعيدي الفطر والأضحى.

وكان من أبرز من تصدّى لهذه المشكلة الشيخ ضياء الأمة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله الذي شغل عضوية لجنة رؤية الهلال المركزية من عام ١٩٧٢م إلى عام ١٩٨٩م، كما تولّى رئاستها من عام ١٩٨٤م إلى ١٩٨٦م، وفي عام ١٩٨٥م، صدر عن "دار ضياء القرآن للنشر" لاهور، كتيب مهمّ من تأليف الشيخ، بعنوان: "رؤية الهلال وأدلتها

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠

الشرعية"، ألقى فيه الضوء على الأبعاد الشرعية لهذه المسألة الحساسة، وناقش فيها عددًا من الأسئلة الجوهرية، منها:

١. كيف تُثبت رؤية هلال رمضان شرعًا؟

٢. ما طريقة إثبات هلال عيدي الفطر والأضحى من الناحية الشرعية؟

٣. هل يجب على كل مدينة أو بلدة أو قرية أن ترى الهلال بنفسها، أم تكفي رؤية واحدة في أي مكان من البلاد؟

٤. وإذا كانت رؤية الهلال في مكان واحد كافية، فكيف يتم تعميمها على بقية المناطق التي لم يُرَ فيها الهلال؟

وقد ناقش الشيخ هذه المسائل باستفاضة، معتمدًا على أدلة الكتاب والسنّة وآراء فقهاء المذاهب الأربعة، ثم لخّص النتائج المستخلصة من هذه المباحث بقوله:"لا تُقبل الشهادة على رؤية الهلال إلا بحضور الشاهد بنفسه أمام القاضي، فالشهادة التي تُدلى بها عبر التلفاز أو الراديو أو وسائل الإعلام لا اعتبار لها شرعًا، وقد أجمعت على ذلك كتب الفقه، وأنا العبد الفقير أوافق على صحة هذا الرأي وأؤمن به"وهذا الكتاب يُعدّ من الوثائق العلمية المهمة التي تُبرز اجتهاد الشيخ رحمه الله في خدمة قضايا الأمة، وجمع الكلمة، وتحقيق وحدة الصوم والفطر في البلاد"[(١)].

استكمالًا لموقف الشيخ كرم شاه الأزهري حول رؤية الهلال: أكد الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في خاتمة رسالته على أهمية اعتماد الشهادة الموثوقة في محكمة القاضي عند ثبوت رؤية الهلال، وأن القرار بشأنها يجب أن يُتخذ وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ويُعمَّم على جميع أنحاء البلاد بما يتماشى مع قواعد الإسلام.

وأشار الشيخ إلى اختلاف العلماء في مسألة اختلاف المطالع، فذهب بعضهم إلى عدم اعتبار اختلاف البلاد، لكن الرأي الراجح عند جمهور العلماء هو أن البلاد البعيدة يؤخذ فيها باختلاف المطالع، أما إن كانت المسافة بين المناطق غير كبيرة، فإن رؤية الهلال في جهة واحدة تكفي لثبوته في سائر أنحاء البلاد.

وأوضح رحمه الله أن إعلان رؤية الهلال أو عدمه عبر وسائل الإعلام ليس شهادة شرعية في ذاته، بل هو مجرّد إقرار وإعلام يصدر عن اللجنة المركزية بعد ثبوت الشهادة الشرعية من الشهود العدول.

وفي ختام المجلة، وجّه الشيخ نداءً مهمًا إلى حكومة إقليم "سرحد" (خيبر پختونخوا) والحكومة المركزية في باكستان، قال فيه "وأخيرًا أطلب بإلحاح من جميع المسؤولين في حكومة باكستان، وبخاصة من معالي حاكم الإقليم، ودولة رئيس وزراء الحدود، أن يلتزموا بقرارات لجنة رؤية الهلال المركزية، ويُولوا هذه اللجنة الاحترام اللائق، وأن يدعوا عامة الناس لاحترام قراراتها؛ لكبح جماح أولئك الذين يريدون إشعال الفتنة والانقسام في البلاد باسم الدين، وإظهار صورة مشوَّهة مفادها أن الإسلام وشريعته لم يعودا كافيين لتوحيد الأمة وتنظيمها ويظلّ هذا النداء الذي دوّنه الشيخ قبل عقود، ذا قيمة كبيرة في توجيه الأمة نحو وحدة الكلمة، والابتعاد عن الخلافات المفرّقة، خاصة في المسائل ذات

---

(١) جمال كرم، (١/٦٥٤).

الطابع الجماعي كالصوم والعيد[١].

٤- دعوة الفكر والنظر:

العلماء وأهل الفكر يحرصون دائمًا على معالجة المشكلات في ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وآراء الصالحين، ويقدّمون نتائج دراساتهم مكتوبةً لغيرهم من العلماء، وهذه عادة جارية منذ القدم، وفي هذه الرسالة، عرض الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله حجج الأطراف المختلفة، كما تناول التشريعات المصرية بالشرح والتحليل.

وقد بيّن الشيخ رحمه الله مبررات الإفتاء بقول إمامٍ آخر عند الحاجة، وضرب لذلك أمثلة من فتاوى الإمام عبد الحيّ اللكنوي رحمه الله، ومن تواضعه الجمّ، أنه لم يعبّر عن رأيه بصيغة "هذا رأيي"، بل قال: "الرأي الضعيف لهذا العبد الفقير"، وأضاف أيضًا: "وفي هذه الظروف، يُفضَّل العمل بفتوى جامع الأزهر الشريف [٢].

يتّضح أن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله كان يعالج القضايا الفكرية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مسترشدًا بآراء الصالحين، وعارضًا لآراء العلماء المختلفة عرضًا علميًّا موضوعيًّا. تناول في رسالته التشريعات المصرية بالتحليل، وبيّن جواز الإفتاء بقول إمامٍ آخر عند الحاجة، مستدلًّا بفتاوى الإمام عبد الحيّ اللكنوي. وتميّز الشيخ بتواضعه العلمي، فكان يقول: "الرأي الضعيف لهذا العبد الفقير"، كما أشار إلى تقديم فتوى جامع الأزهر الشريف لما له من مكانة علمية معتبرة.

---

(١) مقالات (١ /٢١٤)

(٢) جمال كرم، (١/ ٦٤٨).

الفصل الرابع
المشاكل الدعوية عند الشيخ محمد كرم شاه

وهويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: المشاكل الداخلية عند الداعية والمجتمع

المبحث الثاني: المشاكل الخارجية

المبحث الأول: المشكلات الداخلية عند الداعية والمجتمع

تُعَدّ المشكلات الداخلية عند الداعية والمجتمع من أهم القضايا التي تؤثّر في نجاح العمل الدعوي واستمراره، إذ إنّ الداعية يواجه في نفسه وفي بيئته تحدّيات فكرية ونفسية واجتماعية قد تُضعِف أثر الدعوة أو تُعيق وصولها إلى الناس بالصورة المطلوبة، فإنّ دراسة هذه المشكلات وتحليل أسبابها وسبل معالجتها تُسهم في بناء الداعية الراشد، والمجتمع المتوازن القادر على التفاعل الإيجابي مع قيم الإسلام ومقاصده، وهو ما تسعى هذه الرسالة إلى بيانه في ضوء الكتاب والسنة ومنهج العلماء الراسخين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المشاكل الداخلية التي تخص الداعية والمدعوين عند الشيخ عليه الرحمة

واجهت الدعوة الإسلامية المعاصرة مجموعةً من المشكلات الداخلية تمثّلت في الدعاة والمتلقّين على حدّ سواء، مما أعاق تحقيق غاياتها في تبليغ دعوة الله، ونظراً لتنوّع هذه المشكلات وكثرتها، توجّب انتقاء أبرزها وتبيان سبل التغلب عليها، ويجدرُ التنبيهُ إلى أنه لا يُلزَم توافرُ كلّ هذه المشكلات في جميع الدعاة أو المدعوين، بل يكفي أن تكون سائدةً بين غالبية الأفراد لتشكّل عقبةً يجب اجتيازها.

-إهمال تأهيل الدعاة

من المسلَّم به أن قوة التأهيل في أمر ما يتناسب طردياً مع حجم المؤهل به وثقله، ولما كانت الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أعظم منازل الدين ومقاصده أثنى الله سبحانه وتعالى على أهلها، ومدحهم بقوله: ﴿وَ مَنْ اَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّنْ دَعَآ اِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَّقَالَ اِنَّنِیْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، ولعظم هذه المسؤولية المؤثرة في أديان الناس، وعقولهم، وتقويم سلوكهم كانت مرحلة تأهيل الدعاة في الدعوة إلى الله، تأهيلاً يتناسب مع هذه الدعوة العظيمة؛ من أجل تأهيل دعاة بمستوى هذه المسؤولية الموكلة إليهم، فالدعوة إلى الله هي فرض كفاية يتحقق بها نشر الدين، وحفظه من التحريف والتشويه، والدفاع عنه ضد أعدائه والمستهزئين به، وإغفال الدعاة وتهيئتهم التهيئة الحقيقية يترتب عليه المفاسد الكثيرة التي لا يمكن حصرها والتي توقعهم في الصعوبات الكثيرة، والتحديات المختلفة والمغريات المتنوعة، وقد يجعل الله طائفة تتخلف عن الجهاد للقيام بهذه الدعوة العظيمة، فقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

فالشيخ مُحَمَّد كرم شاه يفسر لهذه الآية "فإذا كان الداعية جاهلاً وغير مؤهل للدعوة كانت دعوته وبالاً على

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢

الدعوة نفسها، فيكون ضرره وإفساده أكثر من إصلاحه"[١].

أي تُشير العبارة إلى أن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يرى أن الجهل أكبر عائق في طريق الدعوة، فإذا كان الداعية غير مؤهّل علميًّا وفكريًّا، أفسد أكثر مما أصلح، لأن الناس ينسبون أخطاءه إلى الدين نفسه. لذلك شدّد الشيخ على أن العلم أساس الدعوة، ولا بد للداعية أن يكون واعيًا، حكيمًا، ومؤهَّلًا شرعًا وفكرًا حتى تؤتي دعوته ثمارها.

المطلب الثاني: دور الشيخ عليه الرحمة لاتحاد المسلمين

يتحدث هنا عن دور الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في معالجة الانقسامات الداخلية للأمة الإسلامية، فمن المعروف أنَّ الأمة تواجه تحديات عديدة من الداخل:

أ– ومن أبرزها الحفاظ على وحدة صفّ المسلمين، كما يقول الأستاذ الدكتور حسن الشافعي عن فضيلة الشيخ رحمه الله:"ومن أجمل الجوانب التي ظهرت في شخصية شيخنا وأسلوبه العملي، سماحته النفسية، ورجاحة عقله، واتساع أفقه في العمل الإسلامي لم يكن متعصّبًا ولا متشدّدًا، بل كان متسامحًا ومنصفًا حتى مع المخالفين له، حريصًا على جمع الشمل ولمّ الشعث، وتوحيد صفِّ الإسلاميين، وعدم تبديد طاقة الأمة في خلافات ثانوية يمكن تجاوزها أو تجاوزها إيثارًا للمصلحة العامة للأمة، التي ابتليت بالجراح وعانت عوامل الفرقة والاختلاف، لقد شهدت بنفسي مواقف جسد فيها الشيخ السماحة والحكمة: خالف فيها بعض أصحابه ووافق بعض معارضيه في الرأي، مؤكدًا عمليًّا قولَه: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونؤاخٍ بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه" [٢].

وفي الحقيقة يحاول أعداء الإسلام دائمًا إيقاع الفتنة بين أخوة المسلمين؛ فتحينًا يثيرون خلافات إقليمية، وتحينًا يصبغونها بصبغة دينية، وكان من السعداء الذين جاهدوا في تضييق فجوة الخلاف بين المسلمين شيخنا الجليل رحمه الله إذ يقول في مقدمة تفسيره: "إنها حقٌّ مؤلمٌ أن باب التشتت والاختلاف قد فُتِح في الأمة الإسلامية منذ القديم، مع أن الله أمرنا بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٣]، ولكن هذه الأمة انقسمت إلى طوائف متناحرة، يحيك ضدها أعداءٌ معادون، ولا يزال التوتر والمرارة يزدادان يومًا بعد يوم، أكثر ما يؤلمُ المرءَ اختلافُ أهلِ السُّنّةِ فيما بينهم، حتى صارتْ فرقتين متباينتين، مع أنهم متفقون على أصول الدين: توحيد الله في الذات والصفات، وختم النبوة بمحمد ﷺ، وصدق القرآن الكريم، ويوم القيامة، وكل ما ثبت من الدين بالضرورة، ولكنَّ قِلّة الاحتياط في بعض الكتابات،

---

(١) ضياء القرآن، (٦١٧/٢).

(٢) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، منير الأزهري، (ص/١٢)

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣

والإفراط أو التفريط في بعض الخُطب، تَورّث سوءَ التفاهم، ويؤدي سوء الظنّ إلى أفظع الخلافات، ولو وُسِعَ الدعاةُ والكتّابَ لاختيارِ منهجِ الحذرِ والاعتدال في خطابهم وكتاباتهم، وبذلوا جهداً في تنقية النّيات وتركِ ظنّ السوء، لانتهى كثيرٌ من الخلافات في معظم المسائل[١].

ب- جهوده في توحيد صفوف المسلمين.

ربّى الشيخُ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله تلاميذه الأبرار على أخلاق السماحة والاعتدال، فأضحى كلٌّ منهم سفيرًا لوحدة الأمّة، وأسهموا في إنشاء المدارس الأهليّة التي تغرِس في نفوس الأجيال قيم التسامح وروعة الإسلام ومكانته السامقة، وذات يومٍ، تقدّم إليه أحدُهم طالبًا فتوىً تُخالفُ قول عالمٍ آخر، فاحمرَّ وجهُ الشيخ وغمره الاستياء، فقال بحزمٍ كما يليقُ بصادقٍ في إيمانه: " دعوا النّاس مسلمين، ألَم يبقَ عندكم شاغلٌ سوى تكفير المسلمين وتفرقة المؤمنين"[٢]وقد كان لهذا التوجيه الأثرُ البالغ في نفوس تلاميذه؛ فلم يجرؤوا بعدُ على إصدار فتاوى التبدير والتكفير بحقّ إخوانهم المسلمين.

ج- دوره الصحفي في توحيد كلمة الأمة:

أسّس فضيلة الشيخ رحمه الله مجلّة "ضياء الحرم" عام ١٩٧٠م، لتكون منبرًا يعبّر عن القيم الدينية السامية في صحافة البلاد، وقد كانت كلّ صفحة من صفحاتها تنطق بفكر الشيخ الداعي إلى اتحاد كلمة الأمة ومواجهة أعدائها.

ولما انعقد مؤتمر القمّة الإسلامية في لاهور عام ١٩٧٤م، خصّصت المجلة عددًا خاصًا بهذه المناسبة بعنوان: "اتحاد العالم الإسلامي" وقد تجلّت في هذا العدد عواطف الشيخ الجياشة، إذ جمع أعلام دول العالم الإسلامي على غلاف المجلة تحت ظلال القبة الخضراء للمسجد النبوي الشريف،وكتب عليها شعارًا مميزًا: "لا شرقية ولا غربية" بل إسلامية إسلامية." ثم خاطب فضيلته قادة العالم الإسلامي، مرحّبًا بهم من أعماق قلبه، بل قال بعبارة أدبية بليغة "إنه يرحب بهم من طرف كل ذرّة في هذه البلاد، ومن كل طائر يخفق بجناحيه، ومن كل زهرة تفوح بعطرها في البساتين، ومن كل وادٍ تتموّج فيه الجداول بالمياه العذبة، ومن كل جبل يعانق السحاب، ثم قال:

- ايها القراد العظام للإسلام وأبناءه!
- يا رؤساء بلاد الإسلامية ورعيته!
- يا رؤساء الوزراء للحكومات الإسلامية!
- يا قادة صحوة دينية وفكرية قوية!

---

(١) تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، منير الأزهري، (ص/١٢-١٣).

(٢)نفس المصدر (ص/١٤-١٣).

– ويا ممثلو المسلمين المعظمين المحترمين!

اليوم يوم عيد سعيد إذ تصحو الأمة الإسلامية مِن نوم عميق، إن هذا يوم تاريخي عظيم إذ تعتزم عزماً صميماً على الخروج مِن أعماق الذلّ إلى رقعة العزّ والافتخار وقدَّمَ فضيلته ثمانية مقترحات إلى قادة الإسلام عن بقائه بالاحترام وتطبيق النظام الإسلامي والاتحاد الحقيقي المتين بين الأمة الإسلامية ورقي الأمة وتقدُّمها في شتى المجالات"[1]، وهذا الخطاب يعكس بوضوح رؤية الشيخ العالمية الإسلامية، وحرصه الصادق على جمع كلمة الأمة تحت راية الإسلام، دون التفات إلى الحدود أو العصبيات الإقليمية أو المذهبية.

المطلب الثالث: حلّ المسائل الاقتصادية

كان لفضيلة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله باعٌ طويل في معالجة المسائل الاقتصادية، إذ قدّم اقتراحاتٍ عملية وحلولًا مدروسة للعديد من الإشكالات التي كانت تعاني منها البلاد، فقد قام بتحليل عشرات القضايا الاقتصادية المختلفة، وطرح حلولٍ ناضجة عبر مقالاته وكتاباته ومجلته، سعيًا منه لتخفيف الأعباء عن المجتمع.

ولما كان الشيخ قد تخصّص في هذا المجال ودرسه بعمق، نال شرف التعيين في"دار المال الإسلامي" بجدة، حيث خدم فيها طويلًا بكفاءة واقتدار، وكان دائمًا يعرض المشكلات الاقتصادية، ويحلل أبعادها، ثم يعلّق عليها ويقدّم الحلول المناسبة لها، وكان رفضه للفكر الاشتراكي نابعًا من يقينه التامّ بأن الاقتصاد الإسلامي نظام بديل وصالح لكل زمان ومكان، سواءً في مقابل الاشتراكية أو الرأسمالية.

وقد حرص رحمه الله على تربية الأجيال على كراهية المعاملات الربوية، ونصح الحكومات مرارًا بتركها، وكان قلمه ولسانه دائمًا مناصرَين لتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي الخالي من الربا، كما آمن فضيلته بضرورة توزيع الثروة بشكل عادل ليصل نفعها إلى الطبقات الفقيرة والمحرومة، وعلى سبيل المثال: حين قامت الحكومة بتأميم المشاريع الصناعية وارتفعت الأسعار، ووقعت فجوة كبيرة بين العمال وأصحاب المصانع، مما أدّى إلى تراجع الإنتاج واندلاع فتنٍ وصراعات أودت بالأرواح، تدخّل الشيخ ببيان الموقف، وكتب مقالات تحليليّة قدّم فيها حلولًا عملية لتفادي الخسائر وتقريب وجهات النظر.

ومن بين نصائحه القيّمة، توجيهه لوزارة المالية بعدم تخفيض سعر العملة إلى حدٍّ لا يُطاق، لما في ذلك من ضرر على الاقتصاد الوطني والمواطنين[2].

وقد استشاره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مسألة الربا، فأجاب بكل صراحة ووضوح بتحريمه تحريمًا قاطعًا، وطالب من خلال المجلس الحكومةَ بضرورة الإقلاع الفوري عن المعاملات الربوية، والانتقال إلى نظام

---

(١) مجلة الشهرية، ضياءحرم، (ص/٢٦٦).

(٢) مجلة الشهرية ضياء الحرم يناير، (ص/١٩٧٢).

المعاملات وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية، ومع ذلك، أجاز مؤقتًا التعاملات الربوية مع غير المسلمين، إلى حين استقامة الأمور وتوفر البدائل الشرعية الكاملة، كما أجاز نظام التأمين التعاوني بشرط أن تُستثمر أمواله في مشاريع حلال، وكذلك صندوق التكافل الاجتماعي بالشرط نفسه، أما الشهادات ذات الجوائز الحكومية المخصصة لإقامة المشاريع العامة النافعة، فقد أجازها أيضًا ضمن شروط واضحة، وأشاد بالصيغ الإسلامية للتمويل، وعلى رأسها: المضاربة والمشاركة، باعتبارهما بديلين شرعيين ومعتمدين لتمويل المشاريع(١).

المطلب الرابع: رفض الاشتراكية

كان فضيلة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله يكتب افتتاحية مجلّته بعنوان "سردلبراں" أي: سرّ الأحبة، وكان أول ما بدأ به دعوة كبار الكتّاب أصحاب التوجّه الوطني الإسلامي، انطلاقًا من أن هذه البلاد قد أُسست على كلمة "لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله"، وكان الهدف من تأسيسها كما صرّح بذلك مؤسسها مُحَمَّد علي جناح أن تكون ميدانًا لتطبيق أحكام الإسلام وتجربة النظام الإسلامي عمليًّا، لكن للأسف الشديد بعد وفاة المؤسس، وقعت أزمة الحكم في أيدي بعض المغامرين الذين تلقّوا تعليمهم في الغرب، وفقدوا هويّتهم الوطنية والإسلامية، فبدأوا منذ منتصف الستينيات محاولات حثيثة لتحويل مسار البلاد إلى الاشتراكية.

ولما رفض الشعب الباكستاني المؤمن تلك الدعوات الباطلة، لجأ أصحابها إلى إضافة كلمة "الإسلامية" إلى "الاشتراكية" تضليلًا للعامة، ورفعوا شعارًا براقًا" :الإسلام ديننا، والديمقراطية سياستنا، والاشتراكية معيشتنا"، مدّعين أنهم سيكفلون لكل فرد المأوى والطعام والكساء، مستغلّين بذلك مشاعر البسطاء. وفي هذه المرحلة الحرجة، واصلت مجلة ضياء الحرم ـ بفضل الله وتوفيقه ـ أداء رسالتها تحت رئاسة الشيخ رحمه الله، بقوةٍ وثبات، فدافعت عن هوية الأمة، وكشفت انحراف الاشتراكية عن الإسلام، وفضحت أخطارها، ففي وقتٍ كادت فيه عواصف الشيوعية أن تقتلع كل معالم الهوية الإسلامية من باكستان، قامت المجلة بواجبها في توضيح معالم النظام الإسلامي العادل، مستلهمةً سيرة النبي الكريم ﷺ في تأسيس أركان الحياة الرئيسة: من اقتصاد وزراعة، وسياسة وسفارة، وإدارة وغير ذلك، فقال الشيخ عليه الرحمة: "إننا اليوم أمام امتحانٍ حقيقيٍّ لِفِراسَتِنا، وعزيمتنا، وقوة إيماننا بنظرية حياتنا. فهل سنستمر في التمسك بالإسلام كنظامٍ شاملٍ للحياة؟ أم سنتنازل عنه لنركن إلى الأنظمة الوضعية؟ إن بلادَنا غنية بالموارد الطبيعية من جبالٍ وأنهارٍ وغاباتٍ ومواسمَ أربعة، فضلًا عن الثروات البشرية الهائلة. ولو أحسنَّا استغلالها بالأمانة والعدل، لأغنانا الله تعالى من فضله، ولما احتجنا إلى غيرنا، لكنّ الواقع المؤلم هو أن بعض الأُسَر قد احتكرت الصناعة والزراعة والتجارة، فغلبت على البلاد روحُ الرأسمالية، وسادت فيها القِيَم المادية الجشعة.وعليه، فعلى أهل الحلّ والعقد أن يُطهّروا البلاد أولًا من لعنة هذا الاحتكار والاستغلال، وثانيًا أن يرفضوا الإذعان للقِبلة السياسية القادمة من "الدبّ الأبيض" في

(١) جمال كرم، (٤١٦/٢) ومابعدها.

إشارة إلى النفوذ السوفييتي آنذاك، فإن الاشتراكية، كما يزعم أهلها، تؤمن بثلاثة: "كارل ماركس، ولينين، وستالين"، وترفض ثلاثة: "الإله، والدين، والملكية الفردية.

أما الإسلام: فإنه لا يرفض هذه المبادئ رفضًا مطلقًا، بل يُوازِن بينها بحقٍّ وعدل، ويضع لكلِّ أمرٍ موضعه الصحيح؛ فلا يمكننا أبدًا أن نقبل ما يُخالف ميزان الإسلام"[1].

(١) سر دلبران، مُحَمَّد كرم شاه الأزهري (ص/١٩٧٠) نوفمبر.

المبحث الثاني: مشاكل الخارجية

المشاكل الخارجية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله تُشير إلى التحديات التي واجهها في ميدان الدعوة والتعليم والسياسة والفكر الإسلامي، وكانت خارجة عن ذات الداعية أو بيئته الضيقة، وتشمل تلك التحديات الأنظمة، والتيارات الفكرية المعادية، والمؤامرات ضد الإسلام، وسائل الإعلام المنحرفة، والتدخلات الأجنبية، والتحديات العالمية التي كانت تهدّد وحدة الأمة وثقافتها وهويّتها.

المطلب الاول: المستشرقين وشبهاتهم

الاستشراق في اللغة:

١-الاستشراق مشتق من مادة (شرق) يُقال شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً أي طلعت[١].

٢-كلمة استشراق مشتق من (شرق) وكلمة شرق تعنى مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[٢].

الاستشراق اصطلاحاً:

١- إنَّ المستشرق هو باحث غربيّ غير مسلم يكتب عن الشرق الإسلامي [٣].

٢-المستشرقون مهما اختلفتِ الأقوال في تعريفهم.

هُم علماء الغرب الذين اعتَنوا بعلوم الشَّرق منها العربية والدين الإسلامي، ولهم أعمال جانبية اعرف بجديتها المسلمون.

وقيل إنَّ هؤلاء المستشرقين أرادوا سوءاً بالإسلام ما في ذلك مِن شكٍّ، وإن كانوا يتراءون النَّزاهة في البحث والموضوعية في الدراسة، ولكنهم فشلوا في إخفاء ما في باطنهم[٤].

- **تعريف الاستشراق**:الاستشراق(Orientalism) : هو اتجاهٌ فكري وعلمي نشأ في أوروبا، يهتم بدراسة لغات الشرق وأديانه وتاريخه وآدابه وثقافاته، وقد ارتبط في كثيرٍ من مراحله بالأهداف الدينية والسياسية

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٣٠٣/٢).

(٢) الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، مُحَمَّد جلاء إدريس (ص/١٢).الناشر: دار العربي للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

(٣) دراسات في الفكر الإسلامي، عبد الحميد المنعم، (ص/١٣٢). الناشر: مكتبة الزهراء القاهرة.

(٤) الإسلام والمستشرقون، تأليف نخبة من علماء المسلمين (ص/٣٤٧) الناشر: عالم المعرفة جدة المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

والاستعمارية، وإن اتخذ مظهرًا علميًّا[١].

-الاستشراق وتاريخه ونشأته:

تعريف الاستشراق وتاريخه ونشأته: عندما ظهر الإسلام بظهور صاحبه مُحَمَّد ﷺ في شبه الجزيرة العربية شعرت الثقافة اليهودية والنصرانية بهرات تكاد تهدم كيانهما ولهاتين الثقافتين تأثيرات قوية في النفوس البشرية بسبب احتفاظها بالوحي الإلهي مد العصر القديم، ومما يثير العجب أن لليهود والنصارى أثرا كبيرا في المجتمعات العربية من ناحية الاقتصاد والسياسة والاجتماع ومن هنا اشتعلت بيران عصبهم وحقدهم على المسلمين إذ شعروا بتهميشهم عن الحكومة والولاية على الناس واللتين كانتا خاضعتين لهم بكونهم وارثين من الوراثة العلمية والروحية التي كانوا ينتمون إليها لكنهم وقعوا في مجال التحريف والتأويل، ومن هذا المنظور ظلت الحروب مشتعلة بين أهل الإسلام ومتبعي الديانتين اليهودية والنصرانية، وما كان سائغًا أن يكون كذلك في واقع الأمر لأن الإسلام يؤيد هاتين الديانتين، ويسعى إلى نزاهتهما سعيا جميلا لكي يقدم أمام الناس مغزى الإسلام الذي كان محورًا أساسيا في جميع الأديان السماوية وهو الإيمان بالتوحيد والرسالة.

ومن أبرز الحقائق أن الإسلام دين علم ومعرفة يسمح بالاختلاف والنقاش والحوار في الرؤى والأفكار والجزئيات للتطوير والتحديث والمضي نحو النظم المدنية والمعرفية والنهوض إلى درجات راقية تنسجم مع الفطرة وتتوافق مع مرضات الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ومن هذا المنحى تطور المسلمون تطورا واضحا في جميع مجالات الحياة وتقدموا تقدما باهرًا لم يشهد العالم مثله من قبل في الثقافات والحضارات الفائتة، فلم يجد ول ديورانت عصاضة في الإقرار بأن المسلمين أسسوا النهضة والحداثة في أسبانيا في القرن التاسع الهجري ؛ لأن ابن فرناس العالم المسلم هو الذي اخترع النظارة وميزان الوقت والطيارة الصغيرة[٢]، وقد حقق المسلمون في ميادين العلوم والطبيعة والتكنولوجيا ابتكارات قيمة جذبت الغرب إلى تحصيلها في أقرب وقت ممكن، وخير شاهد على هذا اعتراف ول ديورانت [٣]بشأن المسيحيين الذين كانوا يدرسون الآداب العربية، والفقه، والفلسفة، وفي هذا الإطار سهلت عليهم الصعوبات والمشاكل في تلقي العلوم والثقافة حتى تخرج عديد من الطلبة الوافدين من الجامعات العربية والإسلامية، منهم

---

(١) المعجم الوسيط ، (١/ ٤٦٣) الطبعة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) Will Durant,The Age of faith,page No٢٣٣

(٣) مؤرخ وفيلسوف أمريكي، من أبرز أعلام الفكر في القرن العشرين، عُرف بموسوعته الشهيرة قصة الحضارة التي ألّفها بالاشتراك مع زوجته آريل، وتُعد من أوسع وأشهر المراجع التاريخية.

الفيلسوف الألماني البرتوس ميكنوس[١] والفيلسوف الإيطالي طوماس إيكوناس[٢] اللذان استنارا بفلسفة الفارابي والكندي وابن سينا، وفي سنة ١٤٧٣م أصدر ملك فرنسا قرارًا حكوميا بإضافة فلسفة ابن رشد في المدارس[٣]. الحقيقة أن الإسلام ليس على عداوة مع اليهودية والنصرانية، بل إنه يؤكد تأكيدا قطعيا بأنهما من عند الله تعالى، وينبغي أن يكون المسلم على إقرار برسالة الأنبياء السابقين ثم يكمل إسلامه في ضوء القرآن والسنة، ومن هنا ظهرت العداوة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى التي كانت راياتها خافقة فوق ربوع العالم، والحقيقة أن الدين يدور حول مرضاة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وقد كانت الديانة اليهودية والنصرانية قوة عظيمة بالأمس القريب، من خلال ثروة علمية فكرية يتناقلها العلماء للامتثال امتثالاً ألبسهم تاج السيادة على رؤوسهم، وعندما اتخذوا إلههم هواهم لتحقيق الأهداف الواهية سقطت منزلتهم في عين الله تعالى.

ومن هذا المنظور التاريخي كانت الحاجة الملحة إلى الاستفادة من منابع النور والإيمان التي انفجرت من الوحي الإلهي، كما فعل الإسلام بتغيير المسار الفكري من الانغلاق المادي إلى الانفتاح الروحي لإعطاء الإنسانية ما فقدته في الأديان السماوية ألا وهو الثقة في ذات الله ورسوله عليه الصلاة والسلام على الوجه الأكمل في تحقيق الأهداف الفطرية التي فطر الله الناس عليها، وبهذا الفارق الدقيق المتجذِّر في أعماق الوحي الإلهي، فقد اليهود والنصارى أهليَّة السيادة الحقيقية على العالم؛ سيادةً تشمل جميع نظم الحياة، فأخذوا يحقدون على أهل الإسلام ويكنّون لهم أشدّ الكراهية، بسبب التحوّل العظيم الذي جرى في مسار التاريخ الإنساني، والذي أهدى البشريّة نور الفكر والإيمان. هذا المنطلق تطلعت أوربا إلى نهضة المسلمين لوفرة علومهم وفنونهم، واتساع دائرة فتوحاتهم في ربوع الدنيا، وكذلك الصلات التي ربطها التجار بين الشرق والغرب[٤]، ومن هنا اطلع أهل أوربا على المصادر العلمية والفكرية في بلاد المسلمين، وصاروا يتشوقون إلى التزود منها لإشعال مصابيح العلم والفكر في حلكة الليل البهيم التي خيمت عليهم بسبب الجهل والفقر والتباعد عن الثقافة. فلما أخذ أهل أوربا كل ما يحتاجون من الثقافة الإسلامية والعربية اشتغلوا بتحقيق النهضة والحداثة من إقامة المدارس والجامعات ليقوم الشباب الأوربي بالتسلح بالعلم والأخلاق والتكنولوجيا حتى تمكنت هذه المعاهد العلمية والمؤسسات الفكرية من التأثير على قلوب الناس الذين اجتذبوا إليها بسبب الفطرة

---

(١) يُعَدّ ألبرت الكبير (Albertus Magnus)، المعروف كذلك بـ"ألبرت الكولوني (Albert of Cologne) ، من أبرز فلاسفة ولاهوتيي العصور الوسطى في أوروبا.انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ، (١٧/ ١٦١) عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م،

(٢) توما الأكويني (Thomas Aquina) فيلسوف ولاهوتي إيطالي، يُعَدّ من أبرز أعلام الفلسفة المدرسيةScholasticism في العصور الوسطى.انظر: الموسوعة الفلسفية العربية، مجمع اللغة العربية،(ص/ ١٣٤) القاهرة، ١٩٨٣م.

(٣) خيرات الإسلام لأوربا، دكتور غلام جيلاني برق، (ص/١٦٢)، الطبعة الأولى: ١٩٨٠، پاكستان.

(٤) ضياء النبي ، العلامة محمد كرم شاه الأزهري ، (٨٨/٦).

الإنسانية، وفي هذا الطور العلمي والفكري ظهر فكر السيطرة على العالم بأجمعه في أدهان الأوربيين، فأنشئوا معاهد علمية على أسس متينة تدرس فيها العلوم العربية والإسلامية لإدراك الأصول التأملية التي تتضمن السيادة على العالم عامة وعلى المسلمين خاصة، والتوصل إلى النقطة التي تسلب من أهل الإسلام روح التطور والحداثة لكي يقضوا على ريادتهم التي عمت الآفاق، وهذه هي مهمة الأوربيين التي حرضتهم على الهرطقة الاستشراقية التي تدرس أسباب نهوض المسلمين والتعرف على نقاط الضعف التي يمكن من خلالها سلب روح الإسلام من قلوبهم وتقويض بنيانه المرصوص في ديارهم لتحل محله الديانة اليهودية أو النصرانية.

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي[1].

وكلمة المستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه، لكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، ولا يعنينا هنا أن نتعرض لبحثه، كما لا يعنينا أيضًا أن نتعرض للتغيرات الجغرافية والحضارية التي طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات العربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق[2].

فالاستشراق بدأ بصدور قرار مجمع، فيبيا، الكنسي في عام ١٣١٢م بإنشاء عديد من كراسي اللغة العربية في عديد من الجامعات الأوربية، وربما كان هذا هو الاستشراق الرسمي وإلا فإن الاستشراق غير الرسمي ظهر منذ مجيء الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ومن هنا اتجه العلامة مُحَمَّد كرم شاه إلى تاريخ أطوار الاستشراق، وهذه الأطوار خمسة بالاعتبار التاريخي:

فالطور الأول يتعلق بالثقافة الإسلامية التي زينت الأراضي الأندلسية، وكان أهل الغرب يتوافدون إليها لتحصيل العلوم والفنون ليحطموا القلاع الإسلامية.

أما الطور الثاني فيشير إلى الحروب الصليبية التي دارت بين المسيحيين والمسلمين، وكان أهل الديانة المسيحية في محاولة مستمرة لإطفاء شمعة الإسلام بعد ما ذاقوا مرارة الهزيمة من الجيوش الإسلامية.

وأما الطور الثالث فيبدأ بتحديث أوربا وتطورها تطورًا شاملاً، بالإضافة إلى ذلك كان تفكير الأوربيين يتركز في الاستيلاء على بلاد المسلمين.

---

(١) الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، رودي بارت،(ص/١١) ، ترجمة إلى اللغة العربية د. مصطفى ماهر، الناشر: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٦٧م.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، حمدي زقزوق (ص/٢٤)، الناشر: دار المنار، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.

و**الطور الرابع** يتحدث عن إظهار الكراهية من قبل البلاد المحتلة ضد الاستعمار الذي كان دايه واحدا في جميع الأزمنة والدهور وهو السيطرة على الممتلكات الإسلامية باعتقاد أنه أحق بها على أساس شرف النسب في العالم.

أما الطور الخامس فيتوجه إلى الثروة المادية النفطية التي أعطاها الله تعالى للعالم العربي والإسلامي والتفتت أنظار الغرب إلى هذه الثروة الغالية من خلال المحاولات الاستشراقية، لكن العلامة مُحَمَّد كرم شاه بنظرته العميقة أضاف إلى هذه الأطوار طورًا سادسا وهو ظهور حركات النهضة الإسلامية في العصر الحديث ليتحرر المسلمون من الغرب ويتوجهوا إلى الإسلام بإخلاص النية والإيمان[١].

ومن الجدير بالذكر أن العلامة مُحَمَّد كرم شاه أشار إلى الفرق الدقيق بين تاريخ الاستشراق والإسلام موضحًا أن تاريخ الاستشراق يرفض رفضا تاما إسهامات المسلمين في نهضة أوربا، لكن التاريخ الإسلامي يقر بوضوح أن المسلمين تلقوا بعضا من الثقافة اليونانية لكون الإسلام رحبا في تلقي الأجود من الثقافات الأخرى بشرط أن تكون هذه الاستفادة نافعة للإنسانية وغير متناقضة مع الإسلام[٢].

ولا بد من الإشارة السريعة إلى الاستشراق والتبشير والاستعمار، فالاستشراق حركة علمية تهدف إلى تقطيع أوصال المسلمين، بينما التبشير يسعى إلى تغيير المسلمين دينيا وعقديا مع تشويه صورة الإسلام في أنظارهم ليكونوا كارهين لدينهم وتاريخهم وثقافتهم، ولبلوغ هذا الغرض لا بد من توفر شروط ثلاثة ؛ هي:

١ – معرفة اللغات الضرورية

٢ – دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها من بعضها الآخر.

٣– دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها [٣].

أما الاستعمار فصورة بشعة للاستشراق إذ إنه يرخي سدوله على العوالم الإسلامية بالقوة العسكرية والدبلوماسية والتجارية لاحتلالها وتغيير ثقافتها من الإسلام إلى الديانة المسيحية[٤].

وقد أومأ الدكتور مُحَمَّد البهي[٥] إلى ذلك في كتابه: (الفكر الإسلامي) الحديث وصلته بالاستعمار الغربي قائلا: "ففي عام ١٨٥٧ م تم استيلاء الإنجليز سياسيا على الهند وأصبحت الهند بذلك للتاج البريطاني رسميا بعد أن كانت

---

(١) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، الأزهري، (٦ /١٣١).

(٢) نفس المصدر، (١٨٩/٦).

(٣) نظرة الغرب إلى الإسلام في القرن الوسطي، سادرن، ترجمة د. علي فهمي خشيم و در صلاح الدين حسن، (ص/١٧) الناشر: دار مكتبة الفكر بطرابلس، ليبيا، سنة ١٩٧٥م.

(٤) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٦/ ١٧٣).

(٥) ولد سنة ١٩١١م بقرية هرية رزنة بمحافظة الشرقية، مصر، التحق بالأزهر الشريف، وحصل على الشهادة العالمية،عُيّن أستاذًا للفلسفة الإسلامية والعقيدة بكلية أصول الدين،جامعة الأزهر، انظر: الأعلام، الزركلي، (٥١/٧) بيروت.

حتى ذلك الحين واقعة تحت نفوذ شركة الهند الشرقية منذ القرن السابع عشر، وفي عام ١٨٥٧م أيضًا تم استيلاء فرنسا على الجزائر كلها بعد أن كان الفرنسيون قد بدؤوا غزوها عام ١٨٣٠م كما احتلت هولندا قبل ذلك في بداية القرن السابع عشر جزر الهند الشرقية إندونيسيا عن طريق شركة الهند الهولندية، وبعد عام ١٨٨١م تم احتلال مصر وتونس، وظل الاستعمار يقوم بتقطيع أوصال البلاد الإسلامية شيئًا فشيئا ويضمها تحت سيادته حتى استطاع في النهاية أن يطوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وبعد الحرب العالمية الأولى كان العالم الإسلامي كله تقريبا خاضعا النفوذ الاستعمار الغربي"[١].

فالاستشراق والتبشير والاستعمار وجوهٌ متعدّدة لغاية واحدة، تتمثّل في محاولات بثّ الهرطقات غير الإسلامية، وزرع بذور التفرقة بين صفوف المسلمين، مع التطلّع إلى توسيع نفوذ قوّة الاحتلال في البلاد الإسلامية وتشويه صورة الإسلام [٢]

– الاتجاهات الاستشراقية:

الاستشراق حركة تأسست منذ ظهور الإسلام، ونشأت وترعرعت في أحضان أعداء الإسلام وبلغت أشدها لتفعيل أنشطتها الخطيرة ضد القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام، وقد أسهم فيها عديد من رجال الفكر والدعوة والرهبان والقسيسين، والعسكريين والدبلوماسيين بإثارة التساؤلات والافتراءات حول القضايا الإسلامية. ولا بد من إلقاء الضوء على الاتجاهات التي تسربت إلى الحركة الاستشراقية للتعرف على النزعات المختلفة وفق طبيعة الزمان والمكان وحسب المناخ الثقافي والحضاري، وهذه الاتجاهات تنحصر في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الاتجاهات الذاتية في كتابة السيرة

أغلب الكتابات الاستشراقية في موضوع السيرة لم يدخر مؤلفوها جهدا في النيل من حياة الرسول الله وفي ادعاء الكثير من الأراجيف والافتراءات عليه، وفي تعمد إيجاد صلات مفتعلة بين دعوته وبين اليهودية والنصرانية، وتطرف عدد من المستشرقين فوصفوه بكل وقاحة ونسبوا إليه كل بدعة ورسموه في صور كاريكاتورية قبيحة ضمنوها كتبهم وحاشاه عليه الصلاة والسلام عن كل ذلك وقد غلبت هذه النزعة الذاتية على كثير مما كتبه المستشرقون عن حياة مُحَمَّد ﷺ أو نشروه عن سيرته سواء أكان ذلك دراسة أم مادة أم كتابًا في دائرة المعارف[٣].

وفي سياق الاتجاه الذاتي رفع العلامة مُحَمَّد كرم شاه نقابا عن سريرة المستشرق الفرنسي كيمون[٤]، الذي وصف

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي، مُحَمَّد البهى، (ص/٣٠)، الناشر: دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٧٣م.

(٢) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٢/٢١٧).

(٣) الاتجاهات المعاصرة في السيرة النبوية، عبد الرزاق هرماس، (ص/١٣٧).

(٤) هو المستشرق الفرنسي "هانوتو كيمون" الذي حاول أن يصوّر الدين الحنيف وكأنه عامل تخلّف، متجاهلًا ما قدّمه من إسهامات حضارية وعلمية للبشرية. وقد أصبح موقفه هذا مثالًا على النزعة العدائية في الفكر الاستشراقي الغربي تجاه الإسلام.

دعوة الإسلام بالمرض الخبيث وقال: "بإن الدين المحمدي كمرض الجذام وهو أخبث الأمراض وسرعان ما انتشر هذا المرض بين الناس، فإنه فتنة، وجنة، دفع الناس إلى الفشل والكسل وحرضهم على القتال وإدمان الخمر والأعمال الشنيعة"[١].

وهذه الرؤية الاستشراقية تتمخض عن تأملاتهم التي مارسوها خلال الأعمال الاستشراقية لنيل الأعراض المنشودة ومن هنا حرر ليفي دلافيد[٢] في دائرة المعارف الإسلامية في سياق مادة السيرة قائلاً: "إن هذه السيرة يرجع أصلها إلى التحول الذي طرأ على شخصية مُحَمَّد في ضمير المسلمين الديني، وإلى الأثر الحاسم الذي أحدثته عناصر مختلفة بعينها في التحول وإلى شئ آخر فوق هذا كله وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية ورغبتهم في أن يضعوا منشئ الإسلام في كفة هذين الدينين قد شجعهم على وضع تلك القصص التي أحاطوا بها شخص النبي والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته"، ولم يكتف بذلك بل قال: "إن السيرة النبوية نسخة مشوهة من سيرة سيدنا مُحَمَّد، وغير ذلك من الافتراءات التي تدل دلالة واضحة على التفكير الذاتي الذي نشأ عن ذهن متزمت في الديانة اليهودية، وهناك كثير من الأمثلة المكتوبة في مؤلفات المستشرقين تمتلئ بالتعصب والعناد على أساس الاتجاه الذاتي"[٣].

النوع الثاني: الاتجاهات التاريخية في كتابة السيرة:

وهذا الاتجاه عبارة عن أحداث السيرة النبوية من مولده إلى وفاته من منظور التاريخ الإنساني.

وفي هذا الإطار كانت لدى المستشرقين معايير في قبول الرواية التي تتوافق مع المقتضيات العقلية. ومن المستشرقين الذين جسدوا هذه النزعة، كلود كاهن[٤]، منتجمرى وات[٥]، فحين كتب كلود عن مُحَمَّد ضمن تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، لم يخف تبرمه وانتقاده للكتابات الاستشراقية عن السيرة حيث قال: "ولا يليق بالمؤرخ المنصف أن يعير اهتمامه للاتهامات التي صدرت عن المهاترات الطائفية القديمة ولا أن يقنع بتلك الشروح والتعليلات

---

(١) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (١٩٢/٦).

(٢) ليفي دلافيد: مستشرق فرنسي يهودي الأصل، متخصّص في الدراسات الإسلامية والعربية، وأستاذ في المدرسة العملية للدراسات العليا بباريس، له بحوث في الفكر الإسلامي والقرآن والفقه، تُعدّ من المصادر الكلاسيكية في الاستشراق الفرنسي، انظر: سير المستشرقين المراسلين للمجمع،المجمع العلمي العربي بدمشق،(ص/ ٧٣-٧٥) الطبعة: مطبعة المجمع، ١٩٥٥م.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، كاتب غير محدد (٤٤٦/١٢).

(٤) وُلد في باريس في ٢٦فبراير ١٩٠٩،تخصصه الأساسي: التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى، خاصة المصادر الإسلامية حول الحروب الصليبية، والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الإسلامي في تلك الفترة، .

(٥) ويليم مونتغومري وات : مؤرخ ومستشرق اسكتلندي بارز، أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة إدنبرة من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٩.

الصبيانية التي ترى في الرسالة الدينية نتاج مرض الصرع وربما أثارت فينا بعض جوانب حياته شيئًا من الارتباك تبعا لعقلياتنا المعاصرة فقد أكدت المهاترات على شهوات الرسول الدنيوية وألمحت إلى زوجاته التسع، لكن الثابت أن معظم هذه الصلات الزوجية قد طبعت بطابع سياسي وأنها استحقت الحصول على ولاء بعض الأشراف أو بعض الأفخاذ"[١].

وهذا الاتجاه لا يقبل مشاهد الغيب والأمور الخارقة للعادة، وإنه ينسجم انسجاما كاملاً مع أصول التاريخ الغربي.

– الاتجاهات الماركسية في كتابة السيرة:

الاتجاهات الماركسية يراد بها الأيديولوجية المادية التي غلبت على أديان الطلبة الذين انشغلوا بالدراسات العليا في الجامعات الأوروبية، والروسية، والأمريكية، ويفسرون السيرة النبوية تفسيرًا ماديا سواء أكان شيوعيًا أم رأسماليا وغير ذلك من النظم المادية التي صورها المستشرقون في سياق السيرة، بأن الرسول عليه الصلاة والسلام متشوق للسيادة على العالم بالغلبة المادية.

وفي هذا الإطار كتب الفرنسي مكسيم رودسون[٢] أشهر مستشرق ماركسي بالغرب، وأخضع السيرة النبوية للتفسير المادي فقال: " إن مُحَمَّدا لله لم تعجبه وضعية الوسط الذي يعيش فيه، وكان ينظر بعين ناقدة إلى التصورات المذهبية التي كان عليها مجتمعه، وإن التطور الذي طرأ على الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد العرب، وفي مكة خاصة، خلق العديد من المناقشات الحادة، إن التطور السابق زاد من أهمية دور المال وحطم التوازن الاجتماعي والقيم القبلية والجماعية المرتبطة به، وهذا ما جعل دين العرب القائم تقليديا على الشرك محط السؤال ؛ لأنه غير قادر على مواكبة الآمال الجديدة خصوصًا مع التصور المادي العنيف للكون عند تجار مكة، إن هذا الوضع هو الذي آثار تعاطف الناس مع دعوات التوحيد ومع الممارسات والأفكار التي نشرها في بلاد العرب اليهود والنصارى وحتى المزدكيون"[٣].

ثم يضيف رودسون وكان مُحَمَّد يتلقى مبادئ الدين في مكة بسؤال النصارى الذين كانوا قلة من الفقراء ضعيفي

---

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ،كلود كاهن، (ص/١٤)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٧٢م.

(٢) ماكسيم رودنسون: مستشرق ومؤرخ فرنسي، متخصص في الدراسات الإسلامية والاجتماعية، من أبرز مؤلفاته مُحَمَّد ﷺ والإسلام والرأسمالية، اتسمت بحوثه بالمنهج المادي والتحليل السوسيولوجي للفكر الإسلامي، انظر: موسوعة المستشرقين،عبد الرحمن بدوي (ص/٤٨٤-٤٨٦)الناشر: بيروت، دار العلم للملايين

(٣) المزدكية حركة فكرية اجتماعية ظهرت في القرن الخامس الميلادي في أواخر الدولة الساسانية في فارس، وتنسب إلى مزدك بن بامدادان، أثّرت المزدكية في الحركات الاجتماعية اللاحقة في الإسلام، مثل الخرمية والقرامطة، من حيث فكرة المساواة والعدالة الاجتماعية. انظر: Maxime Rodinson, Encyclopedia Corpus ٨٨٧١

المعرفة، كما كان يسأل اليهود الذين كانوا أكثر عددا وكانت لهم في المنطقة مراكز جمعت بين الثراء والقوة وحسن التنظيم مع توفر على عدد من الأخبار وكان مُحَمَّد يتلقى عنهم تعاليم التوراة[١].

ومن اللافت للنظر أن بعض المستشرقين كتبوا عن الإسلام في بيئته الأصلية، وأدركوا حقيقة الإسلام بأنه من عند الله تعالى نزل على مُحَمَّد ﷺ، ومن هنا نشأت فرقتان من الحركة الاستشراقية، إحداهما أقرت بتعاليم الإسلام بشكل واضح ولم يدخل نور الإيمان في قلوبهم، ثانيهما قلدوا رقابهم قلادة الإسلام وراحوا يديعون الإسلام بصدق المقال والأفعال في أنحاء العالم. فالفرقة الأولى تتعلق بهؤلاء المستشرقين الذين حققوا في مجال العلم والفكر بشأن الرسول عليه الصلاة والسلام، والدين الذي نزل عليه ومنهم ريتشرد سيمون[٢](Richard (simon) ومائيكل هارت[٣](Michael H Hart) وكثير منهم أدرج في هذه القائمة، والجدير بالذكر أن هؤلاء خلطوا حقائق إسلامية بأخرى مزيفة في السيرة النبوية كما يقول مائيكل هارت: "إن مُحَمَّدا أثر تأثيرا واضحا في التاريخ الإنسانى وتأثر بشخصيته الدهماء في المجال الديني والدنيوي، والحق أنه يذكر بشخصية مؤثرة وحيدة في العالم الإنساني من منظور التاريخ" [٤].

وكان مائيكل هارت يظهر ما يخفى في صدره تجاه الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا: قد ألف مُحَمَّد الله القرآن وهو جمع من افتراضاته وتخيلاته[٥].

أما الفرقة الثانية قلبوا دعوة الإسلام بعدما جربوا الشريعة السمحاء بعقولهم كما كان دأبهم شريطة عدم الانحياز إلى التعصب والتزمت وفي هذا الإطار يكون سائغا ذكر بعض أسماء السعداء الذين رجعوا إلى فطرتهم التي ولدوا عليها وهي الإسلام، ومنهم العلامة مُحَمَّد أسد، وعبد الله بن عبد الله، ومريم جملية وغير ذلك من المحققين الذين عرفوا الإسلام بتفكير عميق بأنه مذهب سماوي ليس فيه تحريف ولا تأويل.

القضية الأولى: القرآن كلام بشر استفاد منه النبي

---

(١) Maxime Rodinson, Encyclopedia Corpus ٨٨٧.

(٢) وُلد في Dieppe فرنسا سنة ١٦٣٨م، وتوفي سنة ١٧١٢م. كان كاهنًا كاثوليكيًا من جماعة *Oratorians*، عدّ من أوائل من وضعوا أسس النقد الكتابي (Biblical criticism) في الدراسات الغربية.

(٣) ولد في نيويورك سنة ١٩٣٢م، وتوفي في ٢٠٢٢م، تخصّصه الأساسي: فيزياء وفلك، لكنه اشتهر بكتاباته التاريخية.

(٤) Michael. Hart, A Ranking of the most influential Acrrons in history, printed New York, ١٩٧٨, pg no ٤٠.

(٥) Michael. Hart, A Ranking of the most influential Acrrons in history, printed New York, ١٩٧٨, pg no ٤٠.

إن القرآن مصدر أساسي من مصادر التشريع الإسلامي، والمسلمون يعتمدون عليه منذ أنزله الله تعالى على نبيه الخاتم ويأخذون منه أصول حياتهم ومناهج حداثتهم حتى تمكنوا من قيادة العالم في فترة من فترات التاريخ.

ومن اللافت للانتباه أن العلوم والمعارف العربية والإسلامية انتقلت من البلاد العربية إلى البلاد الأوربية وأوحت إليهم روحا من التطور والنهضة كما استفاد المسلمون منها بعد ما أخضعوا أنفسهم لتعاليم القرآن فصار الأوربيون تهمهم النهضة المادية ليتمتعوا بالعيش الآمن في ظل السعادة والسلام ويتولوا قيادة العالم من طرق العلم ؛ لأن الحروب الصليبية المتتالية أنهكتهم وقد جربوا المسلمين في ميادين الحرب والقتال وقدروا شجاعتهم وبسالتهم، ولذلك قرروا الهجوم بالحملات العلمية والفكرية كالمنافقين الذين لا يظهرون ما يخفون في صدورهم بل يهاجمون المسلمين عندما ينتهزون الفرصة.

ومن الجدير بالذكر أن المستشرقين يعرفون معرفة تامة زوال سيادتهم على العالم، والسبب في ذلك عدم توافر النصوص المقدسة في التوراة والإنجيل اللذين نزلا على موسى وعيسى عليهما الصلاة والتسليم، وقد دخل فيهما تدنيس وتشويه، وبالتالي أصبح هذان الكتابان بعيدين عن روح الوحي الإلهي ومن هنا يمكن أن تقول إن نظام أوربا يوفر نهضة اقتصادية ولم يوف المتطلبات الروحية، ومقابل ذلك كان القرآن يخلو تماما من التحريف والتأويل ونقل إلى المسلمين نقلا متواترا لفظا ومعنى من عهد رسول الله إلى عصرنا هذا، لكن المستشرقين شككوا في نزول القرآن من عند الله تعالى وادعوا أنه كلام بشر استفادمنه النبي هذه الانتقادات التي طرحت على القرآن من هذه الناحية يمكن فهمها في النقاط الآتية:

١- أن القرآن كلام بشر أو تعلمه النبي الله من علماء اليهود والنصارى.

٢- افتراء الرسول ﷺ قرآنا من عند نفسه لكونه أفصح العرب.

٣- ليس في القرآن شيء جديد مقابل التوراة والإنجيل.

النقطة الأولى: تتعلق بأن القرآن كلام البشر الذي أفاده الرسول عليه الصلاة والسلام سواء أكان هذا البشر من العبيد أم كان من علماء اليهود والنصارى كما أكد هذا الافتراض ويليام مونتغمري وات[١] بقوله: "ومن الممكن أن مُحَمَّدا لقي اليهود والنصارى، وجرى الحوار بينه وبينهم في تعريف ديانتهم ؛ لأن هؤلاء كانوا من العرب، أو كانوا قاطنين قرب حدود الشام، وكان البعض من العبيد المسيحيين استقروا في اليمن ويتجرون في معرض سوق عكاظ: مع القبائل العربية، وهذه المناسبات تؤكد أن محمدًا تلقى تعاليم القرآن منهم كما ثبت لقاؤه مع ابن عم خديجة، ورقة بن

(١)ويليام مونتغمري وات :مستشرق ومؤرخ بريطاني، أستاذ الفكر الإسلامي في جامعة إدنبرة، من أبرز من كتبوا عن السيرة النبوية في العصر الحديث بأسلوب معتدل، من مؤلفاته مُحَمَّد في مكة ومُحَمَّد في المدينة والفكر الإسلامي في مرحلته التكوينية.

نوفل، ومن هنا أشار أعداء مُحَمَّد إلى علاقاته مع اليهود والنصارى، وهذه العلاقات يمكن أن تكون مصادر الوحي الذي بينه مُحَمَّد أمام الناس"[١].

وقد رد العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله على هذا التشكك بأن البشر الذين كانوا يعلمون النبي عليه الصلاة والسلام، لم يكونوا معروفين بين الناس بهذه الصفة، ولو كانوا كذلك لذكره المؤرخون والمحدثون القدامى في مؤلفاتهم، بل كان هناك رجل أعجمي رومي الأصل، حداد لا يكتب ولا يقرأ ؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ نَشَرٌ لِسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عربي مبين﴾[٢].

وهذه الآية تشير إلى أن ما يقوله كفار مكة: إنه لا يعلم مُحَمَّدا هذا القرآن إلا رجل من البشر تعرفه هو شاب رومي وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول، هو قول باطل ؛ لأن الشاب الذي يقولون عنه إنه يعلمه هذا التعليم، أعجمي لا يحسن العربية، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة إلى حد أنكم عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها فكيف يصح بعد ذلك اتهامكم، والغريب في ذلك قولهم إن مُحَمَّدا، تعلم من الراهب بحيرى، عندما كان مع عمه أبي طالب في طريق الشام للأعراض التجارية على حد قولهم وسمع أبو طالب كلام الراهب الذي أجراه مع مُحَمَّد الله، وليس هناك شيء يثبت تعلمه من هذا الراهب، وكذلك لقاؤه مع ورقة بن نوفل بعد نزول الوحي لا يدعم موقفهم ؛ لأن السيدة خديجه حضرت هناك واستمعت إلى حوار دار بين ورقة بن نوفل ومُحَمَّد، وكانت لقاءاته عديدة مع علماء اليهود والنصارى في كثير من الأحيان بعد نزول الوحي، وهذا الأمر ينفي نفيا مؤكدًا أنه عليه الصلاة والسلام استقى من علومهم لأن الوحي ينزل عليه حسب الوقائع والظروف؛ ولذلك تلمس الكفار شخصا تتحقق فيه صفتان، إحداهما علم الكتب السماوية وثانيهما كونه من العجم ليثبتوا فيه صفة الأستاذية للرسول، فإنهم وجدوا رجلاً روميا حدادا اسمه بلعام، واختلقوا على الرسول عليه الصلاة والسلام أنه أخذ الكثير من تعاليم الكتب السماوية منه، ولكننا نعرف هذه الحقيقة بشأن الحداد الرومي الذي لا يجيد اللغة العربية وكان منهمكا في مطرقته وسندانه[٣]وأنه كان عامي الفؤاد لا يعلم الكتب إلا أماني، أعجمي اللسان لا تعدو قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها مُحَمَّد ولا أحد من قومه، لكن ذلك كله لم يكن ليحول بينه وبين لقب الأستاذية الذي منحوه إياه على رغم أنف الحاسدين[٤].

فالعجمة والحدادة تتوفران في بلعام، وتحددان ملامح شخصيته في مكة المكرمة، وكيف يمكن صدور التعليمات السماوية في اللغة العربية الفصيحة منه.

---

(١) W, Montgomery watt, Muhammad Prophet and trots man, Printed London, Page No١٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣

(٣) البناء العظيم، عبد الله دراز، (ص٦٤) الناشر: دار القلم كويت، سنة ١٩٩٣م.

(٤) نفس المرجع السابق، (ص/٦٥).

وأما النقطة الثانية: فتتحدث عن صياغة القرآن من وحي ضمير مُحَمَّد ﷺ، وبهذا الصدد يسوع نقل عبارة "وات" بشأن القرآن الذي افتراه مُحَمَّد ﷺ ليتولى سيادة الشعوب والقبائل العربية وهو يقول: "القرآن كلام الله كما فهمه المسلمون في اعتقاداتهم التي أخذوها من مُحَمَّد الله وهو يفهمه هكذا، ويضاف إلى ذلك أن مُحَمَّدا يملك شعورًا متميزا يستطيع به التمييز بين الوحي الإلهي ووحي ضميره، وأحيانا يكون الإنسان على الطريق الصواب بإخلاصه العميق في زعمه لكنه في الحقيقة على طريق الغواية والضلال، وكذلك يرى الإنسان بشأن الأفكار التي تبعت من عند نفسه توحي إليه من الخارج"[(١)].

انتقد العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله هذا الافتراض المزيف بقوله "إن علماء اليهود والنصارى بلغوا رتبا علية في العلم والحكمة، ولم يقدروا على مواجهة الرسول عليه الصلاة والسلام في تكذيب الآيات التي نزلت عليه، كما حضر وفد من نجران من علماء النصارى إلى المدينة المنورة للحوار الديني، لكنهم فشلوا فيما حاولوا ضد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لأنهم شاهدوا آثار الوحي هناك، ولم يتجرأوا على ما أردوا، وكذلك علماء اليهود الذين يعرفون التوراة ويسكنون في يشرب منذ مئات السنين، لم يكن بوسعهم مخالفة الوحي الذي نزل من عند الله تعالى"[(٢)]ينبغي فحصُ مجموعِ النصوص الإخبارية في القرآن الكريم بتمعّنٍ ودقّةٍ ومنهجيةٍ فهمٍ علميّة، لبيان كيفية تناول النبي ﷺ لما يتجاوز حدود الحِسّ والعقل من أنباءٍ عن الماضي والمستقبل والواقع الحاضر. فكلّما تناول القرآن حادثةً تاريخيةً، دَعَمتْها شواهدُ التاريخ، وكلّما تنبّأ بوقائعٍ مستقبليةٍ أتَتْها الأيامُ والليالي، وكلّما تحدّث عن أمور الغيب المتعلقة بالله وملائكته أكّدتها دلائلُ الأنبياء والكتب السابقة[(٣)].

ومن هذا المنطلق، فإنَّ الادِّعاء بأنَّ محمّدًا ﷺ تكلَّم من تلقاءِ نفسه، متأثّرًا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في الجزيرة العربية، ادّعاءٌ باطلٌ ومحال، وقد اعترف الشاعرُ الألماني غوته (Goethe) بفصاحة القرآن الكريم وبلاغته، بعد أن أمعن النظر فيه ودَرَسَه باللغة الألمانية، فانبهر بجماله الأدبي وإعجازه البياني المستمدّ من الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[(٤)]﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مونَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

---

(١) .W, Montgomery watt, Muhammad Prophet and trots man, Printed London, Page No ١٨.

(٢) ضياء النبي العلامة مُحَمَّد كرم شاه، (٣٧٧/٦).

(٣) النبأ العظيم، عبد الله دراز، (ص/٥٣).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١]﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَآمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَيةَ والانجيل وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وهذه الآيات قد أَلَقَتْ في قلب جوته روعةً قرآنيةً، وأوقعته في حيرةٍ بما تضمنته من حقائق كونية، فدَفَعَته إلى أن يُحنِيَ رأسه اعترافًا بأن القرآن من عند الله تعالى[٣] وكذلك اعتراف المستشرق هنري دي كاستري بشأن القرآن بأنه كلام الله بقوله: "إن القرآن يغلب على الأفكار والقلوب وأنه من أمارات صدق مُحَمَّد وأنه نزل عليه من عند الله تعالى"[٤].

وبالرغم من امتداح بعض المستشرقين للقرآن الكريم واعترافهم بأنه كلام الله، فإن البعض الآخر منهم أصر على إنكاره وجحوده، وهذا عناد ومكابرة وقصور في الفهم والذكاء وفي إدراك المشاعر المرهفة التي لا بد من وجودها أثناء قراءة القرآن الكريم ؛ لأن أصحاب الفطرة السليمة يؤمنون به إيمانا صادقا يؤدي بهم إلى رؤية شفافة للكون ووقوف على حقائق العالم، وهذا الإعجاز إيذان عام بأن القرآن كلام الله وليس للخلق دخل في صياغته.

وأما النقطة الثالثة: فتتعلق بالادعاء بأنه ليس في القرآن شيء جديد مقابل التوارة والإنجيل كما يقول جارج سيل: "أنا على يقين كامل بأن القرآن ليس فيه شيء جديد بل يرجع كل ما فيه إلى المصادر القديمة"[٥].

وهذه الإثارة تؤكد أن القرآن مأخوذ من التوراة والإنجيل وليس فيه وحي من عند الله تعالى، وقد فندها العلامة مُحَمَّد كرم شاه بقوله "إن الإسلام في جميع الأزمنة والدهور واحد، ولا يتعير بتقلبات العصور والحوادث، بل كان صامدا أمام القوى الباطلة وهذا الإسلام قد ظهر في الكتب السماوية السابقة والقرآن أيضًا.

ومن هذا المنظور يجب على المسلم الإقرار بالكتب المقدسة والرسل السابقين، وهذا الإقرار ركن من أركان الإيمان، وانطلاقا من هذا يمكن انتقاد اليهود والنصارى إن وافقت تعليمات الإنجيل كتاب اليهود، لزم من ذلك أن الإنجيل ليس وحيا إلهيا وإنما سرق من التوراة، فأين دعواهم في ما يتعلق بالإنجيل المنزل من الله تعالى على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ؟ وهذا الانتقاد يقرر أيضًا أن اليهود اختلقوا التوراة من عند أنفسهم، وبذلك يظهر أن القرآن نزل من عند الله تعالى على عبده المنيب مُحَمَّد مهيمنا على الكتب السماوية السابقة[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤

(٢) سورة المائدة: الآية: ٦٥-٦٦

(٣) المستشرقون والإسلام لزكريا هاشم زكريا، (ص/١٨١): القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٤) نفس المرجع السابق، (ص/٦٥) (٢) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٢٧٧/٧)

(٥) George Sale, Holy Quran, Page No, ٤٩.

(٦) ضياء النبي ، العلامة مُحَمَّد كرم شاه، (٦/ ٣٨٦).

القضية الثانية: قضية الغرانيق العلى:

هذه القضية من القضايا التي تجرأ بها المستشرقون على القرآن وعلى الرسول ﷺ، مدعين بأنه خلط أقواله بالقرآن الكريم تبعا لما أجرى الشيطان على لسانه، وهذه القضية تتناقض مع أسس التوحيد والقرآن والسنة، ولقد أخذ المستشرقون هذه الفكرة من حديث ابن عباس الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه أنه قال: « إن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[(١)].

وقد ضم المشركون أجزاء هذه القضية مع رجوع مهاجري الحبشة بعد ما تلقوا خبر اعتناق أهل مكة دين الإسلام ؛ لأن المسلمين في الحبشه كانوا يعيشون أيام الهجرة، وعندما هدأت الأوضاع في مكة وانتهى النزاع بين الرسول و أهل مكةكما زعموا قرروا العودة إلى الوطن الأم حيث الكعبة المكرمة ليطوفوا بها آناء الليل وأطراف النهار وتقر أعينهم بما في الصدور، وتفصيل قصة الغرانيق كما يلي: أن الرسول صلى الله قرأ سورة النجم وتلا الآيات (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس وفي رواية ابن أبي حاتم فلما رفع، أي الرسول رأسه حملوه فاشتدوا به بين قطري مكة يقولون نبي بني عبد مناف[(٢)]، فأحزنه هذا الأمر كما ينبعي أن يكون للأنبياء والرسل في مثل هذه القضايا ؛ لأن هذا يحرم أساس التوحيد الذي هو لب رسالة الأنبياء والرسل.

وانطلاقا من هاتين الروايتين فإن كفار مكة فرحوا فرحا شديدًا لأنهم كانوا يريدون أن يكف الرسول عليه الصلاة والسلام عن عبادة الواحد الأحد بينما حزن الرسول على ما أجرى الشيطان على لسانه، ثم نزلت الآيتان ليتسلى بهما الرسول عليه الصلاة والسلام، الآية الأولى وردت في سورة بني إسرائيل: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ، وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[(٣)]

والآية الثانية تتعلق بسورة الحج وهي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍ إِلَّا إِذَا تَمَنَى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فَيَسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ وَآيَاتِهِ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[(٤)].

ونقل هذه القضية في كتابه وأثبت آية "الغرانيق العلى" آية قرآنية مؤكدا افتراضه بقوله ومن المسلمات أن الرسول ﷺ تلا الآيات القرآنية التي تتعلق بشفاعة و الغرانيق العلى، وهذه الآيات تأتى بعد تلك الآيات: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللتَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، رقم الحديث: (٤٨٦٢)، وقال الألباني: إسناده صحيح بمجموع طرقه، انظر: السلسلة الصحيحة (٦/٤٠٢) رقم: ٢٦٥٥.

(٢) الدر المنثور، علامة جلال الدين السيوطي، (٤/٣٦٨).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٣-٧٥

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٢

وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[1].تلك العرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ثم نزلت آيات أخرى ناسخة لها وهي ما يلي: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾[2].

وقد تصدّى العلّامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله لهذه القضيّة، فكشف القناع الزائف الذي ألقاه المستشرقون حولها، وردّ على كلّ جزءٍ من أجزاء هذه الشبهة المفتراة التي تهدف إلى إثارة الشكّ في القرآن الكريم من حيث حجيّته وثبوته وروايته المتواترة إلى يومنا هذا. إذ زعم بعضهم أنَّ هذه الآيات كانت موجودة في القرآن الكريم ثمّ نُسخت، ولأجل بيان الحقّ في هذا الصدد نقسّم هذه القضيّة إلى المحاور التالية، تسهيلًا لفهمها وإدراكها في مسارها الصحيح.

المحور الأول: هل يمكن للشيطان إغواء مُحَمَّد ؟

يقول الشيخ: "إنه لا يمكن للشيطان الهيمنة والسيطرة على الرسول، فلو كان كذلك لم يعد الإسلام موضع ثقة بين الأديان الأخرى ؟ لأن الدين تابع للوحي الإلهي الذي يهبط على نبي أو رسول" ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[3].

وقد أكد الشيخ عليه الرحمة بهذه الآية أنه ليس للشيطان مقدرة على إغواء العباد المخلصين لتوكلهم على ربهم وكفى به ناصرا يستمدون منه العون للخلاص منه فما بالنا بالرسول عليه الصلاة السلام ؟.

المحور الثاني: ما مكانة هذه القضية في مرآة التاريخ ؟

يشير الشيخ إلى تحليل هذه القضية في مرآة التاريخ ؛ لأن التاريخ يحدد الملامح والمواقع ليتأكد ثبوتها أو نفيها، وآيات سورة النجم نزلت في عام المعراج بمناسبة تكريم الرسول عليه الصلاة والسلام بالصعود إلى السماء في حالة اليقظة حسب رأي جمهور المفسرين وإن اختلف البعض منهم في تاريخ النزول بسبب رجوع مهاجري الحبشة إلى مكة المكرمة في عام ٥ بعد البعثة أو بفضل رؤية رسول الله لربه أو جبريل عند سدرة المنتهى، فالآيات من سورة بني إسرائيل والحج نزلت تعليمًا للنبي الخاتم الي وهي مدنية وبالتالي فلا حجة للمستشرقين على مُحَمَّد الله لأن هذا الأمر لا يسوغه منطق ولا يقبله عقل بأن يكون الله تعالى أثبت رسوله على خطئه في التوحيد الذاتي قرابة سبع سنوات، وكذا جعلوا هذه القضية بسبب رجوع مهاجري الحبشة إلى مكة المكرمة بسماع أخبار قبول أهل مكة الإسلام ورجوع المهاجرين إلى مكة المكرمة عام ٥ بعد البعثة طبقا لكتب السيرة النبوية، وآيات سورة النجم نزلت في عام المعراج

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٠- ١٩

(٢) سورة النجم، الآية: ١٩ ٢٣.انظر: Watt, Muhammad Propnet and Statesman Pg: No ٦٠

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٥

وبالتالي فإن أجزاء هذه القضية مفككة لا صلة بينها أصلا من ناحية التاريخ، ومنها استنتج العلامة مُحَمَّد كرم شاه أن هذه الإضافة مؤامرة استشراقية لهدم أسس التوحيد وربط الإسلام بالتثليث والمسيحية والأديان الأخرى.

المحور الثالث: هل تتوافق هذه القضية مع النقل والعقل ؟

يخبرنا الشيخ عن الدليل النقلي والعقلي لنفي هذه القصية، والتفصيل في ذلك أن عبد الله بن عباس روى هذا الحديث ثم رواه الكثيرون عنه، وأن ابن عباس كان عمره ثلاث سنوات وقت الهجرة وكان نزول آيات سورة النجم في عام ٥ بعد البعثة، هذا إذا ما سلمنا بنزولها بسبب رجوع مهاجري الحبشة إلى مكة المكرمة، والحقيقة أن هؤلاء المهاجرين عادوا إليها بسبب قبول عمر ابن الخطاب الله دين الإسلام، أو أن ملك الحبشة كان يرعي المسلمين رعاية كاملة في بلاده وكان في نواياه جذوة مشتعلة إلى الإسلام فصارت الأمواج السياسية في الحبشة و ضد المسلمين، أو أن عمرو بن العاص بعد ما فشل في إعادة المسلمين إلى مكة نشر أخبار اعتناق أهل مكة الإسلام وهذه أسباب رئيسية لرجوعهم إلى بكة، فثبت نزول آيات سورة النجم في عام المعراج، فلا يمكن لابن عباس وعيها وضبطها ضبطاً كاملاً، لأنه كان ابن ثلاث سنوات، ومن هنا استخلص صاحب الضياء أن الوضاعين اختلقوا هذا الحديث وكثروا الأسانيد له، هذا وقد ضعف ابن حجر العسقلاني هذا الحديث وأكد انقطاعه وإرساله لكن الأسانيد المتعددة تشير إلى أصله[١] ؛ ولذلك قال الإمام البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال القاضي عياض: "إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواة ثقة بسند سليم متصل وانما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون والمولعون بكل غريب ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق فيها ضعيفة واهية"[٢].

وقد أبدى الإمام أبو منصور الماتُريدي رأيه في هذه القصة فقال :إن قولهم: "تلك الغرانيق العُلى" إنما هو من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة، ليُلقيَ الشكَّ في قلوب الضعفاء وأرقّاء الدِّين، حتى يرتابوا في صِحَّة الدين، والرسالةُ بريئةٌ من مثل هذه الرواية."[٣].

ومن اللافت للانتباه أن العقل لا يقبل هذه الرواية ؛ لأن من شروط قبول الرواية عدم التناقض مع الكتاب والأحاديث الصحيحة، وانطلاقا من هذا يرفض هذا الحديث الذي يتعلق بشفاعة الغرانيق العلى.

المحور الرابع: ما الشروط التي تجب لصحة المتن لقبول الحديث الشريف ؟

---

(١) انظر:شرح صحيح مسلم، علامة علام رسول سعيدي، (١٥٨/٢) الناشر: فريد بک سٹال لاهور پاكستان، الطبعة الأولى: ١٠، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) نفس المرجع السابق، (ص/١٥٨)

(٣) انظر:شرح صحيح مسلم، علامة علام رسول سعيدي، (٣١٦/٢) الناشر: فريد بک سٹال لاهور پاكستان، الطبعة الأولى: ١٠، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م

فينطوي على اضطراب المتن الذي طرأ على الحديث والذي هو في الحقيقة سبب الضعف والوضع لأن الاضطراب في المتن يثبت وضع الحديث بوجود كثرة الأسانيد [١]

المحور الخامس: ما موقف العلماء تجاه هذه القضية ؟

ويتحدث عن المواقف التي اتخذها العلماء تجاه هذه القضية، وفي طليعة هؤلاء الأستاذ مُحَمَّد إبراهيم عرجون، حيث قال"إنها أقصوصة مختلقة باطلة في أصلها وموضوعها، وأكذوبة خبيثة في جذورها وأغصانها، وفرية متزندقة اخترعها "غُرنوق" أبله جهول، أو شيخ حاقد على الإسلام، زنديق أو منافق فاجر عربيد، ألقاها إليه شيطان عابث مريد" [٢].

ويقول الإمام مُحَمَّد عبده: "العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يريد خرمها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل"[٣].

والإمام فخر الدين الرازي والإمام أبو عبد الله القرطبي والإمام النسفي يجمعون على أن هذا الحديث لا أصل له وإن ذكره بعض المفسرين في مؤلفاتهم في معرض خبر الواحد، ومن الأمور البديهية أن خبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية[٤].

واختتم العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله حديثه عن هذه القضية بقوله: "لدينا أصول في معرفة الأسانيد والمتون ولذلك نميز الصحيح من السقيم لكن الغربيين يتمعنون في المتون فقط وليس لهم قوانين في معرفة الأسانيد، ومن هذا المنظور فإن العرب لا يستطيع التعرف على الصدق الصارم والدقة البالغة، بينما الإسلام يعطينا أصول رواية ودراية في التوصل إلى الأمور المختلفة أو المختلفة والفرق بينها، وهذا من مميزات العلوم الإسلامية يشرق بها جبين الإسلام لترويج النظام العادل في جميع شعب الحياة، ومن هذا المنطلق فإن هذا الحديث لا يوافق مقتضيات أصول الرواية والدراية فلا تقبله"[٥].

الافتراءات حول السيرة النبوية:

إن الافتراءات التي تثار حول السيرة النبوية عديدة، منها إصابته بالصرع، والطعن في نسبه، والقدح في أخلاقه وطموحاته عليه الصلاة والسلام في اكتساب الثروة المادية، وتعدد زيجاته، وانتشار دعوته بالسيف، وغير ذلك من التحقيقات الاستشراقية أو التغريبية الموجهة إلى شخصية النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الدر المنثور، إمام جلال الدين سيوطي، (٤/٤٦٧).

(٢) مُحَمَّد رسول الله، حمد صادق إبراهيم عرجون، (٢/٣٠)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٨٥م.

(٣) نفس المرجع السابق، (٢/١١٥).

(٤) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٣/٦٣٣).

(٥) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٦/٦٣٤).

وقد أمعن صاحب الضياء النظرَ في هذه القضايا، متتبعًا أفكارَ الطاعنين في السيرة النبوية الشريفة، ومحلِّلًا توجهاتهم المنحرفة التي كانت تقوم على أهواءٍ ماديةٍ وعقليةٍ شكَّلت إحدى ركائز المذهب العقلاني، وإن زعموا انتماءهم إلى الديانات السماوية المقدسة، وقد ردَّ صاحب الضياء على شبهاتهم ردودًا علميةً رصينةً منسجمةً مع المنهجَيْن العقلي والنقلي.

ولست هنا بصدد تناول جميع الأباطيل التي أُثيرت حول السيرة النبوية، ولكنني سأحاول الوقوف عند قضيةٍ من أبرز القضايا التي تناولها المستشرقون، وهي شبهة انتشار الإسلام بالسيف، وما تفرع عنها من إلصاق تهمة التطرف بشخصية الرسول ﷺ، وهي من القضايا المعاصرة التي طُرحت في إطار ما يُعرف بـ "صدام الحضارات". فقد زعم هؤلاء أن الإسلام انتشر بالقوة، ويُجيّز العنف في نشر دعوته، وأنه دينُ تطرّفٍ وإرهابٍ، لا يعرف الوسطية والاعتدال؛ وهو زعمٌ باطلٌ نابعٌ من سوء نيتهم وجهلهم بحقيقة الإسلام وروحه السمحة.

وقد تناول العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله هذه القضيةَ بعمقٍ وتحليلٍ علميٍّ متين، وخاض غمارها بأسلوبٍ حكيمٍ معتدلٍ، يعكس سَمْت الإسلام وروحه المتوازنة، ساعيًا إلى تنقية الصورة الإسلامية من الشوائب التي علِقت بها بسبب دعاوى المستشرقين. وفي هذا السياق، أشار إلى آراء عددٍ من المستشرقين الذين اتهموا الإسلام بالتزمت والتعنت، وزعموا أن المسلمين يُكرهون الناس على اعتناق الإسلام بالسيف والقهر، ومن هؤلاء جورج سيل (George Sale) [1] الذي كان من أبرز من رددوا هذه الشبهة.: " كان النبي ﷺ في مكة المكرمة يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، متحملًا الأذى والصبر على ما يلقاه هو وأصحابه من قريش؛ لأن المرحلة المكية كانت مرحلةَ تأسيسٍ للدعوة وغرسٍ للعقيدة، ولم يُؤذن له حينئذٍ بالقتال. فلما هاجر إلى المدينة المنورة، وأصبح للمسلمين كيانٌ مستقلٌ، أذن الله تعالى لهم بالقتال دفاعًا عن أنفسهم وردًّا لعدوان المعتدين، كما قال سبحانه:
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2] فكان الجهاد في الإسلام وسيلةً لحماية الدين وردِّ الظلم والعدوان، لا وسيلةَ اعتداءٍ أو قهرٍ للناس على الدخول في الإسلام. ولم يكن القتال غايته فرض الدين بالسيف، بل إقرار العدل، وإزالة الطغيان الذي يحول بين الناس وبين سماع كلمة الحق"[3]، كما تطرف المستشرق مونتغمري وات في تفسيره لغزوات النبي ﷺ، إذ اعتبرها أعمالًا إرهابية، مع أنها كانت في حقيقتها دفاعًا مشروعًا عن النفس والدين،

---

(١) جورج سيل () (George Sale١٦٩٧–١٧٣٦م): مستشرق إنجليزي، من أوائل من ترجموا القرآن الكريم إلى الإنجليزية ترجمةً كاملة، نشرها سنة ١٧٣٤م مع مقدمةٍ نقدية مطوّلة. ورغم تحيّزه الديني، تُعدّ ترجمته من أوائل الجهود الاستشراقية في دراسة الإسلام، انظر: Sale, George. The Koran: Commonly called the Alcoran of Mohammed. London: ١٧٣٤

(٢) سورة الحج،الآية:٣٩

(٣) Gorge Sale The Koran,Pg No ٣٨.

ووصفها بأنها أشبه بأعمال قطاع الطرق، غايتها جمع الغنائم دون تحمُّل المخاطر. وهذا الرأي إنما ينبع من سوء فهمٍ لطبيعة الجهاد في الإسلام، وجهلٍ بسياق الغزوات النبوية التي جاءت لردِّ العدوان، وحماية حرية الدعوة، وإقرار الأمن والعدل في المجتمع [١].

وكذلك تطلع على أفكار تارند راي الذي قال إن الغزوات وسيلة من وسائل المعاش للمسلمين، وأكد وجهة نظره بقوله: "اختار الرسول ﷺ وسيلة من وسائل المعاش وهي المقاتلة واختطاف الأمتعة من القوافل التجارية التي تروح وتغدو إلى الشام في طريق المدينة المنورة"[٢].

وهذه اتهامات بالتطرف والإرهاب موجهة إلى شخصية النبي عليه الصلاة والسلام الذي نشر الإسلام بين الناس وقد عالج العلامة مُحَمَّد كرم شاه هذا الأمر معالجة طيبة في النقاط التالية:

النقطة الأولى: هل يسوغ استخدام السلاح دفاعا عن النفس ؟ النقطة الثانية: ما موقف الأديان السابقة في شأن استخدام السلاح في سبيل انتشار الدعوة ؟

النقطة الثالثة: انتشار الإسلام بالسماحة والرحمة دون الغلظة والشدة. وتنطوي النقطة الأولى على استخدام السلاح دفاعًا عن النفس عندما يهجم العدو على الإنسان وينتهك حرمته وعرضه ويسلب ماله، وهذا الأمر أحق بالتقدير، وكان المسلمون يعيشون في مكة المكرمة يتحملون المشاكل والمخاطر في سبيل الإسلام، وليس لهم حق في التجارة والاقتصاد، كان الناس ينظرون إليهم بعين التحقير والدلة، وفوق ذلك كان صناديد مكة يؤدون المسلمين في مستهل مرحلة الدعوة الإسلامية، واستمر هذا الأمر هكذا حتى دخل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب في الاسلام، وكان لهما صيت في الشجاعة والبسالة، فاستأذنا من الرسول عليه الصلاة والسلام في محاربة الكفار، فلم يأذن لهما الرسول عليه الصلاة والسلام بل أوصى المسلمين بالانتظار إلى أن يأمرهم الله تعالى في هذا الأمر المهم بحكم قاطع، وبعد هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة لم تبرد صدور الكفار على ما آدوهم في مكة المكرمة فخرجوا لقتالهم في أرض المدينة لكيلا يبقى أحد من المسلمين ومن الجدير بالذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد عقد عهد التعايش السلمي مع يهود المدينة، وتصالحوا على أن يدافعوا عن النفس معا لمطاردة الأعداء الذين يتوجهون إلى المدينة المنورة للقتال، وفي أثناء ذلك هجم الكفار على المسلمين في عام ٢ من الهجرة لاقتلاع جذورهم من الأراضي العربية، فأنزل الله تعالى آية الجهاد: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرُ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّهَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبَيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

---

(١) Watt, Muhammad at Mecca, Pg No ٢٣١.

(٢) Tarnd Ray, Muhammad the Man, and his Faith, Pg No ١٤٠.

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[١].

وعندئذ أذن الله بالجهاد في هذا السياق للمسلمين وأن يدافعوا عن النفس والعرض والمال والأولاد وحتى الأفكار التي اختاروها، وكان ذلك بعد خمس عشرة سنة من البعثة النبوية لم يتوقف خلالها الكفار عن إنزال شدائدهم على المسلمين[٢] لأنهم يقولون الحقَّ ولا يرضون الباطل، كأنَّ هذا ذنبُهم في سبيلِ نشر الإسلامِ وإقامةِ العدلِ والمساواةِ والحريةِ والسَّماحةِ والأُخُوّةِ، وفي سبيلِ تعزيزِ روحِ المحبّةِ والاحترامِ المتبادلِ بين الناسِ وتحقيقِ الوسطيةِ والاعتدال. وقد وجّه بعضُ المستشرقين سهامَ النقدِ والطعنِ إلى شخصيةِ الرسول ﷺ، مدَّعينَ أنهُ ظَلَمَ أهلَ المدينةِ بإخراجِ البعضِ من بيوتهِم وقتلِ آخرين؛ بينما الحقيقةُ أن أهلَ المدينةِ خالفوا العهودَ التي عاهدوا النبيَّ ﷺ عليها في بعضِ الحالات، فكيف بمن خالفَ عَهدهُ يَسيرُ في مرآةِ التاريخِ الإنساني؟ أَيُّ قانونٍ أو دستورٍ يجيزُ خرقَ العهدِ مع الآخرين؟ إنّ العقلَ السليمَ يَقْطعُ بأنَّ مخالفةَ العهدِ جرمٌ لا يُغتفرُ في كثيرٍ من الشرائعِ والقِيَمِ، ومن هذا المنطلقِ أذنَ الإسلامُ بالقتالِ دفاعًا عن النفسِ ولإحلالِ الأمنِ والسلامِ[٣].

وأمّا النقطةُ الثانيةُ فتتناول موقفَ الأديانِ السماويةِ من استخدامِ السلاحِ في نشر الدعوة والدفاع عنها؛ فالإسلامُ ليسَ الدينَ الوحيدَ الذي أذِنَ لأتباعهِ بالقتالِ عندَ وقوعِ الاعتداءِ عليهم من قِبَل أعدائِهم، بل إنَّ الأديانَ السماويةَ السابقةَ كذلكَ شَرعتِ القتالَ دفاعًا عن النفسِ وردًّا للظلمِ والعدوان، وقد أشارتِ الديانةُ المسيحيةُ أيضًا إلى هذا المفهوم في سياقٍ رمزيٍّ يُعبّر عن الصراعِ بين الحقِّ والباطل، إذ جاء في الإنجيلِ على لسانِ المسيحِ عليه السلام قوله: "لا تظنّوا أني جئتُ لألقي سلامًا على الأرض، ما جئتُ لألقي سلامًا بل سيفًا، فإني جئتُ لأجعل الإنسانَ على خلافٍ مع أبيه، والبنتَ مع أمها، والكنَّةَ مع حماتها، وهكذا يصير أعداءُ الإنسانِ أهلَ بيته"[٤].

ومثلُ هذا المعنى نجدهُ أيضًا في التوراة، حيثُ وردَ أنَّ اللهَ تعالى أمرَ نبيَّه موسى عليه السلام بخوضِ حربٍ ضدَّ الأقوامِ الذين عبدوا غيرَ الله، تطهيرًا للأرضِ من مظاهرِ الوثنيةِ والفساد. فقد جاء فيها، "وكلمَ الربُّ موسى في عرباتِ موآب على أُردنِ أريحا قائلًا: كَلِّم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرونَ الأُردنَ إلى أرضِ كنعان، فتطردونَ جميعَ سكانِ الأرضِ من أمامكم، وتمحونَ كلَّ تصاويرِهم، وتُبيدونَ كلَّ أصنامِهم المسبوكة، وتهدمونَ جميعَ مرتفعاتِهم"[٥].

ومثلُ هذه الآيات نجِدُها كثيرًا في الكتبِ المقدَّسةِ التي تُعلِّمُ الإنسانيّةَ محاربةَ من يعبدون غيرَ اللهِ، وتحثُّ على

---

(١) سورة الحج الآية: ٣٩-٤٠

(٢) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٥٥٧/٧).

(٣) إنجيل متى، الإصحاح العاشر، الآية: ٣٣ -٤٤،ترجمة فاندايك، دار الكتاب المقدس، بيروت.

(٤) ضياء النبي، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٥٦٨/٧)وكذلك انظر: إنجيل متّى، الإصحاح ١٠، الآيتان ٣٤–٣٦، العهد الجديد، ترجمة فاندايك، دار الكتاب المقدس، بيروت.

(٥)سفر العدد، الإصحاح الثالث والثلاثون الآية: ٥١،٥٠، ترجمة فاندايك، دار الكتاب المقدس، بيروت.

مقاومةِ الشركِ والظلمِ حتى تستقرَّ عبادةُ اللهِ الواحد. غير أنَّ أتباعَ هذهِ الدياناتِ وقعوا في أحيانٍ كثيرةٍ في العدوانِ والاعتداءِ على الضعفاءِ الساعين إلى السِّلمِ والعيشِ الآمن، فأذلّوهم وقهرُوهُم حتى استردّ الله عز وجل قوّتهم المادّية والروحية، فأصبحوا قادرين على دفعِ الظلمِ عن أنفسهم. حينها اعتُبِرَ رفعُ السلاحِ من قِبَلِهم دفاعًا عن النفسِ تطرفًا وإرهابًا لدىَ بعضِ النُّقاد، لأنهم استعملوه للتصدّي للظلم.

ومن هنا قدَّم الإسلامُ مؤطَّرًا فلسفيًّا وأخلاقيًّا للجهادِ واستعمالِ السّلاحِ وضَّحه القرآنُ والسُّنةُ بحيث يُقنِنُ القتالَ ويجعله وسيلةً مشروعةً دفاعًا عن النفس وردًّا للعدوان، لا وسيلةً للغَيّ والإكراه على الدين. أولًا نأخذُ نصوصًا قرآنيةً تُقرُّ مشروعيةَ القتالِ في الضوابطِ والظروفِ المبيَّنةِ في الشرعِ:: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المعْتَدِيْنَ﴾[1] ﴿وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2].

فالآية الأولى تؤكد قتالاً مع الذين يعتدون عليهم، لعدم إفشاء الظلم والعدوان في المجتمعات البشرية، بينما الآية الثانية توضح أنه في حالة جنوح المشركين والكفار إلى عقد الصلح معكم فلا تبعة عليكم في أن تتصالحوا معهم في جميع الأحوال، وكذلك تتلقف إشارات واضحة بشأن الحرب مع الكفار عندما اضطر المسلمون إلى هذه الواقعة الحربية كرد فعل في الأحاديث الشريفة، كما قال النبي ﷺ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»[3] وهكذا كان الرسول الله يهتم اهتماما بالغا بشأن توضيح السلبيات التي تطرأ على المقاتلين أثناء الحرب.

وهذه هي الخصائص الإسلامية التي تميز بها الإسلام من بين المذاهب الأخرى في تحقيق الأهداف السامية لتنتفع بها الإنسانية وبقيت النكتة الثالثة، وهي التي تنوه بانتشار الإسلام في إطار السماحة والرحمة دون الغلظة والشدة كما جاء في سورة البقرة، بشان عدم إكراه الناس على الإسلام ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[4]ومن هنا أبدى الإمام أبو زهرة رأيه في ذيوع الإسلام بالمحبة قائلاً: "ولم يثبت أن النبي أكره أحدًا على الدين بل ثبت أنه أراد بعض الأنصار أن يكره ولده على الإسلام فنهاه النبي عن ذلك"[5].

وفي مرآة التاريخ الإنساني الذي يؤكد تأكيدا واضحاً أن الإسلام دخل في القلوب كما تشهد استقرار الإسلام في السواحل الإفريقية وقارتها، وإندونيسيا، والصين، بالمحبة والمودة دون استخدام السلاح من السيف وغير ذلك من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠

(٢) سورة الأنفال، الآية:٦١

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، حديث رقم :١٧٣١ (١٣٥٧/٢)، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦

(٥) خاتم النبيين، إمام أبو زهرة، (٥٨٣/٢)، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر عام النشر: ١٤٢٥ هـ.

الآلات التي تكره الناس على قبول الإسلام[١].

وفي هذا الإطار اعترف توماس كارلايل[٢]،بأنَّ الإسلام قد انتشر بالمحبّة لا بالسيف، وهو ما أكَّده الشيخُ ـ عليه رحمة الله ـ في قوله: "وقد يُثار أنَّ محمدًا ﷺ بلَّغ الإسلام بالسيف، وأنَّ انتشار الدين بالسيف يتطلّب منّا وقفةً تأمليّةً للقيام بتحليلٍ دقيق بشأن الرجل الذي يقدِّم فكرته في استهلال دعوته بالسيف" فنقول: إنّ الرجل الواحد لا يستطيع أن يُكره الناس على قبول فكرته بأيّ وسيلة من وسائل الشدّة أو الغِلظة، بل بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأنّ التاريخ الإنساني خيرُ شاهدٍ على أنّ الخير يَفرض نفسه بطبيعته. ومن هنا، فإنّ الديانة المسيحية قد انتشرت في بداياتها بالسماحة والرّحابة، لكن عندما قويت هذه الديانة وامتلكت قوّةً ماديةً وثروةً هائلةً، استُخدمت أحيانًا وسائلُ التشدّد في الدعوة والإرشاد، كما فعل شارلمان[٣]،حين قام بتنصير القبائل السكسونية بالسيف" [٤].

علاقة المستشرقين بالقرآن:

وقفَ الاستشراق منَ القرآن الكريم موقف الخصومة، والانكار وهذا طبيعيّ بالنسبة للاستشراق المسيحي والغربي، وبالنسبة للاستشراق اليهودي، ذلك أن القرآن وقف من التوراة والإنجيل الموجودين في أيدي الناس موقفاً واضحاً هو أنَّهما مما كتبَ البشر، وليس مما نزل مِن عند الله، كذلك فإنَّ القرآن هو الذي قدم تلك الحقائق المغايرة لما جاءت به التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار، والإنجيل بأيدي الرهبان [٥].

موقف الشيخ محمَّد كرم شاه من المستشرقين والرد على شبهاتهم:

إنَّ موضوع الاستشراق والمستشرقين ليس غريباً لدى الأوساط العلمية والدينية في أي بلد مسلم، فقد استدعى انتباه علماء الإسلام منذ أن وجِد في الشرق الإسلامي.

الشبهة الأولى والرد عليها: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾[٦]. قال الشيخ في شرح هذه الآية يزعُم بعض المستشرقين أن المسلمين كانوا مفسدين دخلوا المدن والقرى بالسيف وحاربوا أهلها حتى أسلم الناس، وهكذا انتشر الإسلام بالسيف ودخل الناس فيه بالجبر والإكراه.

---

(١) ضياء النبي، علامة محمَّد كرم شاه، (٥٨١/٧).

(٢) المؤلف والمفكر الاسكتلندي توماس كارلايل هو مؤرخ وفيلسوف إنجليزي بارز،وُلد في ٤ ديسمبر ١٧٩٥ في إكلفيكان، دمرفريشاير، اسكتلندا. يُعرف بلقب "حكيم تشيلسي"، وكان له تأثير كبير على الفكر والفن خلال العصر الفيكتوري.

(٣) المعروف أيضًا باسم شارل الكبير بالألمانية Karl der Große

(٤) Thomos Carlile, Herose and Hero Worship, P No ٣٩٥.

(٥) المرجع السابق: (ص/١٩٩).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٦

فردَّ الشيخ محمَّد كرم شاه عليها: ردَّ الشيخ على هذا القول وقال: "إنَّ أقوال المستشرقين لا يغير تاريخ الإسلام وآيات القرآن، لأنَّ نفس الآية يردّ على أقوالهم قال تعالى في نفس الآية وهو كُره لكم يعني فرض الله على المسلمين جهاد وهم لا يُحبُّون الجدل وإذا كانوا مفسدين كيف لا يحبون الجدل والحرب"[(١)].

الشبهة الثانية والرد عليها:

قوله تعالى:﴿ آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[(٢)] قال المؤلِّف"إنَّ موقف الاستشراق من القرآن الكريم هو ذاته موقفه من الإسلام، موقفُ خصومةٍ وإنكار؛ إذ يذهب المستشرقون إلى القول بأنَّ النبيَّ ﷺ استقى مادةَ القرآن، ولا سيَّما القصص، من الأحبار والرهبان الذين كان يلقاهم أو يتصل بهم في مكة، غير أنَّ هذه الشُّبهات سرعان ما تتبدَّد عند المقارنة بين روايات التوراة والإنجيل ورواية القرآن الكريم لقصص الأنبياء، حيث يظهر الفارقُ الكبير وعمقُ الاختلاف، كما في قصة يوسف عليه السلام، التي جاءت في القرآن الكريم أوسعَ مضمونًا وأعمقَ دلالة، مما يُبيّن الفارقَ بين البيان الربانيّ والقصص البشري"[(٣)].

الشبهة الثالثة والرد عليها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ﴾[(٤)] قال بعض المستشرقين " إنَّ النبيَّ ﷺ أبصر زينبَ قائمةً، وكانت بيضاءَ جميلةً، فهويها، وقال: "سبحان الله مقلب القلوب"، فسمعت زينبُ تسبيحَه فذكرتْه لزيدٍ، إلى آخر الرواية، وهكذا زعموا أنَّ زيدًا طلَّق زينبَ، ثم تزوَّجها النبيُّ ﷺ، وقد ردَّ المؤلف على هذه الرواية قائلًا: أما ما رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ هوِيَ زينبَ امرأةَ زيدٍ، وربما أطلق بعض الجهلة لفظَ

---

(١) ضياء القرآن (١/ ١٤٧).

وأيضا ردّ على هذا القول محمود محمَّد الطنطاوي، حيث قال: فقد قال المستشرقون: "إن الإسلام انتشر بالسيف، وهذه فِرية باطلة ونحن إذا أردنا أن نردّ على هذه الشبهة، فينبغي أن نرجع إلى الوراء وننظر إلى مبدأ الدعوة، وكيف انتشرت؟ وهل هي فعلاً انتشرت بالسيف أم لا؟ والقرآن الكريم فيه قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ وَقَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) والدخول في الإسلام بالسَّيف إكراه يتنافَ ويتعارض مع الآية القرآنية، ولو كان الإسلام ينتشر بالسيف كما يقول المستشرقون ما وجدنا في بلاد المسلمين مسيحياً أو يهودياً، لكن الأمر على خلاف ذلك يعيشون في أمنٍ وأمان على ذلك، فلا تخلو بلاد المسلمين مِن غير المسلمين عقيدتهم وعلى كنائسهم وبيعهم، وعلى أنفسِهم وأعراضهم وأموالهم، انظر: الإسلام والمستشرقون ص: ٢٨٩-٢٩٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١-٣

(٣) ضياء القرآن، (٢/ ٤٠٥)

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٣٧

العِشق، فإنما يصدر ذلك عن جاهلٍ بعصمة النبيّ ﷺ عن مثل هذا، أو عن مستخفٍّ بحرمته"[1].

الشبهة الرابعة والرد عليها:

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِيْ آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾[2] قال المؤلف"يعترض المستشرقون على تعدُّد زوجات النبيّ ﷺ، بقصد النَّيل من شخصيَّته الشريفة، والتشكيك في رسالته الخالدة، وتصويره على أنَّه كان ميَّالًا إلى إشباع الرغبة الجِنسية، والحقيقة أنَّ النبيَّ ﷺ لم يُعَدِّد زوجاته إلا بعد بلوغه سنَّ الأربعين، وكانت لذلك مقاصدُ سامية تتعلَّق بالدعوة ونشرها، أمّا في الفترة الأولى من عمره الشريف، فقد اقتصر على زوجٍ واحدة، هي السيدة خديجة رضي الله عنها"[3].

المطلب الثاني: الرد على الفرقة المنحرفة

إنَّ معركة الحق والباطل مستمِرَّة منَ الأزل إلى الأبد، وما أن توُفي رسول الله ﷺ حتى ظهرت فتنة الارتداد، وقمعَها سيّدُنا أبو بكر رضي الله عنه بعَزمِه وحزمِه، واستمرَّت المؤامرات ضدَّ الإسلام على مدار التاريخ وظهرت فرق ضالَّة مُضِلَّة في كلّ زمان ومكان، وكذلك كان الوضع في شبه القارة الهندية لعجميَّتهم واختلاف أحوالهم في هذه البلاد؛ والردّ على الفرق المنحرفة من أعظم واجبات أهل العلم والدعوة، وقد اعتنى به العلماء قديمًا وحديثًا، ومنهم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله الذي كان له دور واضح وجريء في التصدي للانحرافات العقدية والفكرية التي أصابت بعض الفرق والطوائف. وإليك تلخيصًا لأبرز ملامح هذا الرد:

-القاديانية:

فتنة إنكار السنّة والرَّدَّ عليها كانت من القضايا الكبرى التي تصدّى لها العلماء الصالحون، وعلى رأسهم الشيخ الجليل مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله. كما أنَّ الاستعمار الإنجليزي قد غرس بذر القاديانية بهدف إضعاف قوّة الحبّ النبويّ في قلوب المسلمين، فظهر مرزا غلام أحمد، الذي ادّعى في البداية أنَّه المسيح الموعود، ثمّ ارتقى بادّعائه إلى مقام ظلّ النبوّة، ولا يزال الأحمديون يعتقدون فيه ذلك إلى يومنا هذا.

وقد قام فضيلة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري بالرَّدّ المسكت عليهم في مؤلفاته كافة، سواء في تفسير القرآن الكريم، أو في السيرة النبوية، أو في السنّة النبوية، فضلًا عن مجلّته الشهرية ضياء الحرم ومقالاته القيّمة.

وقد أشار فضيلته في خاتمة بحثه عن قرب القيامة ونزول المسيح عليه السلام إلى الحديث الشريف الذي ذكره قبل ذلك، فقال: "إنَّ هذا الحديث من تلك الأحاديث النبوية الكثيرة التي تذكر ولادة المسيح وصفاته وإنجازاته، فأنصفوا

---

(١) تفسير ضياء القرآن، (٤/ ٦٤).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٠

(٣) تفسير ضياء القرآن: (٤/٨٣-٨٤).

القول، هل يوجد في مرزا أيّ شيء من هذه الصفات؟ وإن لم يكن ـ وهو كذلك حقًّا ـ فكيف يكون غلام أحمد هو المسيح الموعود"[١].

وبعد بحثه المدعوم بالأدلَّة حول عقيدة ختم النبوَّة، قال الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله: "لقد كان مرزا غلام أحمد طفيليًّا على الحكومة الإنجليزية طيلة حياته، يعيش على عطاياهم، وقد ترعرع في ظلِّ صدقاتهم، وكتب القصائد في مدحهم وثنائهم على نشاطهم ضدَّ الإسلام، فكان بعيدًا كلَّ البعد عن أن يجعل العالم دارَ السلام أو أن يُبطل الجزية كما زعم. ولم يشأ ربُّ المصطفى ﷺ أن تكون قاديان جزءًا من دولة باكستان، فمن اعتقد فيه أنه المسيح الموعود، فيا للأسف"[٢].

وكان مرزا غلام أحمد يَدَّعي أنَّ العالم بأسره سيصبح دارَ السلام، وأنَّ الجزية ستُرفع نهائيًّا، غير أنَّ الواقع أثبت خلاف ذلك، وفي عام ١٩٧٧م رفع القاديانيون شكوى إلى منظمة الأمم المتحدة زعموا فيها أنهم يتعرَّضون للاضطهاد من قِبَل الحكومة الباكستانية، فانتُدِب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله لتمثيل الموقف الرسمي والردِّ عليهم، وقد قام الشيخ بهذه المهمّة خيرَ قيام، إذ قدَّم بيانًا علميًّا رصينًا أوضح فيه الأسس الشرعية التي بموجبها يُعدُّ القاديانيون من غير المسلمين، فأقنع المؤسسة الدولية بصحّة موقف الحكومة الباكستانية، وأكّد أنَّ القضية ليست سياسية بل عقدية. ثمّ جاء قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة مؤيّدًا لهذا الموقف، مُقرِّرًا أنَّ القاديانية فرقةٌ مرتدّة عن الإسلام، توثيقًا لما اختاره علماء باكستان في حينه.

فكر آخر: ظهر في العصر الحديث فكرٌ منحرف يدَّعي أصحابه الاكتفاء بالعقل لفهم القرآن الكريم دون الرجوع إلى السنّة أو مناهج العلماء، فزعم بعضهم أنَّ عقولهم قادرة على تفسير الوحي، ومن أبرز هؤلاء السير سيّد أحمد خان، الذي ذهب إلى أنَّ الكوارث والآفات السماوية ما هي إلاّ ظواهر طبيعيّة، وليست عقوبةً على ذنوب الأمم البائدة كما ورد في النصوص الشرعية[٣].

ومعلوم أنَّ القرآن الكريم قد بيَّن مفاسد الأمم السابقة وأسباب هلاكها بيانًا واضحًا، فجعل ذلك سنّةً إلهية جارية في الخلق، تُظهِر عاقبة العصيان ومخالفة أمر الله تعالى، وقد تصدَّى مولانا ضياء الأمة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله لفكرة السير سيّد أحمد خان التي زعمت أنَّ تلك العقوبات السماوية ظواهر طبيعية لا علاقة لها بذنوب الأقوام، فقال في معرض ردِّه عليه:«إنَّ السيد لو أراد ردَّ بعض شبه المستشرقين فقد فتح أبوابَ الشبهات الكثيرة، إذ يلزم من قوله أنَّ الرسل عليهم السلام إنما يختارون ما يعود بالنفع لأنفسهم، ولا علاقة لعذاب الأقوام

---

(١) تفسير ضياء القرآن، (١ /٤١٩).

(٢) نفس المصدر: (٧٧/٣)

(٣) مقالات السيرسيد (١٣٠/١٤)

بأعمالهم السيئة، فلو صدَّقناه في زعمه هذا فما الفرق إذًا بين نبيٍّ صادقٍ ومشعوذٍ سياسيٍّ [1]كما ردَّ فضيلته رحمه الله على شبهاته الأخرى التي أثارها حول قصة المعراج ومعجزات النبي ﷺ، مبيّنًا أنَّ إنكار المعجزات بدعوى مخالفتها للعقل ليس من البحث العلمي في شيء، بل هو طعنٌ في أصول الإيمان التي أجمع عليها المسلمون[2].

كما زعم السير سيّد أحمد خان أنَّ تصوير الجنة والنار في القرآن الكريم إنما هو تصويرٌ تمثيليٌّ مجازيّ لا حقيقة له في الواقع، فقام فضيلة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله بتفنيد هذا الزعم، مبيّنًا أنَّ ذلك مخالفٌ لصريح النصوص القطعية، وأنَّ الإيمان بالغيب وبما ورد في القرآن من أوصاف الجنة والنار أصلٌ من أصول العقيدة الإسلامية، وكان فضيلته سنّيَّ العقيدة حنفيَّ المذهب، يُظهِر ذلك في كل موضع من تفسيره الضياء اللامع من التفسير الجامع، حيث يُثبِت عقيدة أهل السنّة والجماعة في مقابل ما يروِّجه أهل البدع أو المتأثرون بالمناهج الغربية، فيُدافع عن الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب، ويردّ على من حرّفوا النصوص بدعوى التأويل العقلي، كما تناول فضيلته ردَّ عقيدة الروافض في كبار الصحابة ﷺ، فقال مؤكِّدًا مكانتهم العظيمة في الإسلام:"فمَن ابتُلي بسوء الظنّ بأصحاب رسول الله ﷺ فليتفكّر في قول الله تعالى:﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[3]، وليقرأ أحاديث النبي ﷺ في الثناء على صحابته الكرام"[4]

كما ردَّ فضيلة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله على المعتزلة والخوارج في إنكارهم رؤية الباري سبحانه وتعالى يوم القيامة، فبيَّن بوضوح أنَّ هذا الاعتقاد مخالف لصريح القرآن الكريم ولسنة النبي ﷺ وإجماع الأمة قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[5] إنَّ هذه الآية نصٌّ قاطع في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، وهي من أعظم النِّعَم التي يُكرم الله بها عباده المؤمنين، وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بذلك، منها قوله ﷺ:«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ،لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا »[6] وأوضح أخطاء الفهم في مسئلة حقيقة المسيح عليه السلام[7]

فجاءت مساعية الجميلة بأثمار طيبة مباركة إذ استقامت عقيدة الشباب المسلمين من أهل السنة والجماعة بأنهم على الحق بإذن الله تعالى.

---

(١) ضياء القرآن، (٢/٣٧٦-٣٧٥).

(٢) ضياء القرآن، (٢/٣٤٢٠).

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩

(٤) ضياء القرآن، (٤/ ٥٧٢) .

(٥) سورة القيامة،الآية: ٢٢-٢٣

(٦) ضياء القرآن، (٥ /٤٣٥).

(٧)ضياء القرآن، (١/ ٤٢٥ وما بعدها).

المطلب الثالث: الرد على فتنة الإنكار لحجية السنة:

كتب الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله كتابًا في الدفاع عن السنّة النبويّة الشريفة بعنوان: " سنّة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام".

فقد ظهرت في العصر الحديث فِتَنٌ متعددة تستهدف الإسلام، ومن أبرزها فتنة "إنكار السنّة" التي أثارها بعض المتجدّدين في النصف الثاني من القرن الماضي، حيث سَعَوا إلى زرع الشكوك في قلوب الشباب، مدّعين أن العمل بالسنّة كان محصورًا في زمن النبوّة، وأنه يكفي الآن الاعتماد على القرآن فقط – بحسب تفسيراتهم المنحرفة.–

وقد استعملوا في هذه الهجمة أربع وسائل رئيسة:

١. محاولة إثبات التعارض بين القرآن والسنّة، بزعم أن وجود الاختلاف بينهما يقتضي الاكتفاء بأحدهما، والأولى بزعمهم العمل بالقرآن وترك السنّة.

٢. القياس على القوانين الوضعية، مدّعين أن أقوال النبي ﷺ جاءت وفق مناسبات وزمان معيّن، فهي أشبه بالقوانين المؤقتة، وبالتالي في زعمهم لا تصلح لكل زمان، ويجعلون من النبوة والرسالة ما يشبه البرلمان، والنبي كأنه رئيس أعلى له.

٣. الطعن في صحّة الأحاديث النبويّة، زاعمين أن معظم الأحاديث موضوعة، مُحيين بذلك شبهة قديمة فنّدها المحدّثون الأوائل.

٤. التشكيك في المحدثين، واتهامهم بتحريف القرآن عمليًا، ونسبة ما لم يصدر عن رسول الله ﷺ إليه، وهو افتراء على أولئك العلماء الربانيين الذين خدموا السنّة النبويّة بإخلاص[١].

وقد تصدّى الشيخ مُحَمَّدكرم شاه عليه الرحمة لهذه الفتنة بكتابٍ علميٍّ "سنّة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام" وهو في الأصل مجموعة ردوده على جماعة "البرويزية" اللاهورية، التي كان زعيمها ينشر مقالات دوريّة في مجلّة "طلوعِ اسلام تحت عنوان "إلى ابني سليم" يشكّك فيها في حجّية السنّة بأسلوب أدبي جذّاب.

وكان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله يرد عليه في مجلته "ضياء الحرم "بمقالٍ بعنوان" إلى عمّ سليمٍ" ، ثم جمع هذه الردود وأضاف إليها ما أفاده لاحقًا في دراسته بالأزهر الشريف، ليُخرج في النهاية هذا الكتاب القيم مقسّمًا إلى أربعة أبواب.

الباب الأول:

في الأدلة من القرآن والسنّة على أنه لا فرق بين طاعة الله ورسوله، وأن القرآن لا يُفهم إلا بالسنّة، وذلك في أمثلة كثيرة كأحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها، إذ وردت مجملة في القرآن، وبيّنتها السنّة بالتفصيل.

---

(١) سنة خير الأنام، الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري (ص/٢٣١)، الناشر: طبع دار ضياء القرآن، لاهور.

الباب الثاني:

في بيان أن النبي ﷺ هو المعيَّن من الله تعالى لبيان القرآن، وليس غيره، كما تناول موضوع تدوين الحديث والردّ على الشبهات المثارة حوله.

الباب الثالث:

في بيان مكانة السنّة التشريعية، وشرح مصطلحات علم الحديث، ولذلك اختارت الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد هذا الكتاب مرجعًا من مراجع تدريس علم الحديث.

الباب الرابع:

في مناقشة اعتراضات المنكرين، وبيان بطلانها، وخصوصًا اعتراضهم على حدّ الرجم، وأحكام الميراث، وغيرها من القضايا.

وقد كان لهذا الكتاب أثر كبير، وكان من أسباب تعيين الشيخ في المحكمة الشرعية الفيدرالية، ثم في محكمة الاستئناف العليا بباكستان، نظرًا لكفاءته العلمية في هذا الباب ودفاعه المتين عن السنّة النبويّة الشريفة.

الباب الثالث:

الجوانب التربوية ومبادئها وأساليبها وأهم مبادئها عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري:

وهو يشتمل على تمهيد وثلاثة فصول

الفصل الأول: مفاهيم التربوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

الفصل الثاني: أساليب التربية ومؤسساتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الثالث: الرؤية التربية المتكاملة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري

الفصل الأول:
مفاهيم التربوية عند الشيخ محمد كرم شاه

وهو يحتوي على ثلثة مباحث

المبحث الأول: التربية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

المبحث الثاني: منهجه في التربية والإصلاح

المبحث الثالث: المنهج الصوفي للتربية

المبحث الأول: التربية عند الشيخ محمد كرم شاه

تحتل التربية مكانةً مركزية في فكر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، إذ كان يرى أنها الأساس في بناء الإنسان والمجتمع. فقد جمع في منهجه التربوي بين صفاء الروح وعمق العلم، وركّز على تهذيب النفس وتزكية القلب إلى جانب تنمية العقل والمعرفة، وتقوم التربية عنده على التوازن بين الجانب الروحي والعقلي والخلقي، لتنشئة المسلم المتكامل الذي يعبُد الله بوعيٍ ويخدم الإنسانية بإخلاص.

المطلب الأول: التربية لغة واصطلاحا

أ–التربية لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن لفظ التربية يعود إلى ثلاثة أصول لغوية هي :رَبا – يربو، و رَبِيَ – يَربى، و رَبَّ – يَرُبُّ.

١. **الأصل الأول:** (رَبا–يربو) ومعناه: نما وزاد، جاء في لسان العرب : رَبا الشيءُ يَربو رَبْوًا ورِباءً: زاد ونما"، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يربُوا عِندَ الله﴾[١]، وفي حديث الصدقة: وتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل [٢]. وورد في الصحاح: (ربا الشيء يربو ربوا: أي زاد، والرابية الربو، وهو ما ارتفع من الأرض) [٣].

٢. **الأصل الثاني: (رَبِيَ – يَربى)** ويعني: نشأ وترعرع. جاء في القاموس المحيط:" رَبِيَ الصبيُّ يَربى رُبُوًّا: نشأ وكبر"، وهذا الأصل يشير إلى معنى النمو التدريجي للإنسان منذ طفولته حتى اكتمال شخصيته.

٣. **الأصل الثالث: (رَبَّ – يَرُبُّ)** ومعناه: أصلح ووليَ أمره وقام على شأنه. قال ابن فارس في مقاييس اللغة : "الراء والباء والحرف المعتل أصل واحد يدل على إصلاح الشيء والقيام عليه". ومنه جاءت تسمية الله تعالى بـ **الرَّب**، أي المالك والمربي والمدبّر لشؤون خلقه، وقد جاء في كلام الأصمعي :ربوتُ في بني فلان أربو رُبُوًّا: نشأتُ فيهم، وربَّيتُ فلانًا أربيه تربيةً، وتربيته وربيته في معنى واحد [٤].

وهذا الاستعمال يوضح أن التربية تشمل معنى النشأة في بيئة معينة، والرعاية المباشرة لشخصٍ أو جماعة وورد في الصحاح (رب الضيعة، أي أصلحها وأتمها، ورَبَّ فلان ولده يربه رباً وربيه وتربيه، أي رباه [٥]. وورد في

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٧

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١٤ ٣٠٤- ١٣٧٥).

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (١/ ٢٣٤٩) الناشر: دارالحديث القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ-٢٠٠٩م.

(٤) الصحاح، أبو نصر اسماعيل الجوهري، (٦/ ٢٣٥٠).

(٥) نفس المصدر (١/ ١٣٠).

تاج العروس) رَبّ ولده، والصبي يَرُبُّه رَبَّاً (رباه) أي أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك، أي فارق الطفولية كان ابنه أو لم يكن)[١].

ب – المفهوم الاصطلاحي للتربية:

أ – الإمام الغزالي رحمه الله تعالى حيث قال: "الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له، وقد قال الله على: ﴿ يَاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[٢]. ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه من نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من القرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره"[٣].

ب – ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى حيث قال: "ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج والاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره، ولهذا تجد أغلب الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها، ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً، فإنه إن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له"[٤].

ج – الدكتور مقداد يالجن[٥]، وهو أستاذ مشارك بقسم التربية الإسلامية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية في الرياض حيث قال: " التربية الإسلامية هي إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام "[٦].

المطلب الثاني: مفهوم التربية عندالشيخ مُحَمَّد كرم شاه:

"معنى التربية هو إعداد أولئك الأشخاص الناجحين الذين وُصِفت الأمة بسببهم بأنها "خيرُ أمة"، والذين أُنيطت

---

(١) تاج العروس، زبيدي، (٢٦١/١) الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الطبعة: ١٤٢٢ هـ٢٠٠١م.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦

(٣) أحياء العلوم الدين، للغزالي، (ص/٧٢)، الناشر: دارأحياء الكتب العربية بجامعة القاهرة.

(٤) الفكرالتربوي عند ابن القيم، حسن بن علي الحجاجي، (ص/١٦٨ – ١٧١) الطبعة: ١٤٠٣هـ.

(٥) (Mikdad Yalçın :هو مفكر تربوي إسلامي وأستاذ جامعي تركي، وُلد عام ١٩٣٧ في قرية بنيجة يايلادغي هتاي بمحافظة أنطاكية في تركيا، وتوفي في ١٥ نوفمبر ٢٠٢٠.

(٦) علم التربية السلامية، مقداد يالجن (ص/٢٠) الطبعة: ١٤٠٦هـ.

بهم مهمة عظيمة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإذا أردنا أن نُغيّر البيئة من حولنا، فعلينا أن نبدأ بتغيير أنفسنا أولًا، والطريقة المثلى لهذا التغيير هي اتباع أولئك الأرواح الطاهرة الذين عاشوا حياة ناجحة، وأن نجتهد في أن نحيا كما عاشوا ونمضي في أيام حياتنا كما مضَوا علينا أن نسعى بقلب صادق أن يكون أقوالنا، وأعمالنا وفق طرق النبي صلى الله عليه وسلم وأن ندرس حياة الأولياء والصوفيين وأن نحاول أن نسير على نهجهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا"[1].

إن الإسلام، الذي هو شريعة الله للبشر، أنزله الله عز وجل ليُحقق الناس عبادته في الأرض، والعمل بهذه الشريعة يقتضي تهذيب الإنسان وتطويره، حتى يكون صالحًا لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض، والتربية الإسلامية ليست إلا هذا التهذيب والتطوير الناتج عن الالتزام بشريعة الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2]. فلا يتحقّق تطبيق الشريعة الإسلامية إلا بتربية الفرد والمجتمع على الإيمان بالله، ومراقبته، والخضوع له وحده، ومن هنا، كانت التربية الإسلامية فريضة ملقاة على عاتق الآباء والمعلّمين، وأمانة يُؤدّيها الجيل إلى الجيل اللاحق، ويورثها المربّون للناشئين، والويل لمن يخون هذه الأمانة، أو ينحرف بها عن هدفها، أو يُسيء تفسيرها، أو يغيّر محتواها.

فالتربية الإسلامية هي تنشئة الإنسان على أن يحتكم إلى شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته، ثم لا يجد في نفسه حرجًا مما قضى الله ورسوله، بل ينقاد انقيادًا كاملًا لأمر الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3].

فإن التربية الإسلامية تُعدّ فريضة دينية وضرورة شرعية، لا يمكن الاستغناء عنها، إن التربية الإسلامية ضرورة بشرية، وقضية مصيرية، ذلك أن الشقاء الذي يعمّ المجتمع الإنساني، والنكبات التي تصيب العالم الإسلامي، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، واحتكار الدول القوية لخيرات وثروات الأمم الضعيفة، كل ذلك نتيجة حتمية لسوء التربية، وابتعاد الإنسان عن الفطرة التي فطره الله عليها، فطبيعة الإنسان إذا لم تُربَّ وفق منهج الله، فإنها تميل إلى الجور والطغيان. والإسلام، بمنهجه الرباني المتكامل، الذي يوافق الفطرة الإنسانية، جاء ليُعيد صياغة النفس البشرية صياغة متوازنة ومتكاملة، ويهذّبها لتحقيق عدالة الله تعالى في المجتمع البشري.

وقد سخّر الله تعالى لهذا الإنسان كلَّ ما في الكون من مخلوقاته؛ ليستخدمها استخدامًا رشيدًا، لا يشوبه طغيان

---

(١) تجليات ضياء الأمت، (ص/٣١٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦

ولا شطط، ولا يقوده إلى ذلٍّ ولا خضوعٍ إلا لله وحده[١].

وقد تناول الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله أهمية التربية في تفسيره حيث قال: "إن الغرض الأول من نزول القرآن الكريم هو إصلاح الإنسان، لأن التربية تُحوّل النفس الأمّارة إلى نفسٍ مطمئنة[٢].

فالتربية هي الوسيلة الاجتماعية التي يكتسب بها الأفراد أنماط الحياة، وقيم المجتمع الذي ينتمون إليه؛ وتُعدّ من أهم الأدوات التي يُعتمد عليها في تحقيق إرادة التغيير، وتحتل التربية مكانة مرموقة في بناء الإنسان، لما تحمله من قيم روحية، وتربوية، وعلمية، وأخلاقية، مستنبطة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والاجتهاد، وتهدف التربية إلى بناء شخصية متوازنة ومتكاملة، ولم تَعُد مجردَ موادَّ تعليمية تتعلق بالدين وعقيدته وشرائعه، بل أصبحت علماً متكاملاً له أهدافه ومجالات، والتربية كذلك هي إعداد الإنسان منذ الطفولة ليكون قادراً على أداء رسالته في الإسلام، وتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة[٣].

وبهذا تميّزت التربية الإسلامية عن سائر النظريات التربوية، فاحتلّت مكانة مرموقة بين المناهج التربوية العالمية، منذ اللحظات الأولى للبعثة المحمدية.

وقد عُرفت الدعوة الإسلامية بأنها دعوة إلى العلم والمعرفة، حيث كانت أول آيات القرآن الكريم نداءً إلى القراءة، وهي مفتاح كل علم، كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٤].

والتربية الإسلامية هي مصنع تربوي يصوغ شخصية الفرد، ويضعه في إطار من القيم السامية والمثل العليا. وهي تربية تهيّئ له فرص النمو المتكامل، وتزوّده بوسائل النضج المتوازن، فتُشكّل سلوكه على نحوٍ يتوافق مع معتقده وقيمه.

كما تسهم في حماية الأفراد من الانحراف، وتُرشدهم إلى طريق الهداية والصلاح، وتُحبب إلى نفوسهم الخصال الحميدة، وفعل الخير، مما يؤدي إلى تماسك المجتمع وقوّته، واستقراره في وجه التحديات.

إذا كانت التربية الإسلامية تهدف إلى صياغة الإنسان المؤمن الصالح، الإيجابي الفاعل، في ذاته، وأسرته، ومجتمعه، وأمته، فإنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتصوّر الإسلام للإنسان، أو بصورة الإنسان في المنظور الإسلامي.

فالإنسان في الإسلام هو خليفة الله في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٥]. وقد خلقه الله سبحانه وتعالى لعبادته، وتوحيده، وإفراده بالطاعة والعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن (ص/١٣٩٩) الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م.

(٢) مقدمة تفسير ضياء القرآن، (٩/١).

(٣) ضياء القرآن، (٣٠١/٥).

(٤) سورة العلق، الآية: ١

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٠

الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ومن وظائف الإنسان في الأرض: الانتشار، وتأليف الشعوب والقبائل، والتعارف والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى. وقد أوجد الله الإنسان على الأرض لأجل تعميرها وتنميتها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2] وسخّر الله تعالى للإنسان ما في السماوات وما في الأرض جميعًا، ليكون في خدمته، وما ذلك إلا ليقوَى الإنسان ويقوَى المجتمع، ويصبح قادرًا على نشر دين الله، وتحقيق العبودية له في الأرض"التربية الإسلامية تغرس في النفوس قيمًا تربوية من شأنها تقوية صلة الإنسان المسلم بربه عز وجل، حتى يصل إلى مرتبة يراقب فيها الله في السر والعلانية، في جميع حركاته وسكناته، فلا يُقْدم على شيء إلا وهو يستحضر عظمة الله ويُراعي حرماته ويوقّره، وهذا يعني أن المسلم في علاقته بربه يجمع بين الخوف والرجاء؛ فهو يخاف عذابه ويرجو رحمته، فيمتلئ قلبه بشعور عميق من التحرر من جميع المخاوف الدنيوية، لأنه يعلم أن الحياة بيد الله، ولا قدرة لمخلوق على أن يُنهيها أو يغيّرها ساعة أو حتى لحظة[3].

والتربية الإسلامية، بما تحمله من منهج الاعتدال والوسطية، تُنبّه الوالدين إلى خطورة التأرجح في تربية أولادهم بين الإفراط والتفريط، أو بين التسلّط والتساهل، وتدعو إلى التوازن في المعاملة والتوجيه.

اهتمت التربية الإسلامية بالوسط الأسري والاجتماعي، باعتباره عاملًا مهمًّا في تربية الفرد؛ إذ يُولد الإنسان على الفطرة، والتربية الإسلامية تُؤكد أهمية القدوة الحسنة في الوسط الأسري في تنشئة الفرد.

كما أولت عناية كبيرة بتكوين العادات الحسنة منذ النشأة الأولى للطفل، من خلال مخالطته للنماذج الطيبة، وإبعاده عن قرناء السوء، وقد اعتنى الإسلام بالطفل وتربيته وتعليمه وتأديبه، وتقدّم على النظريات التربوية الحديثة في اهتمامه بالطفولة وتعليمها، حتى بلغ اهتمامه بالطفل إلى ما قبل ولادته؛ فأمر بحسن اختيار الأم التي ستتولى الحمل والولادة والرضاعة والتربية، لما لها من دور كبير في بناء شخصية الطفل وتكوينه النفسي والتربوي، وتُعتبر الأسرة من أهم المؤسسات التربوية التي تسهم إسهامًا كبيرًا في نقل التربية إلى الأفراد، فهي البيئة التربوية الأولى للطفل، وهي التي تُشكّله وفقًا للروح السائدة في أفراد هذه الأسرة[4].

خلاصة:

فإنّ التربية في الإسلام تحتلّ مكانة عظيمة، وخاصةً بين شرائعه وأحكامه، فلا يعلوها شيء، فهي تشمل توجيه

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥

(٢) سورة الهود، رقم الآية: ٦١

(٣) أصول التربية الإسلامية، علي سعيد أحمد، (ص/٢٠)، الناشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى: عمان ١٤٢٧هـ، ٢٠٧م.

(٤) مقدمة في التربية، ناصر ابراهيم، (ص/١٤٩)، الناشر: دار عمار، عمان، الطبعة: ٨، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

الفرد وإرشاده ووعظه وتأديبه، وتربيته على أخلاق الإسلام، ليصبح فردًا مسلمًا ربانيًّا متحلِّيًا بأخلاق هذا الدين، كما تمتد آثارها إلى مستوى الأسرة والمجتمع بأسره، بما تبثّه من قيم الفضائل الحميدة، وتحذيرها من الرذائل السلبية، فتسهم في بناء مجتمع متماسك، راقٍ في أخلاقه وسلوك أفراده.

المبحث الثاني: منهج الشيخ محمد كرم شاه الأزهري في التربية والإصلاح

يُعَدّ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري من العلماء البارزين الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، فكان مصلحًا ومربيًا وداعيةً امتاز بفكره الوسطي ومنهجه المتوازن في تربية الأفراد وإصلاح المجتمع. انطلق في رؤيته التربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مستلهمًا من سير الأنبياء والصالحين مبادئَ تهذيب النفس وبناء الشخصية المؤمنة الفاعلة في الواقع. وقد رَكّز في منهجه على إصلاح الفرد باعتباره اللبنة الأولى في بناء الأمة، وربط بين العلم والعمل، والتزكية والسلوك، والدعوة والتربية، ساعيًا إلى إيجاد توازنٍ بين متطلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة. وتمثّل جهوده نموذجًا رائدًا في الإصلاح الديني والاجتماعي في شبه القارة الهندية في العصر الحديث.

المطلب الأول: التربية بالقدوة الحسنة

القدوة هو الرسول ﷺ، الموصوف بصفة "رحمة للعالمين"، فإذا كان الداعي يعمل بما يقول، سَهُلَ على الأتباع أن يعملوا بما يسمعون، وكان النبي ﷺ يسبق قوله بالعمل، فكان يقدم نموذجًا عمليًا في حياته الشريفة، ومنذ نعومة أظفاره، ظهرت عليه مخايل السمو الخلقي وحسن المعاملة، حتى أن المشركين سموه "الصادق الأمين"، وهما صفتان قلما تجتمعان، وقد وصفه ربه بأعظم الصفات الحميدة بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

فالرحمة في جميع الأمور مطلوبة ومحمودة، وكلما تغلّبت هذه الصفة على الإنسان، ازداد قربًا من الله تعالى ورسوله، ونال القبول عند الخَلق، فكان الشيخ رحمه الله تغلب عليه صفة الرحمة في جميع أخلاقه، فإذا جالسه أحد شعر برحمة الله تعالى؛ لأنه كان يبدأ بالسؤال عن أحواله العامة والخاصة، ويكرم جلوسه وضيافته، ويقضي حاجته إن وُجدت، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق، ما كان متجبرًا ولا متكبرًا، ولا يترفع على الناس بعلمه أو معرفته أو منزلته أو منصبه، وتلك كانت جاذبيته الفريدة التي لا تُضاهى ولا تُقاوَم، فقد اجتمعت فيه صفات المربّي الحقيقي على أكمل وجه.

فقد كان الشيخ رحمه الله يباشر العمل بنفسه اقتداءً بالقدوة الأعظم، النبي الكريم ﷺ، ففي أثناء بناء دار العلوم، كان يحمل على رأسه دلاءً مملوءةً بالحصى والإسمنت، فلما رآه طلابه على هذه الحال، امتلأت نفوسهم بالحماس والجدية، وكان الشيخ عليه الرحمة إذا رأى المتبعين يعملون بحماس وإثارة كان يدعو لهم بهذا الدعاء ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2] وكانت آثار الأسمنت والرمل واضحة على ثياب شيخ عليه الرحمة، فإذا حان وقت الصلاة يصلي بذلك الثياب، ويأمر تلاميذه بالصلاة في ذلك الثياب أيضا، وكان يقول: "إن الله يحب صلاتكم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥١

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧

في هذه الحالة"[١].

المطلب الثاني: التربية بالإخلاص

من أهم أسس التربية الإسلامية، وهي تعني غرس نية خالصة لله في كل قول وفعل، بحيث يكون الهدف من التعلم والتعليم، والعمل والدعوة، والتعامل مع الناس هو رضا الله تعالى وحده، لا رياءً ولا سمعةً ولا طلبًا لمدحٍ أو جاه، وهذه صفة نادرة لا توجد إلا من أخذت رحمة الله تعالى بيده فصار على هذا السبيل وقد أمر الله تعالى به في السر والعلن قال الله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٢] وفي مقام آخر ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٣] وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[٤] قال الإمام ابن القيم رحمه الله "العمل بلا إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه"[٥].

قال الشيخ عليه الرحمة "اجعلوا هذه الحقيقة راسخة في قلوبكم: أن الحياة لا تُعاش بحق إلا برضاء الله ورضا حبيبه ﷺ ، لا فرق في ذلك بين أن يكون المنصب كبيرًا أو صغيرًا، أو أن يكون الراتب كثيرًا أو قليلاً، بل ليكن العمل خالصًا لابتغاء مرضاة الله وحده، وإذا نزل الإنسان إلى ميدان الحياة، فسيواجه أنواعًا من المصاعب والشدائد، فعليه أن يصبر ويتحمّل، ولا يتخلّى أبدًا عن الثبات والاعتماد على الله"[٦].

المطلب الثالث: التربية بالتقوى:

التربية بالتقوى هي من أعظم أساليب التربية في الإسلام، إذ تُعدّ التقوى جوهرًا تربويًا يُهذّب النفس، ويُزكّي القلب، ويُوجّه السلوك نحو طاعة الله ورضوانه،

معنى التربية بالتقوى: هي تنشئة المسلم على مراقبة الله تعالى في السرّ والعلن، وغرس الخوف من الله والخشية منه في قلبه، حتى يصبح حارسًا على نفسه، لا يتعدى حدود الله، ولا يظلم أحدًا، ويؤدي حقوق الله وحقوق العباد على أكمل وجه.

---

(١) مجلة الشهرية ضياء حرم، (ص/٩٤).

(٢) سورة البينة، الآية: ٥

(٣) سورة الكهف، الآية:١١٠

(٤) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب من غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، رقم الحديث:٣١٤٠، (٦، ٢) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.حكم الألباني هذاالحديث حسن صحيح.

(٥) الفوائد، إمام ابن القيم، (ص/٤٨)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

(٦) مجلة الشهرية ضياء حرم، (ص/ ٩٤).

آثار التربية بالتقوى:

إنَّ التربية الإيمانية تجعل الإنسان قويًّا في طاعته، ثابتًا على دينه، كما تُسهم في بناء مجتمع صالح نقيّ تسوده العدالة والرحمة، وتنشر قيم الإحسان بين أفراده، فتُسهم في تقليل الظلم والفساد، وتكون سببًا في نيل رضا الله تعالى ودخول جنته، قال سبحانه:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١). فالتربية بالتقوى ليست فقط توجيهًا نظريًا، بل هي إعداد واقعي عملي لنفس قوية تتسلّح بخشية الله ومراقبته، وتتربى على الصدق والعدل والإحسان.

ومن أهم ما يجب أن يتميز به المربى تقوى الله عز وجل وهي كما وصفه طلق بن حبيب رحمه الله: "التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، مَخَافَةَ عَذَابِ اللَّهِ"(٢).

وردت نصوص كثيرة في الحث على تقوى الله عز وجل ومنها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣) وجاء في مقام آخر﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلّ شَيءٍ قَدْرًا﴾(٤).

وروي أحمد والحاكم والترمذي عن انس رضي الله عنهأن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ »(٥)، ويجب أن يكون المربي على قدر كبير من تقوى الله عز وجل لأنه هو القدوة التي يؤخذ منها.

"وقد أورد الشيخ رحمه الله الحديث الشريف ضمن تفسيره لآية الطلاق، موضحًا دلالته وما يتعلّق به من أحكام. عن أبي ذر قال: جعل رسول الله ﷺ يتلوا علي هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾(٦) حتى فرغ من الآية، ثم قال: «يا أبا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ »(٧).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣

(٢) أخرجه ابن تيمية، كتاب الإيمان لإبن تيمية، باب الإيمان، (١٣٢/١)، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة: ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٢

(٤) سورة الطلاق الآية: ٢-٣

(٥) أخرجه الترمذي في سننه الترمذي، كتاب سنن الترمذي، باب ماجاء في معاشرة الناس، رقم الحديث: ١٩٨٧، (٤، ٤٢٣) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة: ٢: ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م. حكم الألباني هذاالحديث حسن صحيح.

(٦) سورة الطلاق، الآية: ٢

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، حديث رقم :(٤٢٦٠) دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، و حكم الألباني ضعيف.

المطلب الرابع: التربية بالعلم:

التربية بالعلم من أهم أسس التربية الإسلامية، وهي التي تميز الإنسان وتسمو به، وقد أولى الإسلام العلم مكانة رفيعة، بل جعله أول ما نزل به الوحي، كما في قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[١]

وكانت صفةُ العلمِ تغلبُ في شخصيةِ الشيخ، إذْ درسَ العلومَ الشرعيةَ، واللغةَ العربية، والعلومَ العصريةَ في بلاده، ثم ارتحلَ إلى الهندِ ليتلقّى علمَ الحديثِ الشريف، وبعد ذلك توجّه إلى مصرَ لينهلَ من منبعِ العلمِ الأصيل، الأزهرِ الشريف، حيث واصل دراستَه حتى تخصّص في القضاء، ولما عاد إلى بلاده، أسّس دارَ العلوم، ووسّع فروعَها حتى بلغت (١٧٠) فرعًا، يَدرس فيها اليوم أكثرُ من ٢٥٠٠ طالب، لقد كان العلم دَيدنَه في ليله ونهاره، وجلسَ له سنواتٍ طوالًا، قلّما يصبرُ على مثلها أحد.

وكان الشيخ عليه الرحمة يقول: "ذِكرُ الله يُنير القلب، ويُورثه الطهارةَ والنقاء، كما أن الإكثارَ من دراسةِ الكتبِ الدينية يُقوّي القوى الروحية ويُضيئها"[٢].

ولذا كان دائمًا يُذكّر بالله، وكان يَذكر كثيرًا قول الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ "درستُ العلمَ حتى صِرتُ قُطبًا"، ترغيبًا لطلابه في طلبِ العلم والمثابرة عليه [٣].

المطلب الخامس: التربية باالصدق

التربية بالصدق من أهم أنواع التربية في الإسلام، لأنها تُعنى ببناء شخصية المسلم على أساس من الاستقامة والنزاهة والوضوح، فالصدق هو أساس الإيمان، ومفتاح الأخلاق الحسنة، وسبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

مفهوم التربية بالصدق:

هي غرس خُلُق الصدق في نفس الإنسان منذ صغره، قولًا وفعلاً، حتى يصبح الصدق جزءًا من طبيعته، لا يُفارقه في حديثه ولا معاملاته، ولا في أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة.

أدلة من القرآن والسنة: قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٤] وقال النبي ﷺ «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ » [٥].

---

(١) سورة العلق، الآية: ١

(٢) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٩٥).

(٣) نفس المصدر (ص/٩٦).

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٩

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قُبْح الكذب وحُسن الصدق، حديث رقم: ٢٦٠٧،(٢٠١٣/٤) المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

يقول الشيخ عليه الرحمة: "في مرة من المرات، سافرتُ إلى أمريكا، فأردتُ أن أزور الكعبة المشرّفة، وأنال شرف زيارة النبي ﷺ، لكن في ذلك الوقت، كانت الحكومة السعودية قد أوقفت العمرة لعدة أيام، لأن الملايين من الناس كانوا قد أدوا الحج، وبعد الحج يحتاجون إلى تنظيف الحرم والطرق وصيانتها، ولهذا يمنعون العمرة مؤقتًا، حاولت أن أقدّم طلبًا للحصول على تأشيرة، فقال لي بعض الأصدقاء: "يا شيخ، لا تقلق، نحن سنستخدم علاقاتنا وسنحصل لك على التأشيرة " وقبل رجوعي بيومين فقط، قالوا لي: "مبروك، ستأخذ التأشيرة!" فسألتهم: "كيف؟ وأنا سمعت أنه يوجد منع للعمرة الآن؟" قالوا: نعم، لكننا كتبنا في الأوراق أن الشيخ سيزور السفارة في الرياض وجدة، ولهذا سيُعطون التأشير، فقلت لهم: "إذا كانت التأشيرة ستُعطى بهذا الشكل، فأنا لا أريدها، كيف أزور بيت الله بالكذب؟ كيف أقف أمام النبي ﷺ وأنا حصلت على التأشيرة بالخداع؟ هذا حرام، أنا أريد رضا الله، وإذا ذهبت بالكذب، فلن يرضى الله عني أبدًا، فحاولوا كثيرًا أن يُقنعوني، لكنني رفضت، وبعد ذلك، أراد الله لي الخير، فذهبت لمقابلة السفير، فأدخلني إلى مكتبه وقال لي: "هذه تأشيرتك، يمكنك الذهاب للعمرة." وهكذا، الحمد لله، لم أحتج إلى الكذب أبدًا، بل أعطاني الله التأشيرة بالحلال"[(١)].

المطلب السادس: القدوة في العبادة والجود والكرم

من أهم أساليب التربية المؤثرة في النفوس، وقد تجلّت هذه التربية في سيرة النبي ﷺ، وسلوك أصحابه، ومن تبعهم بإحسان، ومنهم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله الذي كان قدوة حية في الجود والكرم.

الجود والكرم من أسمى الأخلاق الإسلامية التي تتربى بها النفوس وتتهذّب بها القلوب، وقد كان النبي ﷺ أكرم الناس، وإذا كان جاء ه السائل أو المحتاج لم يردّه خائبًا، بل كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وقد تربّى الصحابة رضوان الله عليهم على هذا الخلق العظيم، فكانوا يجودون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وظهرت هذه التربية جليّة في سلوك العلماء والمربين الصادقين، الذين اقتدوا برسول الله ﷺ في كلّ أحوالهم، وكان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مثالًا يُحتذى في الجود والكرم، فلم يردّ سائلًا، ولم يكتفِ بالقول بل كان يُواسي المحتاجين بنفسه، ويبذل من ماله وجهده ووقته في خدمة طلاب العلم والفقراء والمحتاجين، وقد أثرى مؤسساته العلمية والدعوية بهذا الخُلق النبيل، فكان طلابه يتربّون على الكرم لا من خلال المواعظ فقط، بل من خلال ما يرون من معلمهم وشيخهم.

عن أنس بن مالك ﷺ: «ما سُئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئًا قطُّ فقال: لا، إلا أن يكونَ في معصية» [(٢)]

وقد أمر الله تعالى بقوله: ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[(٣)].

---

(١) تجليات ضياء الأمت، (ص/٤٩٠).

(٢) أخرجه المسلم في صحيحه المسلم، باب ماسئل رسول الله، رقم الحديث: ٣٢، (٨٠٥/٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي.

(٣) سورة الضحى، الآية:١

تلك كانت عادة الصالحين على مرِّ الدهور، إذ كانوا يبذلون غاية جهدهم في ألّا يردّوا سائلاً خائبًا، وقد كان الشيخ الكريم رحمه الله يحرص دائمًا على إكرام السائل، بل كان أحيانًا يُعطي مَن يستحقّ العطاء دون أن يطلب، في خفاءٍ تام، بعيدًا عن المنّة والرياء.

ويحكي بهاءُ الحق بنُ الشيخِ رحمه الله قائلًا:"ما رأيتُ أبي رحمه الله يؤذي أحدًا قط، بل كان يبذل للفقراء والمحتاجين ما يستطيع، وأذكر جيدًا أن الشيخ رحمه الله كان يرسلني أحيانًا ببعض النقود إلى منزل أحد سكان الحي يُقال له عبد الكريم، وكان مريضًا في تلك الأيام، ليشتري بها الدواء. وذات مرة، في يوم شتوي بارد، خرجنا مع الشيخ رحمه الله من المكتبة، فرأى رجلًا لا يرتدي رداءً، فبادر الشيخ فخلع رداءه الجديد فورًا وأعطاه إياه" [(١)].

المطلب السابع: التربية بالحِلم

الحِلم من أعظم أخلاق الإسلام، وهو من صفات الأنبياء والصالحين، والتربية عليه تُنشئ أفرادًا متزنين، قادرين على كظم الغيظ وضبط النفس في المواقف الصعبة، فالحليم لا يستفزه الغضب، ولا يردّ السيئة بالسيئة، بل يُقابل الجهل بالحكمة، والتعدي بالعفو، وقد بيّن النبي ﷺ مكانة الحِلم في الإسلام، فقال: « إنما العلمُ بالتعلُّم، والحِلمُ بالتَّحلُّم»[(٢)] أي أن الحِلم خلق يمكن اكتسابه بالتدرُّب والصبر، وليس موهبة يولد بها كل الناس.

ومن أبرز صور التربية بالحِلم: أن يُعوَّد الأبناء والطلاب على كظم الغيظ عند الغضب، وأن يُدرَّبوا على انتقاء الكلمات اللينة حتى في حالات الاختلاف، كما يُغرس في نفوسهم مبدأ العفو والتسامح، مع ترسيخ قيمة عدم مقابلة الإساءة بمثلها فضرب الأمثلة من سيرة النبي ﷺ، كقوله للمَلَك عندما عرض عليه أن يطبق الأخشبين على أهل الطائف عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:« أنَّه سُئل عن قول النبي ﷺ يوم أُحد وقد شُجَّ، فَقِيلَ له: ألا تدعو عليهم؟ فقال: إنِّي لم أُبعَث لعَّانًا، ولكني بُعثتُ رحمة، ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، إني أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا »[(٣)].

فالتربية بالحِلم تزرع في النفس السكينة، وتُسهم في بناء مجتمع متماسك متسامح، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[(٤)].

---

(١) تجليات ضياء الأمت، (ص/٤٩١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم الحديث: ٩٠٠١، و صححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: ٣٤٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: ٣٤٧٧،(٢/٧٢١) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣

قديما قالوا:الحلم زينة العلماء وقد حث القرآن الكريم على خصلة الحلم فقال: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]. وقال الله في مقام آخر﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

قال النبي ﷺ «ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب»[3]، وقد كان الله تعالى يحبُّ الرفق واللين في كل الأمور، فما من داعيةٍ يرفق بأتباعه ويعاملهم بالحسنى إلا أحبّوه واتّبعوا أمره، والعكس كذلك، وكان الشيخ رحمه الله مثالًا في الرّفق واللين والوقار؛ يعامل الناس باحترام وتقدير، فما من زائرٍ زاره إلا وترك في قلبه أثرًا طيبًا لا يُنسى، وكان دائم البِشر، واسعَ الابتسامة، يستقبل الناس بحفاوة وكرم خلق، وقد تكرر عن النبي ﷺ قوله: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ »[4] .ليؤكد على أن القوة الحقيقية تكمن في ضبط النفس لا في غلبتها.

---

(١) سورة آل عمران، آالآية: ١٣٤

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٣

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب رقم الحديث: ٥٧٦٣، (٢٢٦٧/٥)، ومسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، رقم الحديث: ٢٦٠٩، (١٦٤/٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم الحديث: ٢٦٠٩(١٦٤/٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المبحث الثالث: المنهج الصوفي للتربية

يُعَدُّ المنهجُ الصوفيُّ أحدَ المناهجِ التربويةِ العميقة في الفكر الإسلامي، إذ يهدف إلى تزكية النفس وتطهير القلب وتهذيب السلوك حتى يبلغ الإنسان درجة الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه. وقد تأسس هذا المنهج على أصولٍ قرآنيةٍ ونبويةٍ أصيلة تُركّز على الإخلاص، والمراقبة، والزهد، والمحبة، والصدق، والمجاهدة في سبيل تهذيب النفس وتكميلها، وقد كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله من أبرز من جسّد هذا المنهج في العصر الحديث، إذ جمع بين التربية الروحية الصوفية والعلم الشرعي الأزهري، فكوَّن مدرسة تربوية متميزة تمزج بين صفاء الباطن ونور العلم والعمل. دعا رحمه الله إلى التزكية القلبية، والالتزام بالأخلاق المحمدية، وخدمة الدين والمجتمع بروح الإخلاص والتواضع، فكان منهجه الصوفي وسيلةً لبناء الإنسان الكامل الذي يجمع بين الإيمان العميق والعمل الصالح، وبين المعرفة والسلوك.

المطلب الأول: تعريف التصوف لغة واصطلاحا:

أ–التصوّف لغةً: اختلف العلماء في أصل كلمة التصوّف، وقد ذُكرت لها عدة اشتقاقات لغوية، من أهمها:

١. **من الصوف** :لأن الصوف كان شعار الزهّاد والعبّاد في صدر الإسلام، إذ كانوا يلبسونه زهداً في الدنيا وابتعاداً عن الترف، قال ابن خلدون: "وأمّا وجه اشتقاقه فقيل: من الصوف، وهو الأظهر[(١)]
٢. **من الصفاء** :أي صفاء الباطن والنفس من الأكدار ، قال القشيري: "التصوّف ليس مشتقّاً من الصوف، ولكن من الصفاء[(٢)].

ب–التصوّف اصطلاحا:

١–عند ابن الخلدون أصلُ التَّصَوُّفِ الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِانْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَ الزُّهْدُ فِيمَا يَقْبَلُ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لذَّةٍ وَّ مَالٍ وَ جَاهٍ وَ كَانَ ذَلِكَ عَامًا فِي الصّحَابَةِ وَالسَّلَفِ[(٣)].

٢–عند ابوبكرالكتاني: التَّصَوُّف خُلُق وَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ فَقَدْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الصفاء [(٤)].

---

(١) المقدّمة، ابن خلدون، (ص/ ٣٢٨) .

(٢) الرسالة القشيرية،القشيري (١/ ٤١)

(٣) تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، (ص/٦٣)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ-٢٠٠١م.

(٤) تذكرة الأولياء، فريد الدين عطار، (ص/٢٨٧) الناشر: دار المكتب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

٣-سأل أحدهم عن أبا مُحَمَّد الجريري عن التصوف، فقال: التصوف هو الخروج من كل خُلُقٍ ردِّيٍ والدخول في كل خُلُقٍ سَنيٍّ" [١].

٤-وقد بين الإمام الغزالي رحمه الله حقيقة التصوف فقال: "الطَّرِيقُ تَقْدِيمُ الْمُجَاهَدَةِ وَ مَحْوِ الصِفَاتِ الْمَذْمُومَةِ وَ قَطْعِ الْعَلَائِقِ كلها والاقْبَالُ بِكُنهِ الْهِمَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى مَهُمَا حَصَلَ ذَلِكَ كَانَ اللَّهُ الْمُتَوَلَّى لِقَلْبِ عَبْدِهِ الْمُتَكَفِلَ لَهُ بِتَنْوِيرِهِ بِأَنْوَارِ الْعِلْمِ"[٢].

المطلب الثاني: مفهوم التصوف ومقامه عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه:

التصوف ليس نظامًا يركّز فقط على تدريب الإنسان بدنيًّا، بل يكرّس كلّ جهده لتربيته الروحية، فعندما يُصلّي طلاب مدرسته، لا يقتصر تسبيحهم وتهليلهم على اللسان، ولا تُرى جوارحهم الظاهرة فقط منشغلة بالقيام والركوع والسجود، بل تكون قلوبهم وأرواحهم وأجسادهم مغمورة بذكر الله تعالى، وتتجلى فيهم الأخلاق النبيلة كالتواضع، والتسامح، والصبر، والتضحية، والمحبة، والمودة، وهي الأخلاق التي تجعل العالم ينظر إليهم بانبهار، ويقبل دينهم من خلال ما يراه في وجوههم من نور الإيمان [٣].

مقام التصوف عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري:

عند التأمل في تاريخ التصوف وسير الصوفية الصادقين، يخلص الباحث المنصف إلى حقيقة جلية: وهي أن التصوف في الإسلام كروح للجسد، وكعطر للزهرة، وكنور للمصباح، فمنذ أن ضعفت صلتنا بالتصوف الحقيقي، خلت زهرة العبادة من عبيرها، وأجدبت شجرة العمل من ثمرها، فقد أصبح الجسد ينحني في الصلاة، لكن القلب غافل، واللسان يردد الأذكار، والقلب شارد في وادٍ بعيد، إن التصوف الصادق هو حياة الروح، وصفاء القلب، وصدق التوجه إلى الله، فإذا غاب، ضاع الحضور، وذبلت العبادة، وجفّت ثمار الطاعة"[٤].

المطلب الثالث: منهج التصوف عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه:

بهدف التصوف إلى إصلاح الذات وتركية النفس وتطهيرها من الآفات الأخلاقية وتزيينها بالفضائل علما وعملاً وسلوكا، وتصفيتها من الكدورة، والسعي بها إلى تحقيق المحبة والإخلاص، والسمو إلى أفق إنساني شامل، متأسية في

---

(١) تلبيس إبليس، أبو الفرج ابن جوزي، (ص/١٥٨)، الناشر: دار الوطن للنشر.

(٢) أحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، (٣١٦)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت لبنان، مطبوعة من المصر.

(٣) مقالات،حافظ أحمد بخش (٣١٧/١).

(٤) مقالات (٣١٨/١).

ذلك بأخلاق النبوة الزكية[١].

لقد حقق التصوف أهدافًا منشودة في شبه القارة الهندية، فقد قام الصوفية بمهمة نشر الدعوة الإسلامية في شبه القارة التي كان معظم سكانها وما زالوا وثنيين، غير أنهم استطاعوا أن يخرجوا الملايين من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام، ثم اهتموا بتزكية نفوس المسلمين وغرس الحب الإلهي وحب الحبيب المصطفى في نفوسهم، وتذكر أسماء بعض أولئك الصالحين على سبيل المثال لا الحصر، منهم الشيخ علي بن عثمان الهجويري[٢] والشيخ معين الدين الجشتي الأجميري[٣]والشيخ نظام الدين الجشتي البدايوني[٤] والشيخ بهاء الدين السهروردي الملتاني[٥] والشيخ أحمد السرهندي[٦].

والطرق الصوفية السائدة في كل من باكستان وبنجلاديش والهند تتمثل في الطرق الجشتية، والقادرية،

---

(١) أ- الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، جامعة الأزهر القاهرة، تحت رقم: ٣٨٥.

ب-الأستاذ الدكتور عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض، دراسة في فن الشعر الصوفي، الناشر: بيروت بلا تاريخ، (٣٧-٧).

ج مقدمة المنقذ من الضلال، الإمام مُحَمَّد الغزالي، كتبها الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، (ص/٢٣) الناشر: دار المعارف القاهرة من ١٩٧٠م).

د- الشيخ عبد الحكيم شرف القادري، الإمام أحمد رضا خان، (ص/١٠)، بحث علمي، وقد نشر في صوت الأزهر العدد ١٧٢ الجمعة ٧ من ذي القعدة ١٤٢٣هـ.

(٢) هو أحد الشيوخ في الطريقة الجنيدية، ولد في (غزني) أفغانستان سنة ٤٠٠ هـ، في عهد كان فيه السلطان محمود الغزنوي حاكم البلاد آنذاك.

(٣) ولد الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري من سلالة مولانا الإمام الحسين في عام ٥٣٧ للهجرة الموافق ١١٤٢ للميلاد بمدينة سجستان من بلاد فارس، ففي مطلع صباه حفظ القرآن الكريم ودرس علوم التفسير والحديث والفقه، انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ،شريف عبد الحي اللكنوي، (ص /٣٠٠) الطبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند سن ١٣٨٢هـ (١/١٠٤)، وانظر: تاريخ الإسلام في الهند ، دكتور عبد المنعم النمر، (ص/ ٢١٨)، وانظر: ممتاز أحمد سديدي، الشيخ أحمد رضا خان شاعرا عربيا.

(٤) هو أحد شيوخ الطريقة الجشتية، ولد في (بدايون) الهند سنة ٦٣٦ هـ، ومات أبوه عندما بلغ عمره خمس سنوات، فربته والدته تربية حسنة وأرسلته إلى مدرسة مولانا علاء الدين لتلقي العلوم والمعارف انظر: تاريخ دعوت وعزيمت باللغة الأردية، مولانا سيد أبو الحسن علي الندوي، (ص ١٠١) الطبعة: ندوة العلماء كناؤ س ٢٠٠٠م.

(٥) الشيخ الإمام العالم المحدث زكريا بن مُحَمَّد بن علي القرشي الأسدي شيخ الإسلام بهاء الدين بن وجيه الدين بن كمال الدين أبو مُحَمَّد الملتاني المتفق على ولايته وجلالته، انظر: علماء العرب في شبه القارة الهندية، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، (ص ٢٤، ٢٥) الطبعة: وزارة الأوقاف بغداد عراق س ١٩٨٦م.

(٦) هو أحد الشيوخ النقشبندية في بلاد الهند الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، انظر: الشيخ مُحَمَّد أمين الدين الكردي، كتاب المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية، (ص/٧٣-٧٨)، الناشر: القاهرة، بدون تاريخ.

والنقشبندية، والسهروردية، ولا يتسع المجال هنا للدخول في تاريخ هذه الطرق حتى لا نبتعد عن الموضوع الذي نحن بصدده هذا، وما زال مشايخ الطرق الصوفية يلعبون دورهم الإصلاحي حتى اليوم، وقد كان والد العلامة مُحَمَّد كرم شاه وجده من كبار الصالحين، وقام كل منهما بمهمة الإصلاح والتزكية في عصره.

وقد نشأ العلامة مُحَمَّد كرم شاه في حضن أم تقية صالحة بارة عُرفت بورعها وزهدها، كما تربى على يد والده الشيخ مُحَمَّد شاه الذي طار صيت زهده واجتهاده في العبادة الله، وأخذ الطريقة الجشتية من شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ مُحَمَّد قمر الدين السيالوي[1] بالإضافة إلى أنه تعلم على يد أساتذة مهرة في العلوم الإسلامية، وسافر من أجل الدراسة إلى الهند ومصر، وهكذا نشأ العلامة مُحَمَّد كرم شاه في جو ديني وروحي نشأة رائعة هيأته للقيام بدور إصلاحي فعال في باكستان من أجل النهضة العلمية والروحية.

منهجه في التصوف:

يعد العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله واحدًا من مشايخ الطريقة الجشتية التي أسسها ملك العاشقين الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري في الهند، وهذه الطريقة تصل بواسطة سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وانفردت هذه الطريقة عن الطرق الأخرى بالتركيز على الحب الإلهي وحب الحبيب المصطفى ورعاية حقوق الله تعالى والاهتمام بحقوق العباد.

بدأ نور الطريقة الجشتية ينبثق في أوائل القرن الرابع الهجري في شبه القارة الهندية في إطار فتوحات الفاتح الإسلامي السلطان محمود الغزنوي، وانتشر ضوؤها في أرجاء الهند وإن كان قد تم تأسيسها في الهند بشكل منظم في القرن السادس الهجري على يد الشيخ معين الدين الجشتي الذي أنقذ الملايين ممن سلكوا طريق الغواية والضلال، وأذاقهم حلاوة الحب الإلهي والوصال، وقد أخذ العلامة مُحَمَّد كرم شاه الطريقة الجشتية في صباه من الشيخ مُحَمَّد ضياء الدين الجشتي، وتلقى منه الفيض الروحي ساعيا إلى تحقيق الخير والسعادة، وبعدما انتقل الشيخ مُحَمَّد ضياء الدين إلى جوار ربه عام ١٩٥٠م.

جدد العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله البيعة على يد شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ مُحَمَّد قمر الدين الجشتي، فأعطاه خلافة في هذه الطريقة، وأجازه بالتبليغ ونشر الوعي الإسلامي وتكوين المجتمع الإنساني على أفضل

---

(١) هو أحد شيوخ الطريقة الجشتية في أوائل القرن العشرين، وكانت ولادته سنة ١٩٠٦م بقرية سيال مديرية سرجودها، وتلقى العلوم الإسلامية والعربية على أيدي عباقرة عصره وتمكن من الخلافة التي ورثها من أبيه الشيخ مُحَمَّد ضياء الدين في الطريقة الجشتية وعينته الحكومة الباكستانية شيخا للإسلام، وله باع واسع في بناء مجتمع إسلامي ملائم الأفكار العلامة مُحَمَّد إقبال وتوفي عام ١٩٨١م. انظر: تذكرة علماء أهل السنة،محمود أحمد قادري، (ص/٢١٩)،الناشر: سني دار الأشاعت باكستان ،سنة ١٩٩٢م.

مستوياته[١].

لقد غرس الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله الحب الإلهي في قلوب الناس من منطلق ورعه وتقواه ؛ لأن الله نور صدره بالإخلاص والحب، وجعله متصفا بالحكمة والوسطية، بالإضافة إلى التربية التي حظي بها في كنف أبيه وشيخه وانتمائه إلى الطريقة الجشتية، وظل العلامة مُحَمَّد كرم شاه ينشر ضياء الحب الإلهى ونور الخلافة الإلهية في قلوب الآخرين من خلال أعماله الفريدة، والقيام بمهمة إعداد المثقفين، وهكذا ربي النفوس، ودعا إلى الله تعالى ورسوله دعوة مقرونة بالوسطية والاعتدال طوال حياته، وبذل نفسه ونفيسه لتقوية علاقة العباد بالله.

المطلب الرابع: أمثلية المنهج الصوفي للتربية والإصلاح:

إن المنهج الصوفي في جوهره إنما هو ترويض النفس على طاعة الله ظاهرا بالجوارح وباطنا بالجوانح حتى تتذوق حلاوة الإيمان والعيادة وحينئذ يشق عليها ترك العيادة أو التهاون فيها، بعد أن كانت تشق عليها العبادة نفسها ولا شك أن هذه المجاهدة للنفس هي جوهر الإسلام فلا فائدة من المعرفة إذا لم تتحول إلى عمل وإلى طبيعة وسجية في الإنسان المسلم، وهذا ما يهدف إليه التصوف[٢].

ومعلوم أن أدواء النفس كثيرة من الكسل وحب المال والجاه والكبر والحسد والضغينة...الخ وهذه الأمراض الفتاكة قد لا تنكشف للإنسان فلا بد للمعالج المحنك الذي يحدد المرض ثم يعالجه ويوصل الطالب السالك إلى مرتبة الكمال الإنساني بعد تطهيره من كدورات النفس والعصيان وذكر القرآن الكريم هذا الكمال في قوله تعالى قد أفلح من تزكى) ويقول الإمام القرطبي: إنه لا يوجد لفظ أجمع وأشمل لبيان نجاح الدنيا والآخرة من كلمة الفلاح[٣]، وتلك كانت سيرة النبي والصحابة الكرام والأئمة العظام والسادة الأولياء الذين وضعوا للتربية والإصلاح المنهج الصوفي القويم لمة الصوفي ولفظة الصوفي من الصفاء.

معدن التصوف:

إن علم التصوف مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين وأدخلوا فيه أشياء من علم الفقة لمس الحاجة إليه في علم التصوف حررها الغزالي في الإحياء في أربعة كتب كتاب العبادات، وكتاب العادات، وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات[٤].

روي القشيري عن الجنيد البغدادي من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن لأن

---

(١) تذكرة علماء أهل السنة، محمود أحمد قادري، (ص/٢١٩)، الناشر: دار الأشاعت باكستان مئي ١٩٩٢م.

(٢) مقدمة شرح فتوح الغيب، إمام الجيلاني حسن السماحي سويدان، (ص/٢٢) الناشر: طبع مؤسسة الشرف لاهور.

(٣) تفسير القرطبي، سورة البقرة، الآية: ٤، (١/٣٣٤).

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن مُحَمَّد عجيبة الحسني، (ص/٤٤) ، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة.

علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة[١].

وحث القرآن الكريم على اتباع الصالحين في قوله تعالي ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[٢]. ويقول الشيخ أحمد زروق: "والإنابة لا تكون إلا بعلم واضح وعمل صحيح وحال ثابت لا ينقضه كتاب ولا سنة، وفي قصة خضر وموسى عليهما السلام كفاية"[٣].

وإن عامة المسلمين يتبعون الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل في جميع أقطار الأرض حسب عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين ويتبعون الإمام الأشعري في المسائل الكلامية وهم الصوفية الذين يهتمون بمناسبات المولد النبوي الشريف والإسراء والمعراج وزيارة المصطفى.

قبل أو بعد العمرة أو الحج وزيارة القبور للعبرة والعظة وهم السواد الأعظم من أمة الإسلام في جميع البلدان، وعلي رأسهم العلماء الربانيون من ائمة التصوف.

- **من علوم الصوفية:** إن الصوفية العلية يعتمدون على علوم أربعة:

الأول: علم التذكير والوعظ وهو المقام العوام وتستفاد مواده من كتب ابن الجوزي والمحاسي والإحياء والقوت وتجبير القشيري وماجري مجراها.

الثاني: تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال بتحلية الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهيره من الأوصاف المذمومة وهذا حظ المتوجهين من الصادقين والمبتدئين من السالكين ومادتها من كتب الغزالي والسهروردي ونحوهما؛

الثالث: تحقيق الأحوال والمقامات وأحكام الأذواق والمنازلات ومادتها من كتب الحاتمي في المعاملات والبوني في المنازلات[٤].

الرابع: المعارف والعلوم الإلهامية: المعارف والعلوم الإلهامية ومادتها من كتاب "التنوير" ولطائف المنن.

والأعمال عند أهل هذا الفن على ثلاثة أقسام:

عمل الشريعة، عمل الطريقة، وعمل الحقيقة، أو تقول عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان على ما جاء في حديث جبرئيل عليه السلام؛ فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده؛ أو تقول الشريعة الإصالح الظاهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السراير، ولا يصل المرء إلى منازل القربات حتى يقطع ست عقبات العقبة الأولى: فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية، العقبة الثانية: فطم النفس عن المالوفات العادية،

---

(١) اقطاب التصوف السيد البدوي، عبد الحليم محمود، (ص/١٤)، دار المعارف للطباعة والنشر، -٢-كتاب التصوف والصوفية، سيد يوسف هاشم الرفاعي، (ص/٣٨).

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥

(٣) ايقاظ الهمهم، شيخ أحمد بن محمد ابن عجيبة، (ص/٥٥)، الناشر:دارالكتب العلمية،الطبعة ٢٠٢١م.

(٤) نفس المرجع، (ص/٣٤).

العقبة الثالثة: فطم القلب عن الرعونات البشرية، العقبة الرابعة: فطم النفس عن الكدورات الطبيعية، العقبة الخامسة: فطم الروح عن البخورات الحسية، العقبة السادسة فطم العقل عن الخيالات الوهمية؛ فإذا قطعها وصل إلى الحضرة القدسية وتلك هي غاية كل عظيم.

فالمنهج الصوفي الأصيل يبدأ بالعمل بالشريعة ويمر بالإنسان على مراحل الطريقة ويوصله في النهاية إلى منزل الحقيقة وهي المرتبة العليا للكمال الإنساني حيث يسكن قلبه وتستريح روحه وينعم جسده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتحتضنه اخيرا رحمة الله الواسعة بالترحيب الآتي﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جنتي ﴾[1].

(١) سورة الفجر، الآية: ٣٠

الفصل الثاني:
أساليب التربية ومؤسساتها عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري:

وهو يشتمل على مبحثين

المبحث الأول: أساليب التربية

المبحث الثاني: المؤسسات التربوية

المبحث الأول: أساليب التربية

أساليب التربية في الإسلام هي الطرق والوسائل التي يُعتمد عليها لتنشئة الفرد وتكوينه تكوينًا سليمًا من الجوانب الدينية والأخلاقية والعقلية والاجتماعية. ومن أبرز هذه الأساليب التي نجدها في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وفي تراث العلماء والمربين، ما يلي:

المطلب الأول: التربية بالقدوة الصالحة

الأصل في التربية الإسلامية أنها تربية عقدية دينية نبوية، وأنها تربية نبيلة المقاصد والغايات وأن الله بعث مُحَمَّدا صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للناس، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَر الله كَثِيرًا﴾[1].

والقدوة الصالحة الحسنة من أعظم الوسائل تأثيرا في النص، وأقربها إلى النجاح، والمعلم. لا بد وأن يتمثل المنهج الذي يدرسه ويربي عليه لن تصلح التربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيئ لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا، وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه، وتقتبس الإعجاب الخاص من خلاله، وتمشي بالمحبة الخالصة في آثاره، بل ليحصل التابع قدرا كبيرا من الفضل، وقد كان رسول الله ﷺ بين أصحابه مثلا أعلى الخلق الذي يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي بسيرته العطرة قبل أن يغرسه بما يقول من عبر وعظات، ومن هنا نجد أن نجاح عملية التربية تتوقف على المربي القدوة، حتى تتأصل القدوة في نفوس النشء منذ نعومة أظفارهم، كما يوجه الإسلام الأباء والأمهات والمربين عموما حين يصبحون قدوة، ألا يثيروا التناقض بين ما يدعونه ويظهرونه لأولادهم وبين سلوكهم، لما يترتب على ذلك من آثار سيئة على تربيتهم[2].

التربية بالقدوة الصالحة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله

كانت من أبرز الأساليب التربوية التي اعتمدها في حياته، فكان نموذجًا حيًّا لما يعلّم، ومثالًا يُحتذى في العمل الصالح، والخلق الكريم، والخدمة الصادقة للدين، و إليك أبرز معالم التربية بالقدوة الصالحة في شخصية الشيخ رحمه الله:

– تطبيق العلم بالعمل الشيخ رحمه الله لم يكن يكتفي بالتدريس والتنظير، بل كان يعمل بنفسه في ميادين العلم والدين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

(٢) أصول التربية الإسلامية، خطيب مُحَمَّد شحات، (ص /١٠٧).

ومن أبرز المواقف:

عندما كان يُبنى دار العلوم مُحَمَّدية، كان الشيخ يحمل على رأسه دلاء الحصى والإسمنت بنفسه، ولم يتعالَ على هذا العمل رغم مكانته، بل جسّد روح التضحية والمشاركة.

-البساطة والتواضع: كان شديد التواضع مع طلابه وزائريه، لا يأنف من الجلوس مع البسطاء، وكان يفتتح الجلسة بالسؤال عن أحوال الزائرين العامة والخاصة، مما كان يشعرهم بأنهم في جوٍّ من الرحمة والرعاية.

-الرحمة واللين في التعامل: تغلب عليه صفة الرحمة، حتى قال بعض تلامذته: "من جلس معه شعر برحمة الله عز وجل، لما كان يرى من بشاشته، وعطفه، واحترامه للناس[١].

- الالتزام بالسنة النبوية: الشيخ عليه الرحمة كان شديد الحرص على اتباع سنة النبي ﷺ في أكله وشربه ولباسه وتعليمه، بل في كل شؤون حياته [٢].

-الصدق في القول والعمل: من مواقفه المشهورة: أنه رفض الحصول على تأشيرة عمرة بطريقة غير صادقة، رغم ترتيبات بعض أصدقائه، وقال: كيف أذهب إلى الكعبة بالكذب والخداع؟! لا أريد أن أذهب إلى بيت الله وأنا أعصي ربي"! فكان درسًا عمليًا في الصدق والورع[٣].

-الكرم والجود: كان الشيخ عليه الرحمة لا يرد سائلًا، ويعطي دون سؤال أحيانًا وكان يُرسِل المال بنفسه إلى المرضى والمحتاجين، دون أن ينتظر منهم شيئًا.

-العمل الصامت: كان يعمل بصمت، ولا يحب الظهور أو الرياء. قال عنه أحد تلامذته: " ما رأيناه يومًا يُظهِر عمله أو يُفاخر بخدمته للدين، بل كان دائمًا يرد الفضل إلى الله [٤].

المطلب الثاني: التربية بالصلاة:

التربية بالصلاة تعدّ من أهم أساليب التربية في الإسلام، لأنها تربط العبد بربه خمس مرات في اليوم، وتربي فيه القيم الإيمانية والسلوكية والروحية، وهي أداة فعالة لتزكية النفس، وضبط الأخلاق، وتنمية الإحساس بالمسؤولية والمراقبة الذاتية.

مفهوم التربية بالصلاة:

هي العملية التي يُربَّى فيها المسلم من خلال أدائه للصلاة على النظام، والطهارة، والخشوع، والالتزام، والتواضع، ومراقبة الله تعالى، فتكوِّن الصلاة شخصية متزنة روحيًا وأخلاقيًا.

---

(١) تجليات ضياء الأمت،(ص/١٤٠).

(٢)نفس المصدر والمرجع، (ص/١٣٧).

(٣) نفس المصدر والمرجع، (ص/٤٩٠).

(٤) نفس المصدر والمرجع، (ص/٨٢).

أهداف التربية بالصلاة:

١. تقوية الصلة بالله كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[١]. فالصلاة وسيلة لدوام ذكر الله، ومن كان ذاكراً لله تربّى على الحياء والخوف منه، وأُبعِد عن المعاصي.

٢. تهذيب النفس والسلوك قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٢].

٣. فالصلاة وسيلة لتربية النفس على الفضائل وترك الرذائل.

٤. التدريب على الانضباط والنظام: أوقاتها محددة، وشروطها دقيقة، وهي تُربي الإنسان على احترام المواعيد والالتزام بالنظام.

٥. ترسيخ روح الجماعة: من خلال صلاة الجماعة، يتربى المسلم على روح الجماعة والتعاون والوحدة.

٦. غرس مراقبة الله: التقوى: المسلم إذا داوم على الصلاة بخشوع، اعتاد أن الله يراه، فيراقب أفعاله وأقواله باستمرار.

نماذج تربوية من سيرة النبي ﷺ:

حرص النبي ﷺ على تربية الأطفال على الصلاة قال ﷺ « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ« [٣].

وكان الشيخ رحمه الله شديدَ الحرص على أداء صلاة الجماعة بنفسه، ويحثّ أتباعه على المواظبة عليها أشدّ الحثّ، ويؤكد على أهميتها في حياة المسلم، حتى إنه كان يكرر كثيرًا: من لا يُصلّي، فلا علاقة له بي [٤].

المطلب الثالث: التربية بالقصة:

التربية بالقصة هي أحد الأساليب التربوية الفعالة التي اعتمدها الإسلام، وبرزت في القرآن الكريم والسنّة النبوية، واهتم بها العلماء والمربّون عبر العصور، لما لها من تأثيرٍ عميق في غرس القيم، وتزكية النفوس، وتنمية العقول، وتوجيه السلوك.

مفهوم التربية بالقصة:

التربية بالقصة هي استخدام الحكايات والوقائع المشوّقة الهادفة لنقل المفاهيم والقيم والمبادئ بطريقة غير مباشرة،

---

(١) سورة طه، الآية: ١٤

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: ٤٩٥، (١٨٧/١)الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٨٦٨.

(٤) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٢٩١).

تجمع بين العاطفة والعقل، وتؤثّر في الوجدان والفكر والسلوك.

مكانتها في القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[1] وقال تعالى في مقام آخر:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2] وفي الحديث النبوي، استخدم الرسول ﷺ القصص لتعليم أصحابه، كقصة أصحاب الغار، وقصة الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا.

التربية بالقصة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله

كان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري يستخدم الأسلوب القصصي وسيلة فعّالة في تربيته العلمية والروحية، مستفيدًا من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث امتلأت خطبه ودروسه ومؤلفاته بروح القصص التربوية التي تخاطب القلوب والعقول معًا.

معالم منهج الشيخ في التربية بالقصة:

١. القصص القرآني والنَبوي:

– كان الشيخ رحمه الله يُكثر من ذكر القصص الواردة في القرآن الكريم، مثل قصة يوسف عليه السلام، وقصة موسى مع فرعون، وغيرها، ليُظهر كيف يصنع الإيمان والتقوى صبرًا وثباتًا في وجه الابتلاء والظلم.

٢. القصص من سير الصالحين:

–يذكر أحوال العلماء والصلحاء والأولياء من الأمة الإسلامية، خاصة من المدرسة الصوفية، ليرسّخ قيم الزهد، والصدق، والإخلاص، والتضحية في نفوس طلابه.

٣. القصص الواقعية المعاصرة:

–يروي أحيانًا من تجاربه الشخصية أو من واقع الأمة الإسلامية، ليجعل المتلقي يشعر أن القيم الإسلامية ليست مثالية بعيدة، بل يمكن تطبيقها في الحياة اليومية.

٤. ربط القصة بالعبرة:

– لم يكن يروي القصة لمجرد الحكاية، بل كان يربط كل قصة بـ درسٍ عمليٍّ وعبرة أخلاقية أو دعوية، ليثير التفكر ويحثّ على العمل.

كان الشيخُ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله يولي مفهوم المسؤولية عنايةً كبيرة في منهجه التربوي، إذ كان يرى أن الشعور بها من أعظم ما يُهذِّب النفوس ويقوّم السلوك، وكان يحثّ على غرسها في القلوب وتنميتها في الأفراد

(١) سورة يوسف، الآية: ٣

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١

والمجتمعات. وقد كان كثيرًا ما يستشهد بأقوال السلف الصالح ومواقفهم العملية التي جسّدت روح المسؤولية في أسمى صورها، ومن أبرز تلك المواقف ما رُوي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، الذي عُرف بعدله ورعايته لرعيّته مسلمين وغير مسلمين على حدّ سواء، ويُذكر أن عمر ﷺ رأى يومًا رجلًا أعمى يتسوّل في أحد شوارع المدينة المنوّرة، فدعاه وسأله عن سبب تسوّله، فقال الرجل: "أنا يهودي، وقد فقدت بصري، ولا سبيل لي إلى الطعام إلا بالتسوّل" فاستنكر عمر ذلك قائلًا: "هذا ظلمٌ عظيم!" ثم أمر مسؤول بيت المال أن يُخصَّص له غلامٌ يخدمه ويقوده حيث شاء، وأن تُرصد له نفقةٌ من بيت المال تكفيه، حتى لا يُضطر إلى التسوّل. ثم قال كلمته المشهورة: "والله، إني لأخشى أن أُسأل يوم القيامة عن شاةٍ تموت على شاطئ الفرات جوعًا"، وقد كان الشيخ رحمه الله يورِد هذا المثال لتربية النفوس على الإحساس العميق بالمسؤولية الفردية والاجتماعية، مؤكدًا أن التربية الصالحة لا تكتمل إلا إذا شعر الإنسان بمسؤوليته أمام الله تعالى أولًا، ثم تجاه المجتمع والإنسانية جمعاء"[1].

المطلب الرابع: التربية بالمثل

التربية بالمثل هي إحدى الوسائل التربوية المؤثرة التي تستخدم في غرس القيم وتوجيه السلوك، وهي تقوم على تقديم الأمثال والحِكم والأقوال المأثورة التي تحمل معاني عميقة ودروسًا حياتية مستخلصة من التجارب.

تعريف التربية بالمثل:

هي توجيه السلوك من خلال تقديم أمثال مأثورة **أو** أقوال حكيمة قصيرة تحمل معاني عظيمة، تُرسِّخ في الأذهان وتؤثر في النفوس، وتُستخدم لترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية.

التربية بالمثل عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري كانت من أبرز الأساليب التي اعتمدها في مسيرته التربوية والدعوية، وهي تنبع من منهجه المتكامل الذي جمع بين التربية الروحية والعقلية والاجتماعية، إذ كان رحمه الله يحرص على غرس القيم الإسلامية في نفوس أتباعه من خلال الأمثال والأقوال الحكيمة، سواء ما ورد منها في القرآن والسنة، أو ما كان يجري على لسانه من العبارات المؤثرة والمواقف التربوية الملهمة.

أمثلة من منهجه التربوي بالمثل:

ومن الأقوال المتداولة عن الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله بين طلابه قوله: "من عمل للدين لمصلحةٍ دنيويةٍ خسر الأمرين، ومن أخلص لله ربح الدنيا والآخرة" وهي عبارة موجزة تجمع بين عمق المعنى ودقة التعبير، وتعكس جانبًا من فكر الشيخ التربوي الذي يؤكد على الإخلاص في العمل وضرورة تصفية النية من شوائب المصالح الشخصية، وكان الشيخ رحمه الله كثيرًا ما يربط بين الإخلاص وسلوك طريق الاستقامة، مبينًا أن الصراط المستقيم هو

---

(١) تجليات ضياءالأمت، (ص/٤٨٩).

الطريق الوحيد الذي سمّاه الله تعالى بهذا الاسم، وهو أقرب السبل الموصلة إليه سبحانه، وقد كان يوضح لطلابه المعنى بأسلوب تربوي مؤثر فيقول: "إذا رُسمت عدة خطوط بين نقطتين، فإن أقصرها وأقومها هو الخط المستقيم، وكذلك الصراط المستقيم هو الطريق الذي يوصلك إلى الله بأيسر السبل وأقواها، ثم يردّ الشيخ على مَن يتوهّم أن في طريق الشريعة صعوباتٍ ومشقّاتٍ كثيرة، موضحًا أن هذا الطريق في حقيقته هو أقصر الطرق إلى الله وأثبتها وأوضحها، فيقول: "نحن نرشدكم إلى الطريق الذي يوصلكم إلى الله في أقصر وقت، وأسهل مسلك، وأثبت قدم، فلو كان هناك طريق أقرب إلى الله من صراط الشريعة، لأخبرنا به رسول الله ﷺ، ولكنه دلّنا على هذا الطريق، وسلكه بنفسه، ودعا الناس إليه، فصراط النبي ﷺ هو الصراط المستقيم، وهو أقوم الطرق وأوضحها" ويختم الشيخ رحمه الله وصيته لتلاميذه بعبارةٍ تربويةٍ مؤثرةٍ فيقول: "احرصوا على أن تكون علاقتكم بالله وثيقة، لايقطعها كيد الشيطان، ولا تُنسيكم المصائب ذكره، فإذا أظلمت الطرق، جاءتكم الصلة بالله شجاعةً ونورًا وسندًا"[(١)].

المطلب الخامس: التربية بشغل أوقات الفراغ:

التربية بشغل أوقات الفراغ من الأساليب التربوية النافعة والمهمة التي أكد عليها الإسلام وطبّقها المربّون الربانيّون، ومن أبرزهم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله:

مفهوم التربية بشغل أوقات الفراغ:

الفراغ نعمةٌ إذا استُغِلَّ في الخير، ونقمةٌ إذا تُرِك للهوى والشيطان، وإنَّ شغلَ الوقت بما ينفع الروحَ والعقلَ والجسدَ يُعدّ من أهمّ وسائل التربية، لأنه يُنمّي الطاقات، ويُهذّب النفس، ويحول دون الانحراف.

و كان الشيخُ عليه رحمة الله يعدّ الوقتَ هديةً ثمينةً من الله تعالى، لا يحتمل خيانتها أو إضاعتها، وكان يقول لطلابه: "إنّ أثمنَ رأسِ مالٍ يملكه الإنسان هو الوقت، ومن يُقدّر قيمة الوقت لا يعرف القلق أبدًا "وذاتَ مرةٍ أشار إلى سيرة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ قائلًا: "كان عمر ﷺ خليفةً للمسلمين، وقائدًا لجيوشهم، وقاضيَ القضاة، وكان يؤمّ الناسَ في المسجد النبوي أيضًا، ومع هذا الانشغال العظيم، كان يشارك المسلمين في آلامهم، حتى لو غُرِسَت شوكةٌ في قدم أحدٍ بأطراف مملكته لشعر بها وتألم لها أمير المؤمنين"والسبب في ذلك .كما أوضح الشيخ أن عمرَ ﷺ كان يُدرك قيمة الوقت، ويُحسن استغلاله في طاعة الله وخدمة الأمة[(٢)].

---

(١) تجليات ضياءالأمت، (ص/٤٩٠).

(٢) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٣٦٣).

المبحث الثاني: المؤسسات التربوية

المؤسسات التربوية هي الجهات أو الهيئات التي تُسهم بشكل مباشر أو غير مباشر **في** تنشئة الأفراد وتربيتهم، وتشكيل سلوكهم، وتنمية قدراتهم الروحية والعقلية والاجتماعية. وهي تتنوع من حيث الطبيعة والوظائف، ويمكن تصنيفها إلى مؤسسات رئيسية، منها:

المطلب الأول: الأسرة (البيت)

- أول مؤسسة تربوية وأهمها:
- تضع الأسس الأولى للتربية من خلال القيم والعادات واللغة والسلوك.
- مسؤولة عن التربية الخلقية والدينية والانفعالية منذ الطفولة، قال رسول الله ﷺ: « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» [(١)].

قال الشيخ رحمه الله في تفسيره "وقد أولى الإسلام الأسرة الصالحة أهمية بالغة في سبيل تحقيق مجتمع سليم ومتماسك، يراعي مصالح أفراده ويقوم على المحبة والقرابة، وقد ربط بين أفراد الأسرة بروابط وثيقة تضمن بقاء الود والتواصل بينهم، ومن الوسائل التي اعتمدها الإسلام في ذلك نظام الميراث، الذي لم يكن مجرد توزيع للمال، بل وسيلة لتقوية أواصر الأسرة، فإذا أصيب أحد أفراد العائلة بالفقر، كان من واجب الآخرين إعانته، وإذا توفي أحد الأقرباء، فإن ماله يُقسَّم على قرابته لا لاعتبارات مادية فقط، بل حفاظًا على وحدة الأسرة وترابطها، كي لا تتسلل فكرة القطيعة أو التفكك إلى النفوس، ولأجل هذا الهدف السامي، وضع الإسلام نظامًا محكمًا للمواريث، يقوم على أصول القرابة والعدل، ليظل أفراد الأسرة متّحدين بالمصير والمصلحة والمودة"[(٢)].

المطلب الثاني: المسجد

كثير من المسلمين يتصور أن المسجد هو المكان الذي تؤدى فيه الصلاة دون غيرها من سائر الأعمال الصالحة، وهذا فهم خاطئ يخالف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، حيث كان المسجد في عهدهم جامعة الجامعات إلى جانب تأدية الصلوات، فكان هو المحور الذي دارت حوله حياة المسلمين في سلم وفي حرب، وفي الأمور العادية للحياة وفي الأمور الطارئة، فصار هو بمثابة المدرسة والمحكمة، ومكان الالتقاء للتشاور

---

(١) أخرجه البخاري في صحيح البخاري، الكتاب باب ماقيل في ألاد المشركين، رقم الحديث : ١٣٨٥، (٢١٠٠) الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٢) ضياء القرآن، (٣٢٣/١).

في كل أمر يهم المسلمين، وبالتالي كان تأثيره عظيماً في تسيير حياة المسلمين وتوجيهها ، وهذه الأمة تختلف عن سائر الأمم، حيث ميزها الله تعالى عن غيرها بخصال وردت في حديث المصطفى ﷺ « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً »[1]، من هذه الخصال أنَّ أيَّ مكانٍ تُؤدَّى فيه الصلاة يُسمَّى مسجدًا حال وقوع الصلاة فيه، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ دورَ المكان المخصَّص لاجتماع الناس ليس مقتصرًا على الصلاة فحسب، بل له وظائف أخرى تتصل بالتربية والتعليم والإصلاح، وقد أدرك السلفُ الصالح هذا المعنى فطبّقوه في واقعهم، ومن أبرز من جسّد هذا الفهم الشيخُ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، إذ لم يكن المسجدُ عنده مجردَ موضعٍ للعبادة، بل كان مركزًا تربويًّا وروحيًّا وعلميًّا نابضًا بالحياة، يحتضن مختلف الأنشطة التي تسهم في بناء الإنسان المسلم المتكامل.

وكان الشيخُ رحمه الله يرى أنَّ المسجد هو المدرسةُ الأولى لغرس الإيمان، وتزكية النفس، وتعميق الصلة بالله تعالى، وأنّ الصلاة فيه ليست مجرد أداء فرضٍ فحسب، بل وسيلةٌ لتربية القلب، وتثبيت الإخلاص، وغرس السكينة في النفس. وكان يردّد قائلًا: "إنّ مَن حافظ على صلاة الجماعة في المسجد، فقد حافظ على حياته الروحية كلّها" كما شارك الشيخُ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله بنفسه في عمارة المسجد وتنظيمه، وحرص على نظافته وتوفير الجوّ الروحي فيه، وكان يقول: "المسجد بيتُ الله، وكلُّ مَن خدمه فقد خدم دينَ الله" [2].

المطلب الثالث: المدرسة

ويلاحظ أن إنشاء المدارس كان متأخراً، فلم يكن في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد خلفائه الأربعة، وكذلك في أول عهد بني أمية، ولكن مع كثرة انتشار العلوم وتعدد الفنون، وكثرة انشغال الأسر بالأعمال، أصبحت المدرسة ضرورة ملحة، حيث أصبحت هي المؤسسة الاجتماعية المتخصصة التي عهد إليها المجتمع بتربية وتنشئة الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة مشتركة بذلك مع المؤسسة الاجتماعية الأولى التي وضعت البذور الأساسية للتنشئة الاجتماعية، ونعني بها الأسرة، ولم تكن المدرسة في نظر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله مجردَ مؤسسةٍ لتلقين العلوم والمعارف، بل كانت محرابًا للتزكية، ومصنعًا لتربية الأرواح والعقول، وميدانًا لصياغة الإنسان المتكامل. فقد آمن الشيخ بأن المدرسة تمثل الحصن الحصين الذي تُبنى فيه شخصية الجيل المسلم، وأن دورها لا يقتصر على تخريج الحفظة والدارسين، بل يمتد ليشمل إعداد الدعاة الصادقين، والعلماء العاملين، والقادة الربانيين الذين يحملون مشعل الهداية

---

(١) أخرجه البخاري في صحيح البخاري، باب التيمم، رقم الحديث: ٣٣٥، (١٧٤)، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٢) مجلة شهرية ضياء حرم، (ص/٩٤).

في ظلمات الحياة.

ومن هذا المنطلق، سعى الشيخ رحمه الله إلى بناء مدارس تربوية شاملة تُحيي في نفوس طلابها محبةَ الله ورسوله ﷺ، وتجمع بين علوم الشريعة وعلوم العصر، وتغرس فيهم قيم الخلق والانضباط وحسن المعاملة، كما تُنمّي فيهم روح المسؤولية تجاه دينهم وأمتهم ومجتمعهم.

وقد تجلّت هذه الرؤية التربوية المتكاملة عمليًا في تأسيسه دار العلوم المحمدية الغوثية بمدينة بهاولپور، حيث غرس فيها الشيخ مبادئه التربوية القائمة على الربط بين العلم والعمل، والمعرفة والسلوك، حتى أصبحت هذه المؤسسة نموذجًا متميّزًا يُحتذى به في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والعلم والتزكية.

وفي عام ١٩٥٧م توفّي والده الشيخ مُحَمَّد شاه رحمه الله، فتولّى الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله المسؤوليات الأكاديمية والروحية في دار العلوم المحمدية الغوثية، ويذكر الشيخ نفسه هذه المرحلة بقوله: "بعد وفاة والدي، بدأتُ أفكر: ماذا أفعل الآن؟ وبعد أيامٍ من التأمل والتفكير، توصلت إلى قرارٍ حاسم، وهو أن أبذل كل ما أستطيع، وأستفرغ جهدي فيما أعطاني الله من طاقة، دون أن أطلب سمعةً أو شهرةً أو مدحًا من أحد"[١]

قبل قيام دولة باكستان، أنشأ مسلمو شبه القارة الهندية مركزين تعليميين رئيسين، هما:

١. الجامعة الإسلامية في عليكره.

٢. دار العلوم ديوبند.

وقد قامت جامعة عليكره الإسلامية بتدريس العلوم الحديثة للمسلمين باللغة الإنجليزية، بهدف تمكينهم من فهم متطلبات العصر الحديث والتفاعل مع واقعه، وقد نجحت إلى حدٍّ كبير في تحقيق هذا الهدف.

وفي المقابل، تأسست دار العلوم ديوبند بغرض نشر الدراسات الدينية بين المسلمين، غير أنّ معظم طاقاتها كانت موجهة إلى تدريس منهجها التقليدي الخاص، وعلى الرغم من أن هذا المنهج كان يُعَدّ من أرقى المناهج الدينية في زمانه، فإن مرور الزمن كشف عن الحاجة الملحّة إلى مراجعته وتطويره.

وقد أدّى التباين بين المؤسستين إلى نشوء نوعٍ من التصادم الفكري والاجتماعي بين خريجيهما؛ إذ كان علماء ديوبند ينظرون إلى خريجي عليكره على أنهم مقرّبون من البريطانيين ومتأثرون بالثقافة الغربية، في حين كان خريجو عليكره يصفون علماء ديوبند بأنهم متقوقعون ومحدودو الأفق.

وكان الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله يشعر بقلقٍ عميق إزاء هذا الانقسام، لما كان له من آثارٍ سلبية على وحدة الصف الإسلامي وتقدُّم المجتمع. وبعد أن تولّى إدارة دار العلوم المحمدية الغوثية، عزم على إجراء إصلاحٍ شاملٍ في مناهج التعليم الديني التقليدي، ليجمع بين الأصالة والمعاصرة.

---

(١)تجلبات ضياء الامت، (ص/٥٠١).

وبعد دراسةٍ متأنّيةٍ وتأملٍ طويل، وضع منهجًا متوازنًا يجمع بين العلوم الشرعية الأصيلة والعلوم الحديثة المعاصرة، بهدف تخريج علماء ربانيين يمتلكون بصيرتين:

إحداهما: متصلة بتراث الأمة وثوابتها،

والأخرى : منفتحة على تحديات العصر ومقتضياته.

وكان من أهم أهداف الشيخ رحمه الله أن يتجاوز دور العلماء حدود المساجد والمنابر، ليكونوا قادرين على سدّ الفجوة بين المتعلمين المعاصرين والعلماء الشرعيين، بما يسهم في توحيد صفوف الأمة الإسلامية في مواجهة التحديات المشتركة، وتحقيق نهضتها العلمية والروحية والفكرية.وقد اهتم الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري بإحياء مدرسة دار العلوم بعد عودته من مصر إلى باكستان، إذ أطلق عليها "النشأة الثانية" وقد صرّح الشيخ بنفسه قائلاً: "لقد أضفنا وفقًا لمتطلبات العصر الحاضر ثلاث مواد إلى مناهجنا الدراسية، وهي: اللغة الإنجليزية، والاقتصاد، والعلوم السياسية، والهدف من ذلك أن يكون علماؤنا قادرين على أداء واجب الدعوة إلى الإسلام باللغة الإنجليزية التي تشتد الحاجة إليها وكذلك ليتمكنوا من التعرف على الأنظمة السياسية المعاصرة ومقارنتها بالنظام السياسي الإسلامي، وإبراز تفوقه وبيان محاسنه، وهكذا ينبغي لطلبة دار العلوم أن يكونوا على دراية تامة بالنظم الاقتصادية الحديثة، ثم يفهموا النظام الاقتصادي الإسلامي فهمًا عميقًا، ويعرضوا تفوقه على زوّارهم ومستمعيهم بوضوح وقوة. فإن لم تُولوا أيها السادة اهتمامًا بهذه العلوم، فقد يضيع الجهد الذي بذلتموه طَوال تلك السنين، كما أن أهداف إدراج هذه المواد في المنهج الدراسي لن تتحقق، وهاتان خسارتان جسيمتان لذا، لا بدّ أن تُحافظوا على صلتكم بهذه العلوم، وأن تزدادوا فيها علمًا وبحثًا، لتُثبتوا سموَّ الإسلام وأفضليته من خلال المقارنة والبرهان"[1].

المطلب الرابع: التطبيقات التربوية المعاصرة لفكر الشيخ كرم شاه الأزهري في المؤسسات التربوية

التطبيقات التربوية المعاصرة في المؤسسات التربوية: تُعَدُّ نموذجًا متكاملًا يمزج بين الأصالة والمعاصرة، ويستند إلى رؤيته الشاملة في تربية الإنسان المسلم تربية متوازنة تجمع بين بناء الروح والعقل، وتوازن بين علوم الدين وعلوم الدنيا. وفيما يلي أبرز التطبيقات التربوية المعاصرة التي يمكن استلهامها من فكر الشيخ في المؤسسات التربوية:

١- دمج العلوم الشرعية والعلوم الحديثة

كان الشيخُ مُحَمَّد كرم شاه الأزهريّ رحمه الله من روّاد الدعوة إلى إدماجِ العلومِ الحديثةِ كالسياسة والاقتصاد واللغة الإنجليزية في مناهجِ التعليمِ الديني، لا لمجرّد مواكبة العصر، بل لامتلاك أدواته، والغايةُ من ذلك تمكينُ الدعاةِ والعلماءِ من فهمِ الواقع المعاصر وتحليلِه تحليلًا عميقًا، ومواجهةِ التحدّياتِ الفكريّة بعقليةٍ علميّةٍ راسخة، والدعوةِ إلى الإسلام بلغةِ العصروخاصةً الإنجليزية بما يلائم البيئاتَ الغربيّة والعالميّة ويحقّق أثرًا إيجابيًّا واسعًا، وهكذا يتخرّجُ العالِمُ الرّبّاني

(١) تجلبات ضياء الامت، (ص/٥٠٣).

القادرُ على الجمعِ بين الأصالةِ والمنهجيّةِ الحديثة، وبيانِ محاسنِ الشريعةِ عند المقارنة بالنُّظُمِ الوضعية في السياسةِ والاقتصاد.

تطبيق معاصر:

يمكن للمؤسسات التربوية اليوم أن تطور مناهجها بإضافة مساقات في الاقتصاد الإسلامي، القانون المقارن، الفكر السياسي الإسلامي، واللغات العالمية بجانب العلوم الشرعية.

٢-غرس القيم من خلال التربية الإيمانية والسلوكية

أكّد الشيخ عليه الرحمة على ضرورة تربية القلب قبل العقل، وأن التربية تبدأ من تعزيز الإيمان، وترسيخ التزكية، وتنمية الأخلاق كالصدق، الإخلاص، التواضع، وحب الخير للناس.

تطبيق معاصر:

برامج التزكية الشخصية، والسلوك الأخلاقي، وجلسات المراقبة الروحية مثل "محاسبة النفس" و"جهاد النفس" داخل بيئات التعليم، إلى جانب تشجيع طلبة العلم على أن يكونوا قدوة في مجتمعاتهم.

٣- تعظيم دور المعلم والمربي كقدوة

كان الشيخ عليه الرحمة قدوة عملية في حياته؛ يعمل بيده، يشارك في خدمة الطلاب، ويسهر على شؤونهم، ويوجههم بأفعاله قبل أقواله.

تطبيق معاصر:

من أبرز التوصيات كذلك :تدريب المعلمين على أن يكونوا قدوات سلوكية وأخلاقية داخل البيئة التعليمية، بما يجعل شخصياتهم نموذجًا عمليًّا أمام الطلاب، مع تحفيزهم على ممارسة ما يعلّمونه من قيم وسلوك حتى ينعكس أثر التعليم في واقع الحياة اليومية للطلاب.

٤-الانفتاح على العالم مع الحفاظ على الهوية

عاش الشيخ وتعلم في الأزهر، واطلع على الثقافات المختلفة، لكنه حافظ على هويته العلمية والدينية.

تطبيق معاصر:

- تشجيع الطلاب على التبادل الأكاديمي، والمشاركة في برامج دولية، مع برامج توعوية للحفاظ على الهوية الإسلامية والفكر الوسطي.

٥- الاهتمام بالمؤسسات الوقفية والتعليمية المستقلة

أسس الشيخ دار العلوم مُحَمَّدية غوثيه، ووسّع فروعها، وجعلها مركزًا لنشر العلم والتربية.

تطبيق معاصر:

- دعم إنشاء المدارس والمعاهد الوقفية التي تكون مستقلة في قرارها، ملتزمة بمنهج تربوي وسطي أصيل.
- تطوير نماذج إدارية مستدامة توازن بين العمل الخيري والتطوير المؤسسي.

٦-التكامل بين المسجد والمدرسة

لم يكن الشيخ يرى الفصل بين التربية الروحية في المسجد والتعليم الأكاديمي في المدرسة.

تطبيق معاصر:

من التوصيات المهمة التي يبرزها فكر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري :تعزيز العلاقة بين المسجد والمدرسة من خلال برامج تربوية وروحية مشتركة تُسهم في ربط الناشئة بروح الإيمان والسلوك القويم، وكذلك إدماج الصلاة والأذكار وتنمية الروح الجماعية ضمن الجدول اليومي للمدرسة بما يرسخ العادات الإيمانية في نفوس الطلاب ويجعلها جزءًا من حياتهم العملية والتعليمية

٧.-التركيز على التربية بالدعوة الفردية

اهتم الشيخ بالدعوة الفردية، ورأى أنها أساس التغيير الحقيقي، ودعا إلى تربية الطلاب على الوعي بدورهم في إصلاح المجتمع.

تطبيق معاصر:

من أبرز ما يمكن الاستفادة به من فكر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري في واقعنا المعاصر :إنشاء أندية دعوية وفكرية داخل المؤسسات التربوية تُسهم في غرس القيم الإسلامية وتنمية روح الحوار البنّاء بين الطلاب، وكذلك إعداد برامج نوعية لتأهيل "الداعية العصري" القادر على التأثير الإيجابي داخل المجتمع بأسلوب حكيم يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

خلاصة الكلام:

إنَّ فكرَ الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله يقدّم منظومة تربوية متكاملة، يمكن أن تُلهِم المؤسسات التربوية اليوم في إعداد جيلٍ مؤمنٍ راسخ العقيدة، مثقفٍ واعٍ بواقع **أمته**، عاملٍ فاعلٍ في بناء مجتمعه، وقادرٍ على الجمع بينالأصالة والمعاصرة.

الفصل الثالث:
الرؤية التربية والمتكاملة عند الشيخ محمد كرم شاه الأزهري

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التربية الإيمانية

المبحث الثاني: التربية الأخلاقية

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية

المبحث الأول: التربية الإيمانية

تُعَدّ التربية الإيمانية الركيزةَ الأولى في بناء الإنسان المسلم عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، فهي الأساس الذي تُقام عليه سائر جوانب التربية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية. فالإيمان في نظره ليس مجرد معرفةٍ نظرية أو اعتقادٍ ذهني، بل هو نورٌ يملأ القلب ويهدي السلوك، ويترجم إلى عملٍ صالحٍ وإخلاصٍ لله تعالى في كل شأنٍ من شؤون الحياة، ومن هذا المنطلق، ركّز الشيخ في منهجه التربوي على ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتعميق صلة العبد بربه، وتنمية روح المراقبة والخشية، حتى يكون المتعلم مرتبطًا بالله في فكره وسلوكه، فينشأ جيلٌ قويّ الإيمان، ثابت المبادئ، عاملٌ لدينه وأمته بروحٍ صادقةٍ وهمةٍ عالية، و المبحث الأول يحتوي على ثلثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحا

سيتناول هذا المبحث الإيمان بمفهومه الشامل، من حيث دلالاته اللغوية والاصطلاحية، مع تسليط الضوء على التصور الإيماني كما عرضه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، مبينًا ملامحه الأساسية وموقعه في منهجه التربوي العام.

تعريف الإيمان:

أ-المعنى اللغوي: الإيمان في اللغة معناه التصديق، ومنه قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف العلي: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنا صادِقِين﴾ [(١)]. أي يقولون: (ونحن نعلم أنك لا تصدقنا)[(٢)].

فالإيمان إذا هو مصدر (أمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق[(٣)].

ب- المعنى الاصطلاحي: تعددت آراء وأقوال الطوائف والفرق الإسلامية في المعنى الشامل للإيمان، ولكن أحسن ما قيل في معناه ما ذكره جمهور العلماء، وفي مقدمتهم السلف الصالح، ثم سار على ذلك أعظم أهل السنة، وهو (تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، مع إظهار الخضوع والقبول لما أتى به، فهو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان) [(٤)].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧

(٢) تفسير ابن كثير، حافظ عمادالدين، (١٣٨٩/٢) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (ص/ ١٣-٢٣)١٣٧٥هـ.

ومن ذلك قول الزجاج رحمه الله، حيث قال: "الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاكّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب"[١].

فحقيقة الإيمان الكامل أن يشتمل على ثلاثة أمور: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، [٢] أي يدخل الإسلام في الإيمان ضمناً، لأنه إذا ذكر الإيمان لوحده اشتمل على معنى الإسلام، وكذلك العكس، فهنا تعريف الإيمان اشتمل على معنى الإسلام، لأن النطق والعمل بالجوارح إيمان ظاهر.

المطلب الثاني: مفهوم الإيمان عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه:

لا يختلف مفهوم الإيمان عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله عن المفهوم المعروف في كتب العقيدة، غير أنه قسّمه إلى نوعين مميزين:

الإيمان التقليدي: الذي يكتسبه الإنسان بالميراث والتقليد؛

والإيمان التحقيقي: الذي ينبع من الفهم العميق والتجربة الروحية، وقد وضّح الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله الفرق بينهما في مؤلفاته وتفسيره فيقول:"إن الإيمان التقليدي مُعرَّض لهجمات الشبهات والأوهام، بينما الإيمان التحقيقي أوسع منه وأرسخ، وله مراتب متعددة"[٣] وقد كان اهتمام الشيخ رحمه الله منصبًّا على ترسيخ الإيمان التحقيقي، المبنيّ على العلم والمعرفة، وهو الإيمان الحق في نظره؛ إذ يشمل قول اللسان، وعقد القلب، وعمل الجوارح، أو بتعبير آخر: شهادةً وعقيدةً وسلوكًا. أي مفهوم الإيمان عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله يتميز بالشمول والعمق، ويرتبط في منهجه التربوي ارتباطًا وثيقًا بالعمل والسلوك، لا يقتصر على الجانب العقدي أو القولي فقط، بل يتعداه إلى التطبيق العملي والواقع الحياتي. ويمكن تلخيص مفهوم الإيمان عنده في النقاط التالية:

١- تقسيمه للإيمان إلى إيمان تقليدي وتحقيقي:

- يرى الشيخ أن الإيمان نوعان:

١-إيمان تقليدي: هو ما يتلقّاه الإنسان تقليدًا عن بيئته ومجتمعه دون بحث أو تدبر.

وهذا النوع من الإيمان ضعيف، سريع التزلزل أمام الشبهات والشهوات، وهو معرض للفتن والانحراف.

---

(١) تركيب اللغة العربية، زحيلي، (ص/٢٢)، الطبعة: ١٤١٤هـ.

(٢) الإيمان، ابن تيمية، الباب الإيمان، (١/٣٠٤، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٣) ضياء الفرآن، (٤/٣٤٤).

٢-إيمان تحقيقي: وهو الإيمان الناتج عن علم وبصيرة ويقين، يقوم على الفهم العميق لأصول العقيدة، ويتغذى من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهذا هو الإيمان الحقيقي الذي يُثمر العمل الصالح، ويقوّي الإرادة في مواجهة الابتلاءات.

٢- الإيمان عنده قول وعمل:

يوافق الشيخ كرم شاه مذهب أهل السنة والجماعة في أن: "الإيمان قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، ويُؤكد أن الإيمان لا يكون صادقًا حتى يظهر في السلوك والأخلاق، وأن من يدّعي الإيمان ولا يظهر أثره في أفعاله فهو كاذب أو ناقص الإيمان.

٣- الإيمان وسيلة للتربية:

يرى الشيخ أن الإيمان ليس مجرد فكرة أو اعتقاد، بل هو المنطلق الحقيقي للتربية الشاملة، ويرتبط بالتزكية، والتطهير النفسي، وبناء الشخصية، لذلك، يُعَدّ ترسيخ الإيمان التحقيقي في النفوس

٤- مظاهر الإيمان في تفسيره:

في تفسيره ضياء القرآن ركّز الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري على الجوانب الإيمانية في القرآن الكريم، وربطها بالسلوك والواقع العملي؛ إذ يرى أن كل آية تُغذّي جانبًا من جوانب العقيدة، وتُربّي النفس على خشية الله، وحبّ الخير، والإصلاح، ورفض الظلم.

المطلب الثالث: أهمية الإيمان في حياة الإنسان:

أهمية الإيمان في حياة الإنسان تُعدُّ من أهمّ ما ركّز عليه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله في كتاباته وتفسيره، وهو يرى أن الإيمان هو الأساس الذي تُبنى عليه شخصية الإنسان، وسرُّ نهوضه وسعادته في الدنيا والآخرة. ويمكن تلخيص أهمية الإيمان في النقاط الآتية:

١- الإيمان هو الغاية من خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١]. فالعبادة لا تكون عبادةً حقة إلا إذا كانت مبنية على الإيمان بالله وتوحيده، لأن الإيمان هو الأساس الذي يُوجِّه حياة الإنسان نحو طاعة الله وطلب مرضاته.

٢-الإيمان يُهذِّب النفس ويُزَكّي الروح

الإيمان يطهّر القلب من الحقد والحسد، ويُعلِّم الإنسان الصبر والتواضع، كما يمنحه سلامًا داخليًّا واستقامةً في السلوك، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[٢]. ولا تزكية إلا من خلال الإيمان الصادق والعمل الصالح.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦

(٢) سورة الشمس، الآية: ٩

٣-الإيمان يُعطي الحياة معنى وغاية

بدون الإيمان، تتحوّل الحياة إلى عبث وقلق، أما المؤمن فيعلم أن حياته مرتبطة بمقصدٍ عظيم، فيعيش مطمئنًا أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه. قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]. فالطمأنينة التي يجدها المؤمن لا تُشترى بالمال، ولا تُحقّقها الدنيا

٤- الإيمان دافع قوي للعمل والإصلاح

الشيخ كرم شاه يرى أن الإيمان الحق ليس خمولًا ولا انعزالًا، بل هو دافع للعمل، والإنتاج، وخدمة الناس، والجهاد في سبيل الله، فالمؤمن الحقيقي يسعى للإصلاح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لأنه يشعر بالمسؤولية تجاه مجتمعه.

٥-الإيمان مصدر الثبات وقت الأزمات

عندما تحلّ المصائب، يكون الإيمان هو السند الذي يُثبّت الإنسان ويمنعه من الانهيار، كما قال الله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٢]. وقد شدد الشيخ رحمه الله في مواعظه على أن من لا إيمان له لا صبر له، وأن الصبر ثمرة من ثمار الإيمان الراسخ.

وكذلك أهمية الإيمان لحياة الإنسان لايعرف أهمية الإيمان في الحياة إلا أهل الإيمان الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٣].

الإيمان يوجّه الإنسان في كل جوانب حياته؛ فيجعله صادقًا، أمينًا، رحيمًا في أخلاقه، بارًّا محسنًا في أسرته قائمًا بحقوق أهله، نافعًا لمجتمعه ساعيًا للخير معينًا للمظلوم، كما يجعله يحمل همَّ أمته، ويخدم دين الله بإخلاص ووفاء. وكذلك من وصفهم الرسول بقوله «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»[٤]، والمؤمن الصادق في هذه الحياة يشعر بذلك، حيث يجد الإيمان بالله وحده دون سواه سلاحاً قوياً فعالاً في مصارعة أعدائه من شياطين الجن والإنس وهوى النفس الأمارة، فلا يعتريه خوف ولا هلع، ولا يصاحبه جين أو إحجام عن الإقدام تطيراً أو تشاؤماً، بل عزم صادق وتوكل قوي على الله تعالى، وتفويض لأمر الله تعالى وقضائه وقدره مستشعراً قول الله تبارك

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨

(٢) سورة الطلاق، الآية ٣

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب سنن الترمذي، باب الدليل على من رضي بالله رباً، رقم الحديث: ٢٦٢٣، (١٤/٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.وحكم الألباني هذاالحديث صحيح

وتعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّل المؤْمِنُون﴾[1] أي نحن تحت مشيئته وقدرته، وهو سيدنا وملجأنا، ونحن متوكلون عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل[2].

أي نحن متوكلون عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل عن تمام التسليم لله تعالى والتوكل عليه في كل الأمور، وهو لبّ الإيمان الحق، فالشيخ يؤكد أن الإنسان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا بإرادة الله، وأن الاعتماد عليه وحده مصدر الطمأنينة والقوة، وترتبط هذه المعاني بأهمية الإيمان في حياة الإنسان، إذ يمنحه الإيمان بالله الثقة، والسكينة، والرضا بالقضاء، فيعيش مطمئنّ القلب، ثابتًا أمام الشدائد، عاملاً للخير مستعينًا بالله في كل شأن.

(١) سورة التوبة، الآآية: ٥١

(٢) ضياء الفرآن، (٢/ ٢١٨).

المبحث الثاني: التربية الأخلاقية

التربية الأخلاقية هي أحد أهم محاور التربية في الإسلام، وقد أولاها الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله اهتمامًا بالغًا في فكره ومنهجه، واعتبرها روح الدين وركنًا أساسيًا في بناء الإنسان والمجتمع.

المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا

تعريف الخلق: مفهومه في اللغة وفي الاصطلاح:

١ – في اللغة: الخلق بضم اللام: الخليقة، أعني الطبيعة، والجمع: أخلاق، والخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والخلق بمعنى السجية والطبع والمروءة والدين[١].

–يقول العلامة ابن منظور في كتابه لسان العرب: الْخُلُقُ وَالْخُلُقُ: السَّجِيَّةُ وَ هُوَ الدِّينُ وَالطَّبْعُ وَ السَّجِيَّةُ. وَ حَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لَصُورَةُ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةُ وَهِيَ نَفْسُهُ وَ أَوْصَافُهَا وَ مَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِمَنزَلَةِ الْخَلْقِ لِصُورَةِ الظَّاهِرَةِ وَ أَوْصَافِهَا وَ مَعَانِيهَا[٢].

–عند الإمام الغزالي: فَالْخُلُقُ عِبَارَةٌ عَنْ هَيْئَةٍ فِي النَّفْسِ رَاسِخَةٍ، عَنْهَا تَصْدُرُ الْأَفْعَالُ بِسُهُولَةٍ وَ يُسْرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَ رُؤْيَةٍ[٣].

المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

لعلم الأخلاق ناحيتان: إحداهما نظرية، والأخرى عملية.

١ – علم الأخلاق النظري: ويبحث في المبادئ الكلية التي تستنبط منها الواجبات الفرعية كالبحث عن حقيقة الخير المطلق وفكرة الفضيلة من حيث هي، وعن مصدر الإيجاب ومنبعه، وعن مقاصد العمل البعيدة وأهدافه العليا ونحو ذلك.

٢ – علم الأخلاق العملي: الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة[٤].

إن الغاية من علم الأخلاق تتحقق إذا كانت أخلاق الإنسان قابلة للتغيير وهذه مسألة اختلفت فيهكا آراء عند المفكرين: كان سقراط مؤسس هذا العلم على رأس القائلين بقبول أخلاق الإنسان للتغير، وكذلك يرى الإمام

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص/١١٣٧) الطبعة: ١٤٠٧هـ.

(٢) لسان العرب، (٨٦/١٠).

(٣) احياء علوم الدين،أبو حامد مُحَمَّد الغزالي، (٤٦/٣) الناشر: العثمانية المعرية.

(٤) ضياء القرآن، (٥٣٣/٥).

الغزالي بأن تغيير الخلق ممكن، أما أصحاب الاتجاه المعارض لقبول أخلاق الإنسان للتغيي فإنهم يذهبون إلى أن العلم ليس له أثر في إصلاح النفوس ومنهم: هربرت سنبسر[١] الذي ينكر أي صلة بين العلم والأخلاق يقول سنبسر: "كيف يرجى من العلم تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس بينما نرى من المتعلمين الذين استنارت عقولهم واتسعت مداركهم أفرادا لا أخلاق لا لهم ووعاظًا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم"[٢].

والحق في ذلك أن الرأي الأول يتجه إلى الصواب إذ كيف تكون دراسة الأخلاق لا فائدة فيها والله تعالى يقول: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]، ويُبيّن العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله رأيه المؤيّد للاتجاه الأول في تفسير الآية المذكورة، ويقول:"إن أصحاب الوعي الإسلامي والعقل السليم يستفيدون من نور الإيمان، وإنهم يتقبّلون الانتقال من الكفر إلى الإيمان.

أمّا الذين في قلوبهم زيغ، فلم يستضيئوا بنور الهداية، ومع ذلك، أيها النبي ﷺ، فاستمرّ في التذكير، فإن الذكرى تزيد المؤمنين بصيرة ويقينًا"[٤].

ولقد بيّن الشيخ رحمه الله حقيقةَ تحويل الأخلاق من العادات السيئة إلى الأخلاق الحميدة بيانًا وافيًا في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥] فقد ركّز في مستهل تفسيره على أن النبي ﷺ يُعدّ المثل الأعلى في الأخلاق، وهو قدوة حسنة ليس في الأخلاق العملية فحسب، بل إن شخصيته تشعّ بمحاسن أخلاق الأنبياء والمرسلين، وكان ﷺ متمسّكًا بمكارم الصفات ومحاسن الأفعال التي فطره الله عليها من صدق، وإخلاص، وأدب، وعفّة، وتواضع، وخدمةٍ للخلق. ولذلك، عندما سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلقه ﷺ أجابت: «كان خُلُقه القرآن»[٦]، وقد تجسّد هذا التأدب في ذات النبي ﷺ، وأشهد بذلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؛ إذ كانوا محظوظين بمشاهدتهم للأخلاق العملية التي جسّدت التأدب الإلهي، وكان لذلك أثر عظيم في تهذيب نفوسهم، وتحليهم بمكارم الأخلاق.

وعلّق الشيخ عليه الرحمة على هذه التوطئة بقوله: إن النبي ﷺ كان يأمر أصحابه بالتمسك بمحاسن الأفعال التي تزكّي النفوس وتُطهرها.

---

(١) (Herbert Spencer) واحد من أبرز الفلاسفة الاجتماعيين في القرن التاسع عشر.

(٢) مقدمة في علم الأخلاق، حمدى زقزوق، (ص/٢٢).

(٣ سورة الذاريات، رقم الآية ٥٥

(٤) ضياء القرأن، (٣٤٥/٤).

(٥) سورة القلم، الآية: ٤

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أومرض، رقم الحديث:٧٤٦.(٥١٢/١) الطبعة: دار إحياء التراث العربي،حكم الألباني أن هذاالحديث صحيح.

ونلاحظ هذه التوجيهات النبوية المتعلقة بالأخلاق العملية في الأحاديث الآتية:

١–عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

٢–وعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى يُبغِض الفاحشَ البذيءَ »(٢).

٣–وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: المُتَكَبِّرُونَ»(٣).

وهكذا فإن الأحاديث النبوية تحثُّ على التحلّي بالأخلاق الفاضلة التي تَسعد بها الإنسانية، وتدعو الإنسان إلى اجتثاث الأخلاق السيئة والارتقاء منها إلى مكارم الأخلاق، كما أشار إلى ذلك الشيخ العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله– في سياق تفسيره(٤).

ب – معنى تربية الأخلاق في الإسلام:

تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملاً من الناحية الأخلاقية، بحيث يصبح في حياته مفتاحاً للخير، ومغلاقاً للشر في كل الظروف والأحوال(٥).

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق، قال: " هُوَ بَسْطُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى"(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم الحديث: ١٩٨٧ (٣٥٥/٤) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢: ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م، وحكم الألباني هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث: ٢٠٠، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، حسنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم، وهو على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث: ٢٠١٨، (٤٣٧٠) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م، صححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) ضياء القرآن، علامة مُحَمَّد كرم شاه، (٣٧٥/٥).

(٥) علم التربية السلامية، مقداد يالجن، (ص/٢٠) الطبعة: ١٤٠٦هـ ١٣٩٧هـ.

(٦) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث : ٢٠٠٥ (٣٥٠/٤) تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، أثر صحيح ثابت عنه بسند صحيح.

ومن المفهومين اللغوي والاصطلاحي استنتج الباحث الآراء التالية:

– أن الأخلاق على قسمين: فطري متعلق بطبيعة وسجية الإنسان، ومكتسب بالتنشئة منذ الصغر.

– منها حسن وقبيح، سواء كانت ظاهرة أو باطنة، أن التربية على الأخلاق تشمل الظاهرة والباطنة

– أن الأخلاق الحسنة تجمع طلاقة الوجه، وإسداء المعروف، وكف الأذى.

ولأهمية الأخلاق الحسنة اهتم الإسلام بها وحث عليها بكل صورها وأشكالها، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[١]، وقال النبي ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[٢] .

والشيخ الأزهري رحمه الله تعالى تناول في فكره الإسلام الشامل الجميع جوانب الحياة الدنيا والآخرة، وأن الغاية من خلق الإنسان العبودية الكاملة الشاملة الله تعالى التي تنفق وواقع الفطرة السليمة، لذلك ربى طلابه على الأخلاق الحسنة وعلى التخلق بها قولاً وعملاً من الصدق والوفاء والصبر والشجاعة والتضحية، وحثهم على امتثال ما يوصلهم إلى رضا الله تبارك وتعالى، من الشكر والإخلاص والحب والبدل والعطاء والخضوع لله بإظهار العجز والفقر والتذلل له دون غيره، ومما يلفت النظر أن دعائم الأخلاق في القرآن متناثرة في مواضع عدة، وكلها تؤكد أن نظام الأخلاق كامل بجميع نواحيه من الإلزام والمسؤولية والجزاء والنبية والجهد، وهذه العناصر الخمسة يدور حولها نظام الأخلاق في القرآن كما يبين ذلك الدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز، ثم تبعه الآخرون، وقد جعل الشيخ عليه الرحمة هذه العناصر في أماكنها التي تختص بها في صحيفة العلم والحكمة، وبيتها ونظمها في عقد واحد، ففي البداية نأخذ الإلزام دراسة وتحليلا من منظور ضياء القرآن.

الإلزام: هو الأصل الرئيسي الذي يدور حوله النظام الأخلاقي وهو كما أشار إليه الدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز[٣]:

"العنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته ؛

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ، رقم الحديث: ٢٦٢٦،(٤/ ١٦٠٧) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، رقم الحديث: ٢٥٥٣،(٤ /١ ٩٨٠) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، متفق عليه.

(٣) عالم أزهري مصري جليل، وأحد كبار المفكرين في القرن الرابع عشر الهجريوُلد في قرية "محلة دياي"ونشأ في بيت علم، فوالده الشيخ عبد الله دراز من علماء الأزهر،انظر: أعلام الفكر الإسلامي المعاصر،إسماعيل، أحمد، (ص/٢١٥-٢٣٠).

ذلك أنه إذا لم يعد هناك الزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية فلا يمكن أن تسود العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية"[١] .

ومن اللافت للنظر أن الإلزام يستمد من مصادر معينة، وهو قوة الضغط الاجتماعي أو قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية[٢].

إن التعمق في مصادر الإلزام الأخلاقي يظهر أن الإنسان مدفوع بالغريزة أو محمول بالعاطفة، والحقيقة تؤكد أن الله خلق الإنسان بكامل الحرية والبساطة فهو شخصية مستقلة قادرة على التقويم والاختيار، كما ترسخت هذه الحقيقة في الآية القرآنية من سورة القيامة: ﴿بل الإنسانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾[٣].

وقد اتجه الشيخ عليه الرحمة في تفسير هذه الآية إلى أن للإنسان على نفسه حجة واضحة تلزمه بما فعل أو ترك، ولو طرح معاذيره وبسطها لا يمكنه أن يتخلص منها، وأنه حر في إرادته وأعماله، ومن الممكن أن يظهر نفسه متصفا بالزهد والتقوى أمام الناس، لكنه في واقع الأمر أبعد من ذلك، ومن هذا المنطلق فإن الإنسان البريء يطمئن بالله، ولن تقلقه تفوهات الناس كالنبي يوسف عليه الصلاة والسلام، وأما الإنسان المكلوم أمام الضمير فلن يمسه هدوء ولا راحة وإن أذنت محكمة القضاء ببراءته[٤].

وهذا النص التفسيري يؤكد لنا بأن الإنسان ليس مدفوعا بالغريزة أو محمولا بالعاطفة، لكنه يطرح سؤالاً بشأن علم الأخلاق وتأسيسه على الدين أو العقل، فعلى الفرض الأول يكون الدين أساسا لعلم الأخلاق، وفي هذه الصورة بصير الإنسان مقهورا أو مضطرا أمام القوانين الأخلاقية المستمدة من الوحي الإلهي لأن العقل لا دخل له في تبنيها.

وأما الفرض الثاني فيؤدي بالإنسان إلى كامل الحرية والاختيار بعيدا عن الأجواء الدينية وله حق في تفعيل الأنشطة التي تتعلق بحياته من أعمال الخير والشر وفق عقله وضميره، وفي هذه الصورة يظهر الدين أمامنا بأنه لا يقدر على تقديم النظام الأخلاقي.

وبهذا الصدد يحلل الإمام الغزالي هذه الأمور المعقدة ببيان العلاقة بين الدين والعقل، بأنها علاقة تعاون وتعاضد وليست علاقة نزاع وتضاد ؛ وذلك أن العقل يهتدي بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس، فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ، عبد الله دراز (ص/ ٢١).

(٢) نفس المرجع السابق (ص/ ٢٧).

(٣) سورة القيامة، الآية: ١٤– ١٥

(٤) ضياء القرآن، (٥/ ٤٣٢).

وهما متعاضدان بل متحدين ولكونهما متحدين قال الله تعالى: ﴿ نُور عَلَى نُور ﴾[1] أي نور العقل والشرع[2]،

فإن ثبت أمامنا بشأن الإنسان أنه حر في إرادته وأعماله، انهار أساس مصادر الإلزام الأخلاقي سوى المبدأ الرباعي من القرآن والسنة والإجماع والقياس، وهذا المبدأ الرباعي يقدم أساسا للإلزام الأخلاقي، والعقل السليم يؤيده تأييدا يسوقه إلى الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل الخلق الله ومما لا شك فيه أن الإلزام الأخلاقي شامل لجميع الأفراد إن كانوا ممن يتصفون بضمائرهم الحية، ولا يكون أحد منهم خارجا عن نطاقه من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه لا يكون مكرها، أما الإلزام الأخلاقي فإنه مقيد بشروط مهمة: وهذه الشروط هي كالآتي

- ١ إمكان العمل.

٢ – اليسر العملي.

-٣ التدريج في الأعمال.

١– إمكان العمل

من أهم شروط الإلزام الأخلاقي إمكان العمل، وهي مراعاة الطبيعة الإنسانية بأن يكون في وسعها إنجاز الأعمال، بشرط أن يكون القلب مليئا بالطرب والسرور، وقد رجح هذا الاتجاه الشيخ عليه الرحمة في تفسير الآية: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وسعها ﴾[3]. بقوله: إن الإنسان مكلف بطبيعته التي خلق عليها، وليس الإكراه من قبل الله تعالى، بل مكن الله الإنسان من القيام بواجبه خير قيام، ومن هذا المنظور نزلت هذه الآية، ففي الآية السابقة يقول الله: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ ﴾[4]. وقد اعتقد الصحابة أنها تنطبق على كل ما يدور في الضمير أفكارًا أو غرائز، أو ميولا فطرية، واليسر العملي هو السهولة في الأعمال، يجدها الناس وقت قصد الأعمال، ولا يتبعه عمل بوجود المشقة والتعنت فيه، ولا يسأم الإنسان منه كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾[5].

و شرح العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله هذه الآية بأن "رفع الحرج والتعنت سمة من سمات الشريعة الإسلامية، التي تقصد تقديم السهولة في الأعمال لا الإحراج للإنسانية"[6]

وهذا جميع اليسر العملي ليس مقصورًا على الشريعة المحمدية، بل يمتاز بهذه السمة الأديان السماوية، وأما

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥

(٢) مقدمة في علم الأخلاق، حمدي زقزوق (ص/١٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥

(٦) ضياء القرآن، (١/١٢٥).

تسليط العذاب على الأقوام السالفة وتشديد النكير عليهم فهو جزاء بما كسبوا نكالا من الله كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[1].

لقد أيد الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله هذه الرؤية في تفسير الآية بقوله: "إن تحريم الأشياء على الأقوام السالفةكان بسبب إصابة الجسم أو الروح بالضرر، ومن جانب آخر يكون التحريم بسبب عدم الامتثال كما سلط الله تعالى على اليهود عذابًا يبغيهم، وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم، وفطم لنفوسهم من اندفاعها في الشهوات، وإنا الصادقون في جميع الأخبار التي زودناها بكم بواسطة الوحي الإلهي"[2].

ومما يجدر الإشارة إليه أن هذين الشرطين لا يظهر فيهما منفعة ولا فائدة إلا إذا وجد معهما الشرط الثالث للإلزام الأخلاقي وهو التدرج في الأعمال.

التدرج في الأعمال: اعتنت الشريعة السمحاء عناية فائقة بالتدرج في الأعمال لكي يستأنس الإنسان بأنشطته التعبدية والأخلاقية التي يمارسها ممارسة مثالية، وهذا الأمر البديهي يتراءى أمامنا في تفسير ضياء القرآن في سياق الآية: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِمَا ﴾[3].

وقد اتجه الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله إلى أن الإنسان يتعود شيئًا فشيئًا ولا يمكن أن يكره بعض الأشياء أو يحبها بسرعة، إلا بالعادة المتكررة التي رسخت في النفوس أو بالاستئناس التدريجي الذي يمتد في عدة أطوار، ثم يستعد الإنسان لامتثال ما أمر به، فقال في تفسير الآية: "إن الطبائع الصافية كانت تكره الخمر قبل نزول هذه الآية ؛ إذ سألا عمر بن الخطاب ومعاذا رسول الله ﷺ عن حكم الخمر في الشريعة الإسلامية، فقال: إنها مذهبة للعقل ومسلية للمال، فنزلت هذه الآية:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[4].

فأخذ بعض الناس يتجنبها ؛ ولم تكن حرمة الخمر قد نُصَّت صراحة في ذلك الوقت، أو أن النفوس لم تكن قد تهيَّأت لتركها بهذه السرعة. وبعد أيام قليلة أقام عبد الرحمن بن عوف ﷺ مأدبةً قدّم فيها الخمر . قبل تحريمها . ودعا إليها بعض أصحابه، فشربوا منها حتى جاء وقت صلاة المغرب.، وقام الجميع للصلاة، وأمهم واحد منهم، وقرأ بعد سورة الفاتحة (أعبد ما تعبدون) بدل﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[5]. فنزلت الآية: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦

(٢) ضياء القرآن، (١/٦١٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٩

(٥) سورة الكافرون، الآية: ٢

وَأَنتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[1]، وحتى ذلك الحين لم تترسّخ الكراهية في نفوس بعض صحابة رسول الله ﷺ بسبب حداثة عهدهم بترك عادات الجاهلية، وبعد مدة يسيرة أقام عتبان بن مالك[2] مأدبة كان فيها خمر قبل تحريمها، فشرب القوم حتى سكروا، وحينئذٍ أخذ كل واحد منهم يمدح شعبه وقبيلته بأشعار الجاهلية، فانبعثت فيهم العصبية القديمة التي قادتهم إلى الشجار كما كان يقع بينهم في الجاهلية. ووصلت هذه الأخبار إلى رسول الله ﷺ وكان عمر بن الخطاب إذ ذاك موجودًا هناك فابتهل إلى الله تعالى بدعائه: اللهم أنزل علينا حكمًا صريحا بشأن الخمر فنزلت الآية: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَام رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مهون ﴾[3]. فقضى الله تعالى قضاء نهائيا بحرمة الخمر شربها[4] وإدمانها، فهذا التدريج العملي مطلوب في الإلزام الأخلاقي لكي يعرف الناس مدى عمق الإلزام الأخلاقي بهذه الشروط الثلاثة التي ذكرناها آنفا.

المسؤولية

المسؤولية مرحلة تأتي بعد الإلزام الأخلاقي، وتلزم بالحرية الواعية ؛ لأنها أساس المسؤولية، وبدونها لا يترتب على الناس استجواب بسبب عدم شعورهم بالحرية الواعية، وللمسؤولية ثلاث مراحل

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الفعل وهي مرحلة نداء الواجب للشخص ومطالبته له بالعمل، والمسؤولية هنا تنظر إلى المستقبل، فهي مسؤولية تكليف ومطالبة.

المرحلة الثانية: مرحلة الإجابة لهذا النداء بالإيجاب أو بالسلب.

المرحلة الثالثة: مرحلة المحاسبة والتقدير لقيمة هذه الإجابة، وتأتي هذه المرحلة بعد الفصل، والمسؤولية هنا تلفت إلى الماضي، فهي مسؤولية استجواب ومحاسبة[5]. ومن هذا المنطلق فإن المسؤولية مرتبطة بالإلزام الأخلاقي والجزاء ؛ لأنها تتوسط بينهما والشرط في هذه الثلاثة إرادة تسمى نية يشترط في كل منها،

ومن اللافت للنظر أن المسؤولية تتناول نوعين:

النوع الأول: مسؤولية الإنسان عن نفسه فهو مسؤول عن نفسه وماله وعقله وجسمه وأوقاته وعن حياته بصفة عامة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣

(٢) هو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري، من بني سالم بن عوف من الخزرج،اشتهر بحديثه حين طلب من النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليجعل المكان مصلّى، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٤/٤٥٤) .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٠- ٩١

(٤) ضياء القرآن، (١/١٤٩).

(٥) مقدمة في علم الأخلاق، حمدي زقزوق، (ص/٣٩).

النوع الثاني: مسؤولية الإنسان نحو الآخرين[١].

وقد بين الشيخ عليه الرحمة مسؤولية الإنسان نحو نفسه أو نحو الآخرين كما اعتنى بالنوع الأول في تفسير الآية: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مسئولا﴾[٢].

وأكد الشيخ عليه الرحمة هذه الحقيقة بأن نعم السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة، وقد أخبر الله تعالى عباده بمسؤولياتهم نحو ذواتهم لكنهم ما أخلصوا الله في الإقلاع عن الذنوب؛ ولذا فإنهم مبتلون بالتخلف والانهيار في أحوالهم، ويترقبون نحو الناس في تحمل مسؤولياتهم آملين أن يكونوا مصلحي أحوالهم، ثم يتبعونهم قدوة في تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس، وقد حرض الله تعالى على أن يكون الإنسان مسؤولاً عن نفسه أمام الله تعالى، فعليه محاولة إصلاح ما أفسدته نفسه وتقبل المسؤولية عن ذاته في جميع الأحوال، فعندما يكون إنسانا مثاليا يقلده الناس في أطوار الحياة[٣].

فالإنسان يعيش في مجتمع بشري يتعامل معه صباح مساء، ولن يستغني عن المجتمع، ولا يقدر على العيش منقطعا عنه في عزلة ووحدة وإنما عليه مسؤولية نحو الآخرين كما أوماً إلى هذا الأمر صاحب الضياء في سياق الآية: ﴿ وَبِالْوَالِدَين إِحْسَناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٤]. وأبرز معاني الآيات بقوله: إن من مسؤولية الإنسان نحو الآخرين خدمة الوالدين ؛ لأن الله تعالى يسأل الناس يوم القيامة عن هذا الأمر ؛ إذ إن للناس حقا عليه، يوفي حقهم في تحمل المسؤولية نحوهم، ولذلك أمر الله تعالى بعد عبادته ببر الوالدين برا تاما، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عندك حال الضعف، وصارا في آخر العمر فلا تتأفف لما يصدر منهما بصوت يدل على الضجر ولا تزجرهما، وقل لهما قولاً جميلاً لينا إحسانًا وتكريما لهما[٥].

هذا وأمثاله من المسؤوليات التي ألقيت على كاهل الإنسان في باب الأخلاق من منظور الأجواء القرآنية التي تضمنت رفاهية الإنسان وأن يعيش عيشة طيبة دون اجتراح الرذائل من الأخلاق.

-الجزاء

الجزاء أثر مترتب على المسؤولية الملقاة على كاهل الإنسان نحو نفسه أو نحو آخرين في أمور الشر والخير" إن الجزاء هو الندم بعد اقتراف السيئات، تمهيدا وإعدادا للتوبة، وهو الجزاء الأخلاقي الحقيقي ومن هذا المنطلق: إذ إن

---

(١)مقدمة في علم الأخلاق، حمدي زقزوق، (ص/٤٠).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦

(٣) ضياء القرآن، (٦٥٣/٢).

(٤) سورة الإسراء الآية: ٢٣

(٥) ضياء القرآن، (٦٥٣/٢).

الندم أثر طبيعي للصراع، ولكنه ليس جزاء أما التوبة فهي على عكس ذلك تماما، إنها ليست أثرا طبيعيا، بل هي جزاء، وجزاء أخلاقي بالمعنى الحقيقي"[١].

ومن هنا يظهر أن الجزاء نوعان:

أحدهما: يترتب على الإنسان باجتراح الذنوب أو الرذائل من الأخلاق،

وثانيهما: يعود على الإنسان بالخير والنفع، وقد لفت الشيخ مُحَمَّد كرم شاه النظر إلى في هذين النوعين بشرح وافي وألقى الضوء على عمق الجزاء الأخلاقي متجليا في مرآة القرآن، كما علق على النوع الأول في سياق تفسير الآية: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فقد فسر هذه الآية بقوله: والذين إذا فعلوا خطيئة نحو الآخرين، أو تحملوا ذنبا يتعلق بذواتهم، تذكروا الله وجلاله وعقابه وثوابه، ورحمته، ونقمته، فندموا وطلبوا مغفرته ؛ إذ لا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يقيموا على فعلهم وهم يعلمون قبحه [٣].

إن الجزاء الأخلاقي يعقب ممارسة أمور الخير، ويملأ بالسعادة قلوب الممارسين لهذه العملية الأخلاقية كما نوه الشيخ عليه الرحمة في سياق الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[٤]. وفسرها بقوله: "إن الذين نوروا عقولهم وقلوبهم بنور الإيمان، وصارت حياتهم ربيعا لهم بفضل الأعمال الحسنة التي أنجزوها، لهم أجر غير مقطوع من الله تعالى على فعل الحسنات في الدنيا"[٥].

وفي هذا الإطار يمكن القول بأن للجزاء ناحيتين، الناحية الإيجابية، والناحية السلبية، وهاتان الناحيتان تحملان في طياتهما خيرا وسعادة وبشرى للذين ينيبون إلى الله في الشر والعلن، ولم يكن في قلبه رجوع إلى الرذائل والنقائص الأخلاقية.

-النية

اهتم الأخلاقيون بالنية وعنوا بها عناية فائقة باعتبارها أساسا لبناء الأخلاق، تلحق بالإلزام الأخلاقي والمسؤولية والجزاء ؛ لأنها تسري في ذلك كله منهما، والنية هي الإرادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة، وبيانه أن جميع الأعمال

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن، عبد الله دراز، (ص/٢٥٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥

(٣) ضياء القرآن، (٢٧٧/١).

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٨

(٥) ضياء القرآن، (٣٣٢/٢).

لا تصح إلا بقدرة وإرادة وعلم، والعلم يهيج الإرادة، والإرادة باعثة للقدرة، والقدرة خادمة الإرادة [١].

وللنية أنواع بحسب إرادة الإنسان الذي يتفكر قبل أن يدلف إلى الأعمال، فمنها النية الحسنة، والنية السيئة، ونية إرضاء الناس، ونية التهرب من تحمل المسؤولية، وهذه الأنواع الأربعة خص كلا منها بالذكر صاحب الضياء في أماكنها، ونبدأ هنا بالنية الحسنة.

النية الحسنة:

هي نية خالصة لله تعالى يثيب عليها ثوابًا عظيمًا، وهي كما تحدث العلامة مُحَمَّد كرم شاه عنها في سياق تفسير الآية: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم تَشْكُورًا ﴾[٢]. بأن النية في الأعمال نيل الأجور الجزيلة من الله تعالى يوم الدين، وإنه لن يغدق بالنعم كلها، ظاهرها وباطنها على الذين يتأهلون بشروط ثلاثة: الإيمان، والسعي المشكور، والنية المحضة لله تعالى ؛ ولذلك قدم بيان النية في الآية لأنها شرط أساسي، وإن عدمت النية انهار بناء الأعمال، فالنية الحسنة تحسن أعمال الانسان وتخفف أعباءه ويضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ومن هذا المنظور فإن الإنسان يرى الورود والأزهار عندما يواجه المصاعب بكل الأشكال والأنواع بسبب النية الحسنة [٣].

-النية السيئة:

هي سبب إفساد الأعمال وإهلاك الحسنات التي يمارسها خلال نيته السيئة، وقد تكلم العلامة مُحَمَّد كرم شاه في تفسير الآية:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٤]. بقوله: "إن الذين يتعاظمون عن دعائي ويقصدون بعبادتهم استكبارًا وعلوا على الناس سيدخلون جهنم صاغرين"[٥]. وضمن النية السيئة تأتي نية إرضاء الناس ونية التهرب من تحمل المسؤوليات.

-نية إرضاء الناس:

وهذه النية السيئة ألفها الناس عندما عزموا على حصول الجاه والمنزلة بين الناس بواسطة محاولات طيبة بادئ ذي بدء، وذكر العلامة مُحَمَّد كرم شاه هذا النوع ضمن تفسير الآية: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، (٤/ ٢٦٢).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٩

(٣) ضياء القرآن، (٣ /٤٨٦).

(٤) سورة الغافر، الآية: ٦٠

(٥) ضياء القرآن، (٣ / ٣١٦).

(٦) سورة الماعون، الآية: ٥-٧

فالهلاك للمصلين المتسمين بالصفات التي ندنس الأخلاق وهم الذين عن صلاتهم غافلون غير منتفعين بها، ويظهرون للناس أعمالهم لينالوا المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة في قلوبهم والثناء عليهم[١].

وهذه النية السيئة تتلون بلون من التهرب من تحمل المسؤوليات كما تأكدت هذه البديهة في سياق الآيتين، ﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾[٢]. وفسرهما الشيخ عليه الرحمة بقوله:

"إن الرجال من صنعاء حسب رأي جمهور المفسرين أصروا على الحصول على الثمار والفواكه من جنتهم دون إعطاء الحق للمساكين، فاندفعوا وهم يتهامسون متواصين ألا يمكنن أحد منكم اليوم مسكينا من دخوله عليكم، فكان قصدهم السيئ حرمان المسكين من الصدقات (وأنهم يريدون التهرب من تحتل هذه المسؤولية، لذلك سلط الله عليهم عذابًا هونا بما كانويكسبون"[٣].

-الجهد:

الجهد لازم النية لأنها تهيج الأعمال، وتدفع الإنسان إلى اقتحام العقبات والمشكلات بجد وكد كما تلقى هذا التحريض القرآني على بذل الجهد في الآية: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾[٤].

فأدلى الشيخ عليه الرحمة برأيه في تفسير هذه الآية قائلا: "على الرجال الكاملين في الإيمان سعي جميل ومحاولة طيبة إلى طريق قويم لأن الفراغ الذاتي مدعاة لوساوس الشيطان ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب الله: "إني لأكره أن أرى أحدا منكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته" [٥]، و يبكي العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله بكاء مرا على ضياع مجد الإسلام بسبب الكسل في الأعمال، أو بعدم الاعتناء من قبل المسلمين بأداء دورهم بالجهد والحيوية نحو الرقي والحضارة المتطورة والثقافة الراقية ؛ ولذلك وتجه صوت عمر بن الخطاب الله إلى الأمة المقتصدة لتفعيل أنشطتهم نحو التطور والازدهار في عصرنا الراهن[٦].

ومما يثير الانتباه أن الجهد يتشكل في جهد المدافعة أحيانا وفي جهد الإبداع أحيانًا، فجهد المدافعة هو تلك العملية التي تقع فيها مواجهة الميول الخبيثة التي تحثنا على الشر بقوة مقاومة قادرة على دفع تأثيرها[٧] كما نبه إلى هذا الأمر المهم صاحب الضياء في سياق تفسير الآية: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ فِي

---

(١) ضياء القرآن، (٥/ ٦٨١).

(٢) سورة القلم، الآية: ٢٣- ٢٤

(٣) ضياء القرآن، (٥ /٣٣٦).

(٤) سورة ألم نشرح، الآية: ٧

(٥) ضياء القرآن، (٥٦٠١).

(٦) نفس المرجع، (ص/ ٦٠٢).

(٧) دستور الأخلاق في القرآن، عبد الله دراز، (ص/٥٩٤).

الْمَأْوَى ﴾[1].

وذلك أن من خاف عظمة ربه وجلاله وكف نفسه عن الشهوات فإن دار النعيم هي المنزل الدائم له، وبهذا الصدد نقل أقوال الصالحين مثل الشيخ بهاء الدين النقشبندي[2] رحمه الله تعالى حيث كان يقول في باب جهد المدافعة، وجدت طريقا أقرب الطرق إلى الله وهي مخالفة النفس، وقال الشيخ ثناء الله بأني بتي[3]: "والحصن الحصين في هذا المقام، التثبت بذيل شيخ فان في الله باقي به وأن لا يفعل شيئا إلا بأمره" [4].

ومن اللافت للنظر أننا ندرك أهواء ذات خبث ورجس، وهذه حالة يتمكن منها الصالحون بقهر النفس الأمارة لكن هناك حالة أخرى تطرأ على الناس المستضعفين حيث يتغلبون على الإرادات السيئة بعد جهد طويل مستميت.

جهد المبدع:

وهي حالة لا يدافع المرء فيها حملات النفس والشيطان، بل يستبق الحسنات والخيرات ويهاجم أعداء الخير والسعادة، كما نلحظ هذه الرؤية في تفسير الآية التي ساقها العلامة مُحَمَّد كرم شاه ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[5]. بتعبيره المتميز، وذلك أن الله تعالى يحض عباده على التسارع في الخيرات والتنافس في البر والتقوى ؛ لأن التفاضل يكون في فعل الطاعات وعمل الخيرات، فسارعوا إلى الخيرات وتنافسوا فيها[6]، وهذا الاتجاه يضع الإنسان في مكان العمل المنافس لا في موضع المدافعة والمقاومة وهذه الحالة أرفع منزلة وأبعد مكانة، يتميز بها المؤمنون، الذين ألقي عليهم تأييد بروح من الله تعالى ولذلك قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[7]. وقد أبدع العلامة مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله في تفسيرها حيث قال: "إن الذين استقاموا في سبيل الحق واحتملوا المشقة ينزل الله الطمأنينة في قلوبهم ليزدادوا بها يقينا مع يقينهم، ويتقدموا إلى القمم الشامخة، التي يتباهى بها الآخرون" [8].

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٤١-٤٠

(٢) بهاء الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد البخاري، المعروف بـ بهاء الدين نقشبند، يعد المؤسس الفعلي للطريقة النقشبندية، التي عُرفت بالالتزام بالكتاب والسنة، وكثرة الذكر الخفي، واتباع السنة الظاهرة والباطنة.انظر: الدرر الكامنة،ابن حجر العسقلاني، (٢٧/٥).

(٣) ثناء الله بن عيسى بن موسى المظهري البابي پتي، من كبار علماء الهند في القرن الثاني عشر الهجري،انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،(٢١٦/٧-٢١٧).

(٤) ضياء القرآن، (٥/ ٤٨٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٨

(٦) ضياء القرآن، مُحَمَّد كرم شاه، (١٠٤/٤).

(٧) سورة الفتح، الآية: ٤

(٨) ضياء القرآن، (٥٣٦/٤).

المطلب الثالث: الفرق بين التربية الأخلاقية الإسلامية وغير الإسلامية:

١-التربية الأخلاقية غير الإسلامية:

لقد بذل الحكام والفلاسفة جهودًا كبيرة في مجال التربية الأخلاقية، إلا أن الخلافات فيما بينهم، والصراعات العقائدية التي دارت بينهم، جعلت جهودهم غير مثمرة، إذ لم يتمكنوا من تحديد معيار واضح للخير والشر.

لقد استخدم أبيقور[١] (Epicurus) وأتباعه قدراتهم العقلية لتحديد معيار الخير والشر، فاعتبروا أن اللذة هي الخير الأسمى، وأن الألم هو الشر المطلق. وعلى النقيض من ذلك، رأى زينون [٢] (Zeno) مؤسس المدرسة الرواقية أن الخير يكمن في كبح الشهوات وإنكار الذات، وأن الترفع عن اللذات المادية هو السبيل إلى الفضيلة،

كان أفلاطون هو المعلم، وأرسطو تلميذه، ولا شك في عبقرية كليهما، إذ عاشا في عصر واحد وتأثّرا بالواقع الفكري والفلسفي في زمانهما، ومع ذلك لم يستطيعا أن يتفقا على معيار محدد للخير والشر.

فالمعلم أفلاطون كان يهيم في عالم المثل العليا، ويتأمل في دائرة اللاشعور، بينما كان تلميذه أرسطو لا يحب أن يخرج عن عالم المحسوسات والتجربة الواقعية، وقد سار على دربهما عدد من الفلاسفة الغربيين، كـ"هربرت سبنسر"، و"جون لوك"[٣]، و"هيغل"[٤]، وغيرهم ممن تناولوا موضوع الأخلاق، لكن القارئ بعد الاطلاع على كتبهم لا يشعر إلا بالحيرة والقلق، إذ لم يقدموا للنفوس إلا التيه، وللقلوب إلا الاضطراب، وللعقول إلا مزيدًا من الشك وعدم اليقين؛ فلم يحددوا طريقًا واضحًا يوصل الإنسان إلى غايته، ولا أشاروا إلى الوجهة التي تقود الراكب إلى منزله، ويزداد القلق في نفوس الأتباع حين يُكشف لهم الستار عن سلوك مرشديهم، فيرون التناقض بين ما كُتب من مدائح ومثاليات وما هو متجسّد في واقعهم العملي؛ إذ تغيب عن حياتهم تلك الأخلاق الرفيعة والصفات الحميدة التي طالما تغنّوا بها في مؤلفاته، وهنا تبرز جماعة أخرى وهبَت حياتها لتقويم أخلاق أقوامها، وهي جماعة الأنبياء، فكان خطابهم بسيطًا

---

(١) أبيقور (باللاتينية.(Epicurus : وُلِد في جزيرة ساموس سنة ٣٤١، فيلسوف يوناني، مؤسس المدرسة الأبيقورية انظر:،تاريخ الفلسفة اليونانية،يوسف كرم،(ص/٣٨١-٣٨٩).

(٢) زينون الرواقي.(Zeno of Citium) وُلِد في مدينة كِتيوم (بجزيرة قبرص) سنة (٣٣٤ ق.م، مؤسس المدرسة الرواقية في الفلسفة اليونانية،انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم،٠(ص/٤٠٣-٤١٠)

(٣) جون لوك.(John Locke) ، وُلِد سنة (١٦٣٢م) في "ورنجتن" بإنجلترا، من أعظم مفكري القرن السابع عشر، وأحد رواد التجريبية في الفلسفة الحديثة، دعا إلى الحرية الدينية والتسامح، وكان من أبرز المدافعين عن فكرة العقد الاجتماعي، تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، (ص/١٠٥-١٢٠).

(٤) هو غيورغ فلهلم فريدريش هيغل.(Georg Wilhelm Friedrich Hegel) ولد في سنة (١٧٧٠م) في مدينة "شتوتغارت" بألمانيا،أسس المنهج الجدلي (Dialectic) الذي يرى أن الفكر والواقع يتطوران عبر الصراع بين التناقضات (الأطروحة، النقيض، التركيب، انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم،٠(ص/٢٨٥-٢٣٠).

واضحًا، لا لبس فيه ولا غموض، وكانت تعاليمهم نقيّة تنفذ إلى القلوب بسهولة، لم يُعَرِّفوا الخير بأنه مجرد لذّة أو أنانية أو انغماس في الذات، ولم يعتمدوا على الألفاظ الغامضة كالسعادة والقوة والهيبة لتحديد مقصد الأخلاق، بل أعلنوا أن الغاية من الأخلاق الفاضلة هي رضا الله تعالى، وبهذا أنهوا كل التباسات الفكر وضبابية المفاهيم،

وكان نطاق (دائرة) بعثة الأنبياء السابقين محدودًا، إذ كانت مهمّتهم مقتصرة على إصلاح قومٍ بعينهم أو أهل بلدٍ واحد، وذلك أيضًا لفترة زمنية محدودة، أما هذا الشرف العظيم، فلم يمنحه الله إلا لعبده المكرَّم الرسول الكريم ﷺ، إذ كانت رسالته عامة شاملة، موجَّهة إلى جميع البشر، لا فرق فيها بين أسود أو أحمر، عربي أو أعجمي، شرقي أو غربي، كماجاء في القرآن الكريم ﴿وما أَر سَلْنُكَ إِلَّا كَانَةٌ لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

لقد اضطلع كل نبي بمسؤولية إصلاح الأخلاق بحسب مقامه ومكانته، وقد كرّس النبي ﷺ نفسه لتحقيق هذا الهدف السامي[2].كما قال عليه الصلاة والسلام:«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ« [3].

(١) سورة سبا، الآية: ٢٨

(٢) مقالات ضياء الأمت، (٩٢/١).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب: حسن الخلق، باب: ما جاء في حسن الخلق، "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق، مرسلاً عن سعيد بن يسار عن النبي ﷺ رقم الحديث: ٨٩٥٢، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية أبو ظبي الإمارات

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية

التربية الاجتماعية هي أحد الجوانب الرئيسة في تربية الإنسان، وتهدف إلى تنمية شخصية الفرد ليكون عضوًا نافعًا في مجتمعه، يساهم في بنائه ويحترم حقوق الآخرين، ويؤدي واجباته تجاه أسرته ومجتمعه وأمته.

التربية الاجتماعية لصيقةٌ بالتربية الأخلاقية، إذ أن الأخلاق تمثّل الأساس الذي تُبنى عليه التربية الاجتماعية، فالأفراد أبناء مجتمعاتهم، يؤثرون فيها ويتأثرون بما يسودها من نظم وأخلاق وثقافات وقيم، ولا غرابة في ذلك، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف قَالَ:« كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ»[(١)]، والفرد ابن بيئته ومجتمعه، يتأثر بهما ويؤثر فيهما، وبما أنه يعيش بين الناس، فلا بد أن يكون له أثر فيهم، كما سيكون لهم أثر فيه، غير أن تأثير المجتمع عليه غالبًا ما يكون أبلغ وأعمق، لما يتمتع به من قوة الرأي العام، وسلطة العادات، وسلطة الوسائل العامة التي تتجاوز قدرة الفرد على المقاومة أو التأثير المقابل في كثير من الأحيان[(٢)] والمبحث الثالث يحتوي على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف المجتمع لغة واصطلاحا

المفهوم اللغوي للمجتمع:

يرجع أصل كلمة "جمع" إلى دلالة الضم والتأليف بعد التفرقة. فيقال: جمع الشيء جمعًا وجمعة وأجمعه: إذا ضمه بعد تفرقه، سواء أكان من نوع واحد أم من أنواع شتى. ومثاله: استجمع السيل، أي: اجتمع من كل موضع ويقال: جمعت الشيء: إذا حثثت عليه من هنا وهناك. كما يقال: تجمع القوم: اجتمعوا من أماكن متفرقة.

أما الجمع فهو مصدر جمع، ويطلق أيضًا على الجماعة من الناس.ومن المشتقات: الجماعة، الجميع، المجمع، المجمعة، وكلها تدور حول معنى الاجتماع والاتحاد بعد التفرق.وقولهم: قوم جميع، أي مجتمعون. و"المجمع" يطلق على الناس المجتمعين، **أو** المكان الذي يجتمعون فيه. و"الجميع" يقال للحَيّ المجتمع. و"الجمع" كالمنع [(٣)] هو تأليف المتفرق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب، باب قبول توبة القاتل، ، رقم الحديث: ٢٧٦٦،(١٦٨٣/٤). الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. حديث صحيح.

(٢) الفكر التربوي عند ابن القيم، حسن بن علي الحجاجي، (ص/ ٣٣٣)، ١٤٠٨هـ.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (ص/ ٨ ٥٣) ١٣٧٥هـ.

و"الجميع" ضد المتفر، .و"الجيش" و"الحي" يُطلقان على الجماعة المتجمعة.و"الإجماع" هو الاتفا، و"جامعه على أمر" أي اجتمع معه عليه [١].

المفهوم الاصطلاحي للمجتمع:

يختلف المفكرون في تحديد المفهوم الاصطلاحي لـ"المجتمع"، إذ تتعدد وجهات النظر بحسب السياق الثقافي والعلمي. ومنهم من يوسّع مفهوم المجتمع ليعرّفه بأنه: الإطار العام الذي تنشأ داخله العلاقات بين الأفراد، الذين يعيشون ضمن نطاقه، على هيئة وحدات أو جماعات[٢].

المطلب الثاني: مفهوم المجتمع عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه

إنَّ مُحَمَّد كرم شاه مفكرٌ إسلاميٌّ يرى أنَّ المجتمع الإسلامي، من شرقه إلى غربه، كالجسد الواحد، وإن اختلفت مذاهبه، وتنوعت لغاته، وتباعدت أماكن قبائله وشعوبه، ما دام الإله واحدًا، والدين واحدًا، والرسول واحدًا، والقبلة واحدة، والكتاب واحدًا؛ فأيُّ شيءٍ يُفرّق بينهم بعد ذلك؟ ولهذا استهلَّ حديثه عن المجتمع بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣]، يقول الشيخ عليه الرحمة في تفسيره لهذه الآية: "أي: خلقناكم طوائف وقبائل، وأممًا وشعوبًا، لكي يعرف بعضكم بعضًا، وتتبيّنوا علاقاتكم الاجتماعية، فتتعاونوا وتتكاملوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا وتتنازعوا، أو تتخاصموا وتتحاسدوا، ولا لكي تتداخلوا في الشؤون الخاصة بكل فئة على نحو يثير الفتنة أو يقطع أواصر الوحدة [٤].

وكان تشبيه النبي ﷺ للمجتمع المسلم أبلغَ وأقوى من تشبيه غيره، حيث قال »مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى «، وفي رواية أخرى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ مِثْلُ رَجُلٍ أَوْ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِذَا اشْتَكَى عَيْنَاهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِذَا اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ» [٥].

يقول الشيخ رحمه الله بنسبة المجتمع "لا يمكن لأي مجتمع أن يَهنأ بمباهج الحياة إلا إذا ساد الحبُّ المتبادل بين أفراد الأسرة، لأن الأسرة هي النواة الأولى التي يُبنى عليها كيان المجتمع. وفي هذا السياق، وردت في سورة النساء توجيهاتٌ واضحة وأوامرُ صريحة، غير أن القرآن الكريم قبل ذِكر هذه الأوامر إلى حقيقتين عظيمتين: أولاهما: أن الله

---

(١) القاموس المحيط، فيروز آبادي، (ص/ ٩١٨، ٩١٧)، الناشر: دار الحديث القاهرة، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٢) سرحان، (ص/٢١٧)، سنة ١٩٨١م.

(٣) سورة الحجرات: آية ١٣

(٤) ضياء القرآن، (٤/٤٦٠٠).

(٥) أخرجهما مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ، رقم الحديث: ٢٥٨٦،(٤/١٩٩٩) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سبحانه وتعالى هو خالق جميع البشر،

وثانيتهما: أن الناس جميعًا ينتمون إلى أبٍ واحد. فإذا كان الخالق واحدًا، وجب على الناس طاعته وامتثال أوامره، واجتناب معاصيه، وإذا كانوا أبناء لأبٍ واحد، لزمهم أن يعيشوا في مودةٍ ورحمةٍ وتعاون، كما يقتضي ذلك مبدأ المساواة الإنسانية الذي أعلنه هذا البيان القرآني العظيم"[(١)].

لقد أولى الإسلام الأسرة أهمية كبيرة في سبيل بناء مجتمع سليم، فجعل مصالح أفرادها مترابطة، بحيث لا تنقطع بينهم روابط المحبةوالقرابة.

ومن أبرز الوسائل التي اعتمدها الإسلام لتحقيق هذا الهدف نظامُ الميراث، إذ إذا أصيب أحد أفراد الأسرة بالفقر، وجب على الآخرين إعانته، كما أمر بتوزيع مال المتوفى على أقاربه بعد وفاته، لتظل مصالح الأسرة متحدة في الحياة والموت، فلا يخطر ببال أحدهم فكرة الانفصال أو القطيعة، حفاظًا على وحدة الأسرة وتماسكها.

المطلب الثالث: أسالبيب تنمية الشعور الاجتماعي تربويا

شعورُ الإنسان بالآخرين، وإحساسُه بأن لهم عليه حقوقًا، وأنهم في حاجة إلى عطفه ومساعدته كما هو في حاجة إلى عطفهم، ليس أمرًا عابرًا، بل هو خُلُقٌ كريم تُربّى عليه النفوس وتتزكّى به الأرواح.

أسباب التربية على الشعور الاجتماعي متعددة، وهي تهدف إلى تنمية الإحساس بالمسؤولية والانتماء والتعاون بين أفراد المجتمع، حتى يصبح كل فرد عنصرًا فاعلًا في بناء بيئة قائمة على التعاطف والتكافل.

وفي هذا السياق، فقد ذكر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله جملةً من الأسباب التي تُنمّي هذا الشعور الاجتماعي في الإنسان، ومن أبرزها ما يلي:

أ–الإيمان: هو ركيزة الرّكائز وأساس الأسس في جميع آراء وأفكار الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري – رحمه الله–، وهوالأصل الذي ينبني عليه بناء الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي.

فالمسلم مطالب بأن يكون إيمانه شاملاً في قوله وفعله، في سره وعلانيته، لأن الإيمان هو أفضل الأعمال، كما ورد في الحديث الصحيح «أن رسول الله ﷺ سُئل قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ باللهِ»[(٢)].

وقد أكّد الشيخ مُحَمَّد كرم شاه أن الإيمان ليس مجرد تصديق قلبي أو نطق باللسان، بل هو عامل فعّال في بناء العلاقات الاجتماعية السليمة؛ لأنه يُولِّد في الإنسان مشاعر الرحمة، وحُسن المعاملة، والتعاون مع الآخرين، واحترام

---

(١) ضياء القرآن، (٥٣١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى: رقم الحديث ١٣٥، (٨٨/١)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حقوقهم. ولهذا ربط النبي ﷺ بين الإيمان والسلوك الاجتماعي في أحاديث كثيرة، منها قوله:«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»[1].

وكذلك في الحديث الآخر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»[2].

فالإيمان بهذا المفهوم الشامل هو الدافع الحقيقي لغرس القيم الاجتماعية الراقية، مثل: التعاون، وحسن الجوار، والتكافل، مما يجعل من التربية الإيمانية أساسًا أصيلًا في تكوين الشعور الاجتماعي عند الفرد.

ب–المساواة: من المبادئ المركزية في التربية الاجتماعية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، وهي ركن أصيل في بناء مجتمع تسوده الرحمة والتعاون والعدل، وتتجلى آثارها في تصرفات الأفراد وتفاعلاتهم مع بعضهم بعضاً.

أولًا: المفهوم العام للمساواة

المساواة تعني أن جميع الناس متساوون في أصل الخلقة والكرامة الإنسانية، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3].

ثانيًا: المساواة في فكر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله

يرى الشيخ الأزهري رحمه الله أن الإسلام وضع أساسًا راسخًا للمساواة بين الناس جميعًا، بغض النظر عن العرق أو اللون أو النسب أو اللغة، ويؤمن بأن هذه المساواة هي الأساس الحقيقي للتربية الاجتماعية، إذ لا يمكن أن يسود الحب والتعاطف والعدالة في المجتمع ما لم يشعر كل فرد بأنه محترم ومتساوٍ مع الآخرين.

المساواة في نظر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه ليست مجرد نظرية، بل منهج تربوي واجتماعي يجب غرسه في النفوس، وممارسته في البيوت، وفي المدارس، وفي العلاقات العامة، لتنشأ أجيال تؤمن بأن المجتمع المسلم كالجسد الواحد، لا تفاضل فيه إلا بالتقوى والعمل الصالح، كلُّ مواطنٍ في الدولة الإسلامية، غنيًّا كان أو فقيرًا، من أسرةٍ شريفة أو بسيطة، متساوون أمام القانون.

ومن أشهر الشواهد على ذلك قصة المرأة المخزومية التي سرقت، وهي امرأة من قريش معروفة النسب، وقد شفع فيها أسامة بن زيد رضي الله عنه، فغضب النبي ﷺ حتى احمرّ وجهه وقال: «فإنَّما أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أنَّهُمْ كانُوا إذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحث على إكرم الجار والضيف، رقم الحديث: ٧٧، (١٦٨) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه، رقم الحديث: ١٣، (١ ١٢)، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣

سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لو أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَها» [(١)].

وعندما تكون ابنة النبي ﷺ والرجل العادي متساويين أمام الشريعة الإسلامية، فمن ذا الذي يظن أنه فوق القانون أو فوق حدود الله؟ هذا هو عدل الإسلام، وتلك هي روح المساواة التي أرساها النبي ﷺ في المجتمع الإسلامي منذ أول يوم"[(٢)].

ج- الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية

يُعدُّ الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية من أهم ركائز التربية الاجتماعية في الإسلام، لأنه يربط الفرد بجماعة كبرى تتجاوز حدود العرق واللون واللغة والجغرافيا، وتُشكّل هوية إيمانية موحّدة، فالمسلم لا يعيش في عزلة، بل هو جزء من أمة وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[(٣)].

هذا الانتماء يولّد في نفس المسلم الإحساس بالمسؤولية تجاه إخوانه المسلمين، ويدفعه إلى التعاون والتكافل ونصرة المظلوم، ويجعله يتألّم لألمهم ويفرح لفرحهم، كما في الحديث: وغرس هذا الشعور في نفوس الأفراد منذ الصغر يُكوّن مجتمعًا متماسكًا، يتخطّى حدود القطرية والعصبية، ويُعلي من قيمة الأخوّة الإيمانية، كما أرادها النبي ﷺ حين قالإن التربية على هذا الانتماء تحمي من التفرقة، وتُعزّز الولاء للأمة والدفاع عنها، وتجعل المسلم يشعر بالفخر لانتمائه لدينٍ عظيم وأمةٍ مباركة اختارها الله لتكون شاهدة على الناس.

يُولي الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله أهمية بالغة لغرس الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية في نفوس الأفراد، ويعدّه من أهم أسس التربية الاجتماعية في الإسلام. فهو يرى أن المسلم لا تكتمل إنسانيته ولا تترسّخ هويته إلا إذا شعر بأنه جزء من أمة واحدة موحّدة، يجمعها الإيمان بالله ورسوله، وتربط بين أفرادها رابطة العقيدة، لا رابطة العرق أو اللغة أو الإقليم.

وقد أكّد الشيخ رحمه الله أن هذا الشعور ليس عاطفة سطحية أو شعارًا نظريًا، بل هو التزام عملي يقتضي محبة المسلمين، والتألم لآلامهم، والفرح لفرحهم، والسعي لوحدتهم ونصرتهم، كما علّمنا رسول الله ﷺ في قوله ﷺ: «إِنَّ المؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[(٤)] وكذلك قوله ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة فيه، رقم الحديث: ١٦٨٨، (٣١٥/٣)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تجليات ضياء الأمت، (ص/٤٢٢).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم الحديث: ٢٥٨٥،(١٩٩٩/٤).

الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(١)]. قال رسول الله ﷺ في حديث آخر «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» [(٢)].

ويرى الشيخ الأزهري عليه الرحمة أن ضعف هذا الشعور بالانتماء هو من أسباب تفكك الأمة وتغلب الأعداء عليها، ولذلك دعا في كتبه وخطبه إلى ضرورة تربية الأجيال تربيةً تعيد لهم هذا الإحساس الجماعي الموحِّد، وأن يُغرس فيهم منذ الصغر أن قضايا الأمة الإسلامية في أي بقعة من الأرض هي قضاياهم، وأنهم مسؤولون عنها أمام الله تعالى، وبذلك، فإن الشعور بالانتماء عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه رحمه الله ليس مجرد انتماء نظري، بل هو وعيٌ إيماني، وسلوكٌ عملي، وتحمّلٌ للمسؤولية تجاه الأمة كلّها، أفرادًا وشعوبًا [(٣)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: ٢٥٨٦، (١٩٨٨/٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه، رقم الحديث ٢٥٦٤: (١٩٨٦/٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) تجليات ضياء الأمت، (ص/٤٢٣).

الخاتمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنَّ من تمام نعمة الله وتوفيقه أن يسّر لي إنجاز هذا البحث، الموسوم بـ "الجوانب الدعوية والتربوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله"دراسة تحليلية"، وهو جهد متواضع قصدتُ من خلاله الكشف عن ملامح شخصية هذا العلَّامة الرباني، الذي كان من الشخصيات النادرة في عصره؛ إذ جمع بين العلم الغزير، والخلق الرفيع، والغيرة الصادقة على الدين، والعمل الدؤوب في ميدان الدعوة والتربية.

وقد سعيتُ في هذا البحث إلى إبراز الجوانب الدعوية والتربوية في فكره وجهوده، وبيان المنهج الوسطي الذي سلكه في الدعوة، مع عنايته الفائقة بالتربية الإيمانية والخلقية والاجتماعية، فضلًا عن رؤيته الرائدة في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وربط العلوم الشرعية بالعلوم الحديثة لخدمة رسالة الإسلام.

أ- نتائج البحث

وبإتمام هذا البحث أكون بحمد الله قد وقفت على أبرز النتائج التي توصّلت إليها من خلال الدراسة، والتي أسأل الله تعالى أن يجعل فيها الخير والنفع للإسلام والمسلمين، وأن ينفع بها طلبة العلم والباحثين، وأن يتقبّلها بقبول حسن، وهي كما يلي:

١. تعدد جوانب شخصية الشيخ: فقد كان الشيخ رحمه الله عالمًا، مفسرًا، مربيًا، وداعيا، جمع بين الأصالة والتجديد، وبين الفقه والروحانية.

٢. منهجه في الدعوة: يتسم منهجه بالوسطية والاعتدال، والاعتماد على القرآن والسنة، ومراعاة حال المخاطبين، مع البُعد عن التشدد والغلو.

٣. اهتمامه بالتربية: كان الشيخ يرى أن بناء الفرد هو أساس بناء الأمة، ولذلك أعطى التربية الإيمانية والاجتماعية والخلقية عناية خاصة.

٤. الدعوة بالمحبة والتزكية: ركّز الشيخ في دعوته نماذج للعالم العامل حيث جسّد الشيخ كرم شاه شخصية العالم الرباني، الذي يعيش قضايا أمته، ويخدم دينه بالعلم والعمل.

ب – أهم التوصيات

بعد استعراض موضوع البحث وتحليل نتائجه، ورصد معالم الفكر الدعوي والتربوي عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله تبيّن للباحث أن هذه التجربة الدعوية والتربوية الرائدة لا تقف عند حدود الماضي، بل تحمل في طياتها دروسًا نافعة يمكن أن تسهم في صياغة واقع الأمة اليوم ومستقبلها، وانطلاقًا من ذلك، يقدّم الباحث جملة من التوصيات العملية التي يرى أنها قد تفيد المؤسسات الأكاديمية والدعوية والتربوية في الإفادة من فكر الشيخ ومنهجه، وهي كما يلي:

أولا: التوصيات للباحث

١. الاعتناء بجهود العلماء والدعاة :ضرورة إفراد دراسات متخصّصة حول جهود العلماء الكبار أمثال الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، لما تحمله من جوانب دعوية وتربوية رائدة.
٢. الربط بين الأصالة والمعاصرة :على الباحثين العمل على الإفادة من التراث الدعوي والتربوي في ضوء متطلبات الواقع المعاصر، مع مراعاة المستجدات الفكرية والاجتماعية.
٣. تعميق الدراسات التطبيقية :يوصى بتوسيع نطاق الأبحاث الميدانية في الدعوة والتربية، وربطها بالواقع الدعوي المعاصر؛ لمعالجة التحديات العملية التي تواجه الدعاة والمربين.
٤. إبراز المنهج الوسطي :التوصية بالتركيز على الوسطية والاعتدال في الخطاب الدعوي والتربوي، وترسيخ قيم التسامح والوحدة الإسلامية.
٥. تشجيع الباحثين الشباب :دعم طلبة الدراسات العليا لإعداد رسائل وبحوث في مجالات الدعوة والتربية مستفيدين من تجارب العلماء المصلحين.
٦. ضرورة إحياء تراث الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري من خلال طباعة مؤلفاته، وتحقيق مخطوطاته، وعقد ندوات ومؤتمرات علمية عنه، ونشر فكره الوسطي المعتدل.
٧. الاستفادة من منهجه التربوي والدعوي في إعداد الدعاة والمربين، خاصة في العصر الراهن الذي تشتد فيه الحاجة إلى خطاب ديني متوازن جامع بين الأصالة والمعاصرة.
٨. تعزيز الوحدة الإسلامية بترسيخ مفاهيم الأخوة والتعاون، اقتداءً بما كان يدعو إليه الشيخ رحمه الله من جمع الكلمة ونبذ الفرقة.
٩. التركيز على التربية الروحية والإيمانية لإصلاح الفرد والمجتمع، وفق ما كان يقدمه الشيخ من نموذج تربوي عميق متكامل.

١٠. إدراج سير العلماء العاملين ومن أمثال الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله ضمن المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد الإسلامية، لما لذلك من أثر في إبراز القدوة الصالحة وغرس القيم في الناشئة:.

ثانيا:التوصيات للمؤسسات الدعوية والتربوية:

١. إحياء تراث العلماء :على المؤسسات الإسلامية والدعوية أن تعمل على نشر مؤلفات الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري رحمه الله، وإعادة طباعة كتبه وتفسيره وسيرته، لتستفيد منها الأجيال الجديدة.
٢. تطوير المناهج التعليمية :يُوصى الكليات والمعاهد الشرعية بالاستفادة من منهج الشيخ في الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية، بما يحقق توازناً تربوياً ودعوياً متكاملاً.
٣. تنظيم مؤتمرات علمية :الدعوة إلى عقد ندوات ومؤتمرات علمية دورية حول الفكر الدعوي والتربوي للشيخ، ودراسة أثره في النهضة الإسلامية في باكستان والعالم الإسلامي.
٤. **إعداد برامج تدريبية** :تشجيع المؤسسات على إعداد برامج ودورات تدريبية للدعاة والمربين، مستوحاة من الأسس التربوية والدعوية التي أصلها الشيخ في كتبه وجهوده.
٥. التواصل مع المجتمع :على المؤسسات أن تُفعّل دورها في خدمة المجتمع عبر مشروعات تربوية ودعوية هادفة، تحاكي ما قام به الشيخ من الجمع بين العلم والعمل وخدمة الناس.

وفي الختام، أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلبة العلم والباحثين، وأن يجزي الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يرحمه رحمة واسعة، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العلمية:

١- فهرس الآيات القرآنية
٢- فهرس الأحاديث الرسول ﷺ
٣- فهرس الأعلام
٤- فهرس المصارد والمراجع
٥- فهرس الموضوعات

١- فهرس الآيات القرآنية

ر/م	الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾	البقرة	٤	٤٩
٢	﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ، ﴾	البقرة	١١	١٤٣
٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	البقرة	٢١	١٠١
٤	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾	البقرة	٤٤	٥٦
٥	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	البقرة	١٤٣	٧٩
٦	﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾	البقرة	١٤٨	٢١٣
٧	﴿واشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	البقرة	١٥٢	٤
٨	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾	البقرة	١٦٣	١٤٣
٩	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	آل عمران	٣١	٥٣
١٠	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	آل عمران	١٠٤	٦٦
١١	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾	آل عمران	١١٠	٧٩
١٢	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾	آل عمران	١٥٩	٨٧
١٣	﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	الأعراف	٥٦.	٩٩
١٤	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ ﴾	الأعراف	٥٩	٩٩
١٥	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	الأنعام	٩٠	١٠٤
١٦	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الأنعام	١٦٢	٥٣
١٧	﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾	الأنعام	١٤٦	٢٠٧
١٨	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ،﴾	الأنفال	٦	١٩٩
١٩	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، هُوَ مَوْلَانَا ﴾	التوبة	٥١	٢٠٠
٢٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	التوبة	١٩١	٥٦
٢١	﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	التوبة	١٧	٧٤
٢٢	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾	التوبة	١٢٢	١٢٦
٢٣	﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾	يونس	٦	٥٦
٢٤	﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا ﴾	هود	٣	٩٩
٢٥	﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴾	يوسف	١-٢	١٥٤
٢٦	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾	يوسف	٣	١٥٤
٢٧	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنا صادِقِين﴾	يوسف	١٧	١٩٦

٢٨	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	يوسف	١١١	١٨٦
٢٩	﴿أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾	الرعد	١٧	٢٧
٣٠	﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	الرعد	٢٨	١٩٩
٣١	﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	الحجر	٨٨	٥٧
٣٢	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾	النحل	٧٥	٨٨
٣٣	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾	النحل	١٢٥	٦٦
٣٤	﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ، ﴾	الإسراء	٧٣-٧٥	١٤٥
٣٥	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾	الكهف	٥٤	٩٣
٣٦	﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾	الكهف	١١٠	١٦٩
٣٧	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ﴾	مريم	٤١-٤٢	٧٤
٣٨	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	طه	١٤	١٨٥
٣٩	﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	الأنبياء	٩٢	٢٢٠
٤٠	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	الحج	٣٩	١٥٠
٤١	﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾	الحج	٤١	٨١
٤٢	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾	النور	٦٣	١٠٥
٤٣	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	الفرقان	٦٣	١٧٣
٤٤	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ ﴾	النمل	٦٢	٩٩
٤٥	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾	العنكبوت	٤٥	١٨٥
٤٦	﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	العنكبوت	٤٦	٩٣
٤٧	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾	الروم	٢١	٦٢
٤٨	﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يربُوا عِندَ اللهِ﴾	الروم	٣٧	١٦٢
٤٩	﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا﴾	لقمان	١١	٥٩
٥٠	﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾	لقمان	١٤	٤
٥١	﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾	لقمان	١٥	١٨٠
٥٢	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ ﴾	الأحزاب	٢١	١٨٣
٥٣	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ﴾	الأحزاب	٣٧	١٥٤
٥٤	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾	الأحزاب	٥٠	١٥٥
٥٥	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النبيينَّ﴾	الأحزاب	٤٣	٤٩
٥٦	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ ﴾	الأحزاب	٧٢	١٦٤
٥٧	﴿وما أَر سَلْنَٰكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	سبا	٢٨	٢١٥

٥٨	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	الزمر	١٠	٥٩
٥٩	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	الشررى	٤٣	١٧٤
٦٠	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ ﴾	الزخرف	٧٤-٧٥	١٠٢
٦١	﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾	الأحقاف	٣٥	٥٨
٦٢	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾	الفتح	٤٤	٢١٣
٦٣	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.	الحجرات	١٣	١٧٠
٦٤	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.	الذاريات	٥	١٦٦
٦٥	﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.	الذاريات	٥٥	٢٠٢
٦٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات	٥٦	١٠١
٦٧	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾	النجم	١٩	١٤٦
٦٨	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، ﴾	النجم	١٩	١٤٥
٦٩	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾	المجادلة	١	٩٣
٧٠	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾	المجادلة	٤-٦	١٠٤
٧١	﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾	التحريم	٦	١٦٣
٧٢	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم	٣	١٧
٧٣	﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾	القلم	٦٤	٢١٢
٧٤	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	نوح	٥	٧٤
٧٥	﴿فقلتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، ﴾	نوح	٢٦	٩٩
٧٦	﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	القيامة	٢	٥٤
٧٧	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾	النازعات	٣٠	٢٠٦
٧٨	﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾	الم نشرح	٧	٥٥
٧٩	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	البينة	٥	٥٢
٨٠	﴿وَٱلعَصرِ﴾ * ﴿إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسرٍ﴾	العصر	١-٣	٧٧

٢- فهرس الأحاديث الرسول ﷺ

ر/م	طرف الحديث / الأثر	رقم الصفحة
١	اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ	٢٠٣
٢	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،	١٩٠
٣	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	٦٣
٤	أُمُّك ثم أُمُّك ثم أُمُّك، ثم أبوك	٦١
٥	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ	١٦٩
٦	إِنَّ المؤمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	٢٢٠

٧	أن رسول الله ﷺ سُئل قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ باللهِ	٢١٨
٨	إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا	١٧
٩	إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا	٢٠٣
١٠	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى	٥٢
١١	إنما العلمُ بالتعلُّم، والحِلمُ بالتَّحلُّم	١٧٣
١٢	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ	٢١٥
١٣	إنِّي لم أُبعَث لعَّانًا، ولكني بُعثتُ رحمة	١٧٣
١٤	الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ	٢٠٤
١٥	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي	٦٣
١٦	ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا	١٩٩
١٧	عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ	٥٦
١٨	لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه	٢١٩
١٩	فإنَّما أهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أنَّهُمْ كانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ	٢٢٠
٢٠	قال رسول الله ﷺ: إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإنَّ البر يهدي إلى الجنة	١٧١
٢١	كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ	٢٢١
٢٢	كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ	١٨٩
٢٣	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	٧٥
٢٤	لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين	١٨
٢٥	لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ	١٧٤
٢٦	ما سُئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئًا قطُّ فقال: لا، إلا أن يكونَ في معصية	١٧٤
٢٧	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ	٢١٧
٢٨	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر	٦٤
٢٩	مِن حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه	٥٥
٣٠	مِن حَقِّ الوَلَدِ على والِدِهِ ثَلاثَةٌ: يُحَسِّنُ اسمَهُ، ويُعَلِّمُهُ الكِتابَةَ، ويُزَوِّجُهُ إذا بَلَغَ	٧٥
٣١	مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده	١٠٣
٣٢	مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا أَمْرُنَا فَهُوَ رَد	٥٣
٣٣	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،	٢١٩
٣٤	مَنْ لمْ يشْكُر النَّاسَ لَمْ يشْكُرالله	٤
٣٥	يا أبا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ	١٧٠

-فهرس الأعلام

ر/م	أسماءالأعلام	رقم الصفحة
١	السيد الشحات أحمد حسن	٥
٢	حسن الشافعي	١٧
٣	الشَّيخ سعيد بن أبي الخير	١٧
٤	الشيخ مُحَمَّد مصطفى الشلبي	١٩
٥	أبو زهرة	١٩
٦	أحمد زكيّ	٢٢
٧	الشيخ مُحَمَّد دين	٢٢
٨	الشيخ مُحَمَّد قاسم بالاكوتي	٢٢
٩	الشيخ عبد الحميد	٢٢
١٠	الشيخ مُحَمَّد نعيم الدين	٢٢
١١	القاضي ثناء الله رحمه الله	٢٢
١٢	صدر الأفاضل مُحَمَّد نعيم الدين المراد آبادي	٢٣
١٣	مولانا مُحَمَّد خان نوري	٢٤
١٤	مولانا عطاء مُحَمَّد	٢٤
١٥	مولانا مُحَمَّد بوستان	٢٥
١٦	العلامة عبد الرسول أرشد	٢٥
١٧	الشريف السيد لخت حسنين شاه	٢٥
١٨	الأستاذ البروفيسور حافظ أحمد بخش	٢٦
١٩	الشيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري	٢٨
٢٠	أبي عبد الله السيد مُحَمَّد بن سليمان الجزولي الحسني رحمه الله	٢٩
٢١	الدكتور أحمد هاشم	٣٠
٢٢	Lord Morley	٣٦
٢٣	(Hume)	٣٦

٢٤	لورد ماونت بيتن	٤٠
٢٥	الشيخ مُحَمَّد مصطفى المراغي	٤٥
٢٦	قنبر	٦٩
٢٧	ول ديورانت	١٣٣
٢٨	البرتوس ميكنوس	١٣٣
٢٩	طوماس إيكوناس	١٣٤
٣٠	الدكتور مُحَمَّد البهي	١٣٦
٣١	كيمون	١٣٧
٣٢	كلود كاهن	١٣٨
٣٣	منتجمرى وات	١٣٩
٣٤	المزدكيون	١٣٩
٣٥	Richard (simon)	١٤٠
٣٦	Michael H Hart	١٤٠
٣٧	توماس كارلايل	١٥٣
٣٩	الشيخ علي بن عثمان الهجويري	١٧٧
٤٠	الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري	١٧٧
٤١	الشيخ نظام الدين الجشتي البدايوني	١٧٧
٤٢	الشيخ بهاء الدين السهروردي الملتاني	١٧٧
٤٣	الشيخ أحمد السرهندي	١٧٧
٤٤	الشيخ مُحَمَّد قمر الدين السيالوي	١٧٨
٤٥	الشيخ مُحَمَّد قمر الدين الجشتي	١٧٨
٤٦	هربرت سنبسر	١٩٧
٤٧	الدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز	٢٠٢
٤٨	عتبان بن مالك	٢٠٨
٤٩	الشيخ بهاء الدين النقشبندي	٢١٣

٥٠	الشيخ ثناء الله بأبي بتي	٢١٣
٥١	Epicurus	٢١٤
٥٢	Zeno of Citium	٢١٤
٥٣	جون لوك	٢١٤
٥٤	هيغل	٢١٤

٣- فهرس المصارد والمراجع العربية

١. الاحتساب وصفات المحتسبين د. عبد الله بن عبد المحسن المطوع، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية.
٢. تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية إحسان حقي، ، د سمير إبراهيم، الأدب الأردي الإسلامي، الناشر: دار الكلم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
٣. شعر عمر بن الفارض، الأستاذ الدكتور عاطف جودة نصر، (دراسة في فن الشعر الصوفي)، الناشر: بيروت بلا تاريخ.
٤. الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، مُحَمَّد جلاء إدريس، الناشر: دار العربي للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة: ١٤١٦هـ .
٥. الاستشراق والخلفية الفكرية، صراع الحضاري، حمدي زقزوق، الناشر: دار المنار، القاهرة، الطبعة: ١٩٨٩م.
٦. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبد الرحيم المغذوي، الناشر: دار الحضارة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.
٧. إسلام لا شيوعية د. عبد المنعم النمر، الناشر: قاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م .
٨. الإسلام والمستشرقون تأليف نخبة من علماء المسلمين، الناشر: عالم المعرفة جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٩. أصول التربية الإسلامية، علي سعيد أحمد، الناشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ، عمان ١٤٢٧هـ، ٢٠٧م .
١٠. أصول التربية الإسلامية للخطيب، مُحَمَّد شحات، الناشر: دارالخريجي للنشر والتوزيع.
١١. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م.
١٢. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الناشر: بيروت لبنان الطبعة التاسعة: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٣. إقبال والأزهر، حازم محفوظ، الناشر: دار البيان، القاهرة، الطبعة: ١٩٩٩م.
١٤. اقطاب التصوف السيد البدوي، عبد الحليم محمود، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر،
١٥. كتاب التصوف والصوفية، سيد يوسف هاشم الرفاعي، الناشر: دار إقرأ للطباعة والنشر والتوزيع
١٦. الأمر بالمعروف والنهي على المذكر أصوله وضوابطه وآدابه، خالد بن عثمان السبت، الناشر: المنتدى الإسلامي اليمن، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ
١٧. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، الناشر: دار ابن كثير دار اليمامة دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣.
١٨. أنور عناية الله مُحَمَّد علي جناح باللغة الأردية، ترجمة د. سعد أبو دية، الناشر: عمان، الطبعة الأولى: ١٩٨٥م.
١٩. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن مُحَمَّد عجيبة الحسني، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة
٢٠. الإيمان، ابن تيمية، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة: ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
٢١. باكستان في ماضيها وحاضرها، عبد الحميد البطريق، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٥٥م.
٢٢. البناء العظيم، عبد الله دراز، الناشر: دار القلم كويت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م
٢٣. تاج العروس لزبيدي، الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ٢٠٠١م
٢٤. تاج اللغة وصحاح العربية، جوهري، الطبعة الأولى: ١١٣٩٩ هـ .
٢٥. تاريخ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ-٢٠٠١م
٢٦. تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دكتور أحمد محمود الساداتي، الناشر: دار الثقافة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م.
٢٧. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، كلود كاهن، الناشر: ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٧٢م.
٢٨. مسلموا الهند، مستر هنتر، الناشر: دهلي بدون تاريخ.
٢٩. تجديد الفكر الديني في جهود العلامة مُحَمَّد كرم شاه الأزهري د. مُحَمَّد منير، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.
٣٠. التحرير والتنوير، طاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة: ١٩٨٤م.
٣١. تذكرة الأولياء، فريد الدين عطار، الناشر: دار المكتب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سورية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م
٣٢. التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، عبد العال حسن، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الأولى عام: ١٩٧٨م.

٣٣. التربية الإسلامية، أحمد فؤاد الأهواني، الناشر: دار المعارف قاهرة، مصر، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٠هـ
٣٤. التعريفات، جرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ .
٣٥. تفسير ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.
٣٦. تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى٧٧٤هـ)، المحقق، مُحَمَّد حسين شمس الدين: ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، بيروت، الطبعةالأولى – ١٤١٩ هـ
٣٧. تفسير القرآن العظيم، إمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير، الناشر: دار حزم، الطبعة الأولى ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٣٨. تلبيس إبليس، عبدالرحمن ابن جوزي، الناشر: دار الوطن للنشر القاهرة، الطبعة: ١٩٩٧.
٣٩. تلخيص الخطابة ابن رشد، دار الوطن للنشر القاهرة، الطبعة: ١٩٩٧
٤٠. مقدمة المنقذ من الضلال الإمام مُحَمَّد الغزالي، الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر: . دار المعارف –القاهرة، الطبعة: ١٩٧٠م
٤١. جامع البيان عن تاويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري الطبري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: ١٤١٥هـ –١٩٩٤م.
٤٢. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن على بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض.، طبع، ١٤٢٥هـ.
٤٣. الحسنة في الماضي والمناصير بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، د. علي بن حسن بن علي القربي، مكتبة، المرشدة الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥م.
٤٤. الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، زيد عبد الكريم الزيد، الناشر: دار العاصمة، الرياض.
٤٥. خاتم النبيين، إمام أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة – مصر
٤٦. دائرة المعارف الإسلامية لكاتب غير محدد.
٤٧. الدر المنثور، إمام جلال الدين سيوطي، الناشر: مركز هجر للبحرث والدراسات العربية، دار ابن حزم.
٤٨. الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ترجمة إلى اللغة العربية د. مصطفى ماهر، الناشر: القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٦٧م.
٤٩. دراسات في الفكر الإسلامي د/ عبد الحميد المنعم، الناشر: مكتبة الزهراء القاهرة
٥٠. دراسة في الفكر الإسلامي، سيد الشحات أحمد حسن، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ، مكتبة دار إحياء التراث الإسلامي – المدينة المنورة.
٥١. درء تعارض العمل والنقل، ابن تيمية، تحقبق مُحَمَّد ارشاد سام، طلاء الرياض، طبع في جامعة الإماء مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ١٣٩٩هـ.
٥٢. الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، رسالة العالمية و الدكتوراه)، مكتبة الرسائل بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر – القاهرة،
٥٣. الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، خليل مُحَمَّد بن سيدي بن حبيب، دار الوفاء، جدة، . الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.
٥٤. رجال السند والهند للقاضي أبي المعالي أظهر المباركفوري، دار الأنصار، القاهرة.، الطبعة الأولى عام: ١٣٩٨هـ،
٥٥. رسائل فتيان الدعوة الشيخ د. جاسم بن مُحَمَّد بن مهلهل الياسمين، مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع. الكويت، الطبعة الأولى عام: ١٣٩٨م.
٥٦. صحيح المسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: ١٩٩٨م
٥٧. سنن الترمذي، إمام أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
٥٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجززي، الناشر: دار الكتاب العربي.
٥٩. ستايلى وهبرت، مُحَمَّد على جناح مؤسس الباكستان، ترجمه دسيل، زكار، الناشر: دار فنية، دمشق الطبعة: ١٩٩٨م.

٦٠. سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)ا لمحقق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
٦١. سيرة ميلاد أمة، اشيتاق حسين قريشي، ترجمة د. خليل جواد الطبعة: دمشق ١٩٩٦م.
٦٢. الشاعر الباكستاني مُحَمَّد إقبال حياته وآثاره الإسلامية في شعره، ثناء الله، رسالة التخصص الماجستير في الأدب والنقد، ، مخطوط من مكتبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، القاهرة، تحت رقم ٥٦٦/٥٦٧.
٦٣. الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإسرائيل، حسام سويلم، الصادرة من أوسلو ناروي، ١٩٩٩ .
٦٤. الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإسرائيل، حسام سويلم، الناشر: دار البيان القاهرة، الطبعة: ٢٠٠١م
٦٥. شرح قصيدة أطيب النعم، شاه ولي الله، الناشر: قران للنشر والتوزيع، الطبعة: سننة ١٩٨٥م.
٦٦. الشيخ أحمد رضا خان شاعرا عربياً باحثا، ممتاز أحمد سديدي، الناشر: جامعة الأزهر – القاهرة.
٦٧. شيخ الهداية المرشدين ، علي محفوظ، ، دار اعتصام، مصر١٤٢٠ هـ.ط ٩، ١٣٩٩-١٩٧٩م.
٦٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ج١، ص ١٢١، تحقيقأحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٠٤ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
٦٩. عبد الحميد بن باديس، مازن صلاح مطبقاني، الناشر: دارالقلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٧٠. العقد الثَّمين في فتوح الهند، قاضي أبي المعالي أظهر المباركفوري، الناشر: دار الأنصار القاهرة.
٧١. العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن، د مُحَمَّد نعمان جلال، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٩٩٨م.
٧٢. علم التربية السلامية لمقداد يالجن، الطبعة: ١٤٠٦هـ ١٣٩٧هـ.
٧٣. الفتاوى، شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيميةالناشر: دار الوفاء، الطبعة: ١٤١٨ هج ١٩٩٧م
٧٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٧٥. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي لمحمد البهى، ص ٣٠، ط دار الفكر، بيروت سنة ١٩٧٣م.
٧٦. الفكرالتربوي عند ابن القيم لحسن بن علي الحجاجي، الطبعة: ١٤٠٣هـ .
٧٧. الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني، قاسم صالح ناجي، رسالة ماجستير غير منشورة–كلية التربية جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
٧٨. القاديان وخطرها على الإسلام، مصباح الدين زاهدي، الناشر: مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة: ١٩٩١م.
٧٩. القاموس المحيط للفيروز آبادي، الناشر: دار الحديث القاهرة، الطبعة: ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٨٠. القائد وقصة الباكستان، مُحَمَّد حسن الاعظمي، الناشر: مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ .
٨١. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من أحكام، علي بن عباس البعلي الحنبلي، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م .
٨٢. كرامة العقل والبرهان، شيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري، مقال مستخرج من كتاب أجالون كانقيب للأستاذ عمران حسين، ص٢٠، الطبعة الأولىدار السنة إنجلترا من ١٩٩٨م.
٨٣. لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٤١٩هـ ١٩٩٩م
٨٤. اللغة العربية وفضية التنمية اللغوية في باكستان، سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٨٢م.
٨٥. مأساة كشمير المسلمة، حسان حقي، الناشر: دار القارئ العربي، القاهرة، الطبعة: ١٩٩٣م
٨٦. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار العالم الكتب، بيروت لبنان (١٩/١٥٥.
٨٧. مجموعة فتاوى، لابن تيمية لاحمد بن عبد الحليم، الناشر: بيروت دارالفكر، ١٤٠٢هـ
٨٨. مُحَمَّد رسول الله، مُحَمَّد صادق إبراهيم عرجون، ط دار القلم، دمشق، الطبعة: ١٩٨٥م .
٨٩. مُحَمَّد علي جناح باني باكستان، إحسان حقي، الناشر: دار الفكر دمشق، الطبعة: ١٤٠٧هـ.

٩٠. مدارج السالكين، أَبُو عَبْدِ الله شَمْسُ الدِّينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكرِ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدِ بْنِ حرَيزْ الزُّرْعِيَّ المعروف باسم ابن القيم، الناشر: دار العاصمة، الرياض.
٩١. المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبي الفتح البيانوني، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة.
٩٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
٩٣. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق مُحَمَّد سيد الكيلاني، ١٣٨١هـ، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة
٩٤. مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، لعبد الكريم بكار، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: ٢٠٠٠م.
٩٥. مقدمة شرح فتوح الغيب، إمام الجيلاني حسن السماحي سويدان، الناشر: طبع مؤسسة الشرف لاهور
٩٦. مقدمة في التربية، ناصر ابراهيم، الناشر: دار عمار، عمان، ٨، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٩٧. نظرة الغرب إلى الإسلام في القرن الوسطي، سادرن، ترجمة د. علي فهمي خشيم و در صلاح الدين حسن، الناشر: دار مكتبة الفكر بطرابلس، ليبيا سنة، الطبعة: ١٩٧٥م
٩٨. وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغدوي، الناشر: دار اشبيليا، ١٤٢٠هـ.

المصارد والمراجع في الأردية:

١. *دعوت وتبليغ کے زریں اصول لدکتور محمد نعیم الدین الازھری، الناشر: مجلس الدعوۃ الإیبلامیۃ، آسٹریا.*
٢. جمال كرم، حافظ أحمد بخش، ضياء القرآن ببلي كيشنز لاهور– الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
٣. تفسير ضياء القرآن، علامة مُحَمَّد كرم شاه، الناشر: ضياء القرآن بيبليكيشنز، لاهور، الطبعة: ١٩٩٥. پاكستان، ١٤٠م.
٤. تعارف علماء أهل السنة، شيخ مُحَمَّد صديق الهزاروي، المؤسَّسة القادرية باكستان، الطبعة الأولى عام: ١٢٠٠م.
٥. تذكرة علماء أهل السنة، محمود أحمد قادري، الناشر: دار الأشاعت باكستان مئ، الطبعة الأولى: ١٩٩٢م .
٦. تذكرة أكابر أهل السنة، شيخ مُحَمَّد عبد الحكيم شرف القادري، الناشر: نورى كتب خانه لاهور، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.
٧. تجليات ضياء الأمت، مُحَمَّد أكرم ساجد، الناشر: ضياء القرآن ببليكيشنز لاهور، الطبعة السادسة: ٢٠٠٦م.
٨. تاريخ تعليم هند، شريف نور الله، الناشر: ساوته إيشين ببليشر كراجي ١٩١٨م،
٩. تاريخ پاكستان وسياستها، صفدر محمود، الناشر: پاكستان، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.
١٠. پيمان سرفروشى، مُحَمَّد كرم شاه، الناشر: صوفى مُحَمَّد صادق چشتى، ***سیالکوٹ*** .
١١. خيرات الإسلام لأوربا، دكتور غلام جيلاني برق، پاكستان، شيخ غلام علي و سنز، الطبعة: ١٧٧٨م .
١٢. سر دلبران مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، نوفمبر، الناشر: طبع دار ضياء القرآن، لاهور .
١٣. سنة خير الأنام، الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري، الناشر: طبع دار ضياء القرآن، لاهور
١٤. الاحتفال النبوي بمناسبة ذكر ضياء الأمت مُحَمَّد كرم شاه، ذو الفقار حيدر، مجلة (الكرم) مؤسسة: ضياءالقرأن بيبليكيشنز، الطبعة الأولى: ٢٠٠.
١٥. ضياء الأمت رقم أبريل مايو ١٩٩م الناشر: مكتبة ضياء حرم لاهور باكستان.
١٦. النموذج الجميل لأخلاق النبوية، مجلة ضياء الحرم، العدد الخاص، ضياء الأمت، ، إبريل، مايو ١٩٩٩م.
١٧. ةقالات ضياء الأمت،حافظ أحمد بخش. الناشر: ضياء القرآن بيبليكيشنز، لاهور.
١٨. شرح صحيح مسلم، لعلامة علام رسول سعيدي، الطبعة الأولى: ١٠، ١٤٢٤هـ. ***فرید بک سٹال لاھور پاکستان، سنۃ ٢٠٠٣ء.***

المصادر الأجنبية:

١- Zulfquar Haider Pirzada، Qadyamisn، printed UK، ٢٠٠٢

٢- Maxime Rodinson ،Encyclopedia Corpus Michael. Hart

٣- A Ranking of the most influential Acrrons in history ،printed New York ،١٩٧٨،

٤- W ،Montgomery watt ،Muhammad Prophet and trots man ،Printed London ،١٩٧٨

٥-George Sale ،Holy Quran

فهرس الموضوعات

المقدمة	٥
الباب الأول: التعريف بالشيخ مُحَمَّد كرم شاه وجهوده في مجال التعليم و الدعوة والتربية	١٤
الفصل الأول: السيرة الذاتية للشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	١٥
المبحث الأول: حياة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري الشخصية	١٦
المطلب الأول: اسمه ونسبه	١٦
المطلب الثاني: مولده ونشأته الأولى	١٦
المطلب الثالث: صفاته وشمائله	١٧
المطلب الرابع: أقوال العلماء والمشاهير عن الشيخ	١٩
المطلب الخامس: وفاته	٢٠
المبحث الثاني: حياة الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية	٢١
المطلب الأول: نشأته ورحلاته العلمية	٢١
المطلب الثاني: أبرز شيوخه	٢٢
المطلب الثالث: أبرز تلاميذه	٢٤
المطلب الرابع: آثار الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	٢٧
المبحث الثالث: أحوال عصر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	٣١
المطلب الأول: الأحوال الاجتماعية في عصره	٣١
المطلب الثاني: الأحوال السياسية في عصره	٣٤
المطلب الثالث: الأحوال الثقافية في عصره	٤٣
الفصل الثاني: جهود الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري العلمية والتطبيقية المتعلقة بالداعية	٥١
المبحث الأول: جهود الشيخ فيما يتعلق بواجبات الداعية	٥٢
المطلب الأول: واجبات الداعية تجاه ربه	٥٢
المطلب الثاني: واجبات الداعية تجاه نفسه	٥٦
المطلب الثالث: واجبات الداعية تجاه أسرته وأقاربه	٦١
المبحث الثاني: جهود الشيخ فيما يتعلق بإعداد الداعية	٦٥
المطلب الأول: وجوب تبليغ الدعوة وإعداد الداعية	٦٥

المطلب الثاني: منهجه في إعداد الداعية	٦٧
الباب الثاني: الجوانب الدعوية، وأساليبها، وسائلها، ومشكلاتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	٧٣
الفصل الأول: الدعوة، وأهميتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري على مستوى الفرد والجماعة والحكومة	٧٤
المبحث الأول: أهمية الدعوة على مستوى الفرد	٧٩
المطلب الأول: مسؤلية المؤمن في المجتمع	٧٦
المطلب الثاني: مسؤلية الوالد على الأولاد	٧٧
المبحث الثاني : أهمية الدعوة على مستوى الجماعة	٧٩
المطلب الأول: فضل الأمة المحمدية	٧٩
المطلب الثاني: مسؤلية الأمة المحمدية في المجتمع	٨١
المبحث الثالث: أهمية الدعوة على مستوى الحكومة	٨٢
المطلب الأول: مسؤلية الحكام عند الشيخ كرم شاه رحمه الله	٨٢
المطلب الثاني: دور الشيخ كرم شاه في توجيه سياسة الدولة	٨٢
الفصل الثاني: أساليب الدعوة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	٨٥
المبحث الأول: الحكمة	٨٦
المطلب الأول: تعريف الحكمة لغة واصطلاحا.	٨٦
المطلب الثاني: مظاهرها وخصائصها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه.	٨٧
المبحث الثاني : الموعظة الحسنة	٩٠
المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة لغة واصطلاحا	٩٠
المطلب الثاني: مظاهرها وخصائصها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه.	٩٢٢
المبحث الثالث : المجادلة	٩٣
المطلب الأول: تعريف المجادلة لغة واصطلاحا	٩٣
المطلب الثاني: استخدام الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأسلوب المجادلة	٩٦
المبحث الرابع: أسلوب الترغيب والترهيب	٩٩
المطلب الأول: تعريف الترغيب والترهيب لغة واصطلاحا	٩٩
المطلب الثاني: أسلوب الشيخ في استخدام الترغيب والترهيب	١٠١
المبحث الخامس: القدوة الحسنة	١٠٤

المطلب الأول: القدوة الحسنة لغة واصطلاحا	١٠٤
المطلب الثاني: أهمية الاقتداء بالرسل والأنبياء عليهم السلام في الدعوة.	١٠٧
المطلب الثالث: أسلوبه في استخدام القدوة الحسنة	١٠٧
الفصل الثالث: وسائل الدعوة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	١٠٨
المبحث الأول: مفهوم وسائل الدعوة لغة واصطلاحاً	١٠٨
المطلب الأول: تعريف الوسيلة الدعوية.	١٠٩
المطلب الثاني: أنواع الوسائل الدعوية.	١٠٩
المبحث الثاني: الوسائل القولية	١١٠
المطلب الأول: الخطبة	١١٠
المطلب الثاني: الدرس	١١٢
المطلب الثالث: مقالات الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١١٣
المبحث الثالث: الوسائل المكتوبة	١١٧
المطلب الأول: الكتاب	١٧
المطلب الثاني: رسائل الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٢١
الفصل الرابع: المشاكل الدعوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٢٧
المبحث الأول: المشاكل الداخلية عند الداعية والمجتمع	١٢٨
المطلب الأول: المشاكل الداخلية التي تخص الداعية والمدعوين عند الشيخ-عليه الرحمة	١٢٨
المطلب الثاني: جهوده في توحيد صفوف المسلمين	١٢٨
المطلب الثالث: حل المسائل الاقتصادية	١٣٠
المطلب الرابع: رفض الاشتراكية	١٣١
المبحث الثاني: المشاكل الخارجية	١٣٢
المطلب الاول: المستشرقين وشبهاتهم	١٣٢
المطلب الثاني: الرد على الفرقة المنحرفة	١٥٦
المطلب الثالث: الرد على فتنة الإنكار لحجية السنة	١٥٩
الباب الثالث: الجوانب التربوية ومبادئها، وأساليبها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	١٦١
الفصل الأول: المفاهيم التربوية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٦٢

المبحث الأول: التربية عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٦٣
المطلب الأول: التربية لغة واصطلاحا	١٦٣
المطلب الثاني: مفهوم التربية عندالشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٦٤
المطلب الثالث: أهمية التربية في الإسلام	١٦٧
المبحث الثاني: منهجه في التربية والإصلاح	١٦٨
المطلب الأول: التربية بالقدوة الحسنة	١٦٨
المطلب الثاني: التربية بالإخلاص	١٧٠
المطلب الثالث: التربية بالتقوى	١٧٠
المطلب الرابع: التربية بالعلم	١٧٢
المطلب الخامس: التربية بالصدق	١٧٢
المطلب السادس: القدوة في العبادة والجود والكرم	١٧٣
المطلب السادس: التربية بالحِلم	١٧٣
المبحث الثالث: المنهج الصوفي للتربية	١٧٥
المطلب الأول: معنى التصوف لغة واصطلاحا	١٧٥
المطلب الثاني: مفهوم التصوف عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه وحقيقته	١٧٧
المطلب الثالث: منهج التصوف عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٧٦
المطلب الرابع: أمثلية المنهج الصوفي للتربية والإصلاح:	١٧٩
الفصل الثاني: أساليب التربية ومؤسساتها عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	١٨٢
المبحث الأول : أساليب التربية	١٨٢
المطلب الأول: التربية بالقدوة الصالحة	١٨٢
المطلب الثاني: التربية بالصلاة	١٨٤
المطلب الثالث: التربية بالقصة	١٨٥
المطلب الرابع: التربية بالمثل	١٨٧
المطلب الخامس: التربية بشغل أوقات الفراغ	١٨٨
المبحث الثاني: المؤسسات التربوية	١٨٩
المطلب الأول: الأسرة	١٨٩

المطلب الثاني: المسجد	١٨٩
المطلب الثالث: المدرسة	١٩٠
المطلب الرابع: التطبيقات التربوية المعاصرة لفكر الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري في المؤسسات التربوية	١٩٢
الفصل الثالث: الرؤية التربية المتكاملة عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه الأزهري	١٩٥
المبحث الأول: التربية الإيمانية	١٩٦
المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحا	١٩٦
المطلب الثاني: مفهوم الإيمان عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	١٩٧
المطلب الثالث: أهمية الإيمان في حياة الإنسان	١٩٨
المبحث الثاني: التربية الأخلاقية	٢٠١
المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا	٢٠٢
المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	٢٠١
المطلب الثالث: الفرق بين التربية الإسلامية وغير الإسلامية	٢١٤
المبحث الثالث: التربية الاجتماعية	٢١٦
المطلب الأول: تعريف المجتمع لغة واصطلاحا	٢١٦
المطلب الثاني: مفهوم المجتمع عند الشيخ مُحَمَّد كرم شاه	٢١٧
المطلب الثالث: أساليب تنمية الشعور الاجتماعي تربويا	٢١٨
نتائج البحث	٢٢٢
توصيات البحث	٢٢٣
الفهارس:	٢٢٥
فهرس الآيات	٢٢٦
فهرس الأحاديث	٢٢٩
فهرس الأعلام	٢٣١
فهرس المصادر والمراجع	٢٣٤
دالمصادر الأجنبية	٢٣٨
فهرس الموضوعات	٢٣٩